اجاثا كريستي



نقطة الدم

أجاثا كريستي

{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى 103 لغات.

- بيع من كتبها أكثر من 900 مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعًا. تميَّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

نقطة الدم

The Mysterious Mr. Quin

يظهر على غير العادة في الاثنتي عشرة قصة فريق بحث: السيد «ساترثويت» الذي حصل على درجته الجامعية في الستينيات من عمره، بينما قضى حياته متفرجًا وليس مشاركًا في خضم مشكلاتها، والسيد «هارلي كوين» الغامض يرتدي حلة سوداء، ويظهر فجأة كما يختفي فجأة، ولكنه ساعد «ساترثويت» على أن يدرك حقيقة الحياة من خلال الأسئلة التي تخللها حديثهما وملاحظاته المختلفة والتي قادته إلى إدراك الكثير من الحقائق .

ثمن الكتاب

لبنان ـــــ 5000 ل.ل.	قطر ـــــ 10 ريالات
سوريا ـــــ 150 ل.س.	عُمان ـــــ 1.5 ريال
الاردن ـــــ 2 دينار	مصر ـــــ 10 جنيهات
السعودية ـــــ 10 ريالات	المغرب ـــــ 30 درهما
الكويت ـــــ 1 دينار	ليبيا ـــــ 3 دنانير
الإمارات ـــــ 10 دراهم	تونس ـــــ 4 دنانير
البحرين ـــــ 1.5 دينار	العراق ـــــ 4000 دينار

ISBN 9953383936
9 789953 383934

نقطة الدم

برنارد الأسطه
يقدّم
الرواية المعرّبة

نقطة الدم
(55)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية
أجاثا كريستي

تعريب الأديب
عمر عبد العزيز أمين

الناشر
دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م

الإدارة العامة والتوزيع
تليفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00
ص.ب 374 جونيه – لبنان
www.inter-press.org Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع
المركز الدولي – دار البشير

تأليف

Agatha Christy

الاسم الأصلي للكتاب

The Mysterious Mr. Quin (1930)

الغلاف بريشة الفنان العالمي

عبد العال

كلمة المؤلفة

إن مجموعة قصص السيد "**كوين**" لم تكتب كتابة مسلسلة، بل كتبت كلا منها في فترات متباعدة، وأنا أعتبر السيد "**كوين**" تعبيراً عن شخص مرهف الحس. كانت هناك مجموعة من تماثيل "**درسدن**" الصغيرة على رف مدفأة أمي سحرتني وأنا صغيرة وإلى أن كبرت. كانت تمثل كوميديا إيطالية فيها شخصيات مثل "**هارلي كوين**" و"**كولومبين**" .. إلخ تلك الشخصيات الفنية. ولقد كتبت وأنا فتاة مجموعة قطع شعرية عن هذه الشخصيات، وأظن أن إحداها، وكانت باسم أغنية "**هارلي كوين**" هي أول ما نشر لي. نشرت في مجلة الشعر ولقد أعطوني جنيها مقابلها. وبعد أن تحولت من الشعر وقصص الإشباع إلى قصص الجريمة – عاد "**هارلي كوين**" أخيراً للظهور: شخص لا يراه أحد إلا حين يختار هو ذلك، وهو لا ينتمي إلى البشر كلية، لكنه على الرغم من ذلك يهتم بأمور البشر وخاصة المحبين والعشاق. وهو أيضاً مدافع قوي عن الموتى، وعلى الرغم من أن كل قصة عنه قائمة بذاتها منفصلة تماما، إلا أن المجموعة كلها – وقد كتبت مدى أعوام عديدة – تمثل قصة "**هارلي كوين**" نفسه. ومع السيد "**كوين**" تشكلت شخصية السيد "**ساترثويت**" الضئيل الحجم وهو صديق السيد "**كوين**" في هذا العالم: السيد "**ساترثويت**" الثرثار، الذي يتسلى بالفرجة على الحياة، والرجل الذي يدرك أين تكون دراما الحياة دون أن يلمس بنفسه أعماق الفرح أو الحزن، ويدرك أيضاً أن عليه دوراً لابد له من أن يقوم به.

"أجاثا كريستي"

- 6 -

دراما على مسرح الحياة

أهم الشخصيات :

"**ساترثويت**" : صديق السيد "**كوين**" وهو رجل ثرثار يتسلى بالفرجة على الحياة

"**هارلي كوين**" : زائر الليل. وهو شخص لا يراه أحد إلا حين يختار هو.

"**توم إيفشام**" : صاحب المنزل والمضيف.

الليدي "**لورا**" : زوجة السيد "**توم إيفشام**"

السيد "**ريتشارد كونواي**" :رحَّالة وصياد ماهر صديق "**إيفشام**"

السيد "**أليكس بورتال**" : في الأربعين من عمره يحب رحلات الصيد

السيدة "**أليانور بورتال**" : زوجة السيد "**أليكس بورتال**"

"**ديرك كابل**" : صاحب المنزل السابق الذي قيل إنه انتحر

"**مارجوري ويلك**" : فتاة جميلة كانت على علاقة بـ "**ديرك كابل**"

السيد "**أبلتون**" : رجل عجوز قيل إن زوجته قتلته بالسم

دراما على مسرح الحياة

حدث ذلك في عيد رأس السنة وقد اجتمع أكبر المدعوين سنًا في ليلة العيد هذه في القاعة الكبرى بمنزل "**رويستون**". اما السيد "**ساترثويت**" فكان سعيداً لأن الشباب قد ذهبوا للنوم، ذلك أنه لم يكن يميل إلى مداعبتهم الصبيانية في مثل تلك المناسبات، فهو في الثانية والستين من عمره، محني القامة قليلاً، نحيل الجسد، ينم وجهه على فضول شديد واهتمام بالغ بما يكتنف حياة البشر من أسرار. ولابد من أنه عاش سنوات حياته كلها يرقب ما يجري أمامه على مسرح الحياة ويتأمل طبائع الناس وهم يتحركون أمام عينيه، لكنه الآن وقد أشرف على الشيخوخة ألفى نفسه ميالاً إلى أن ينبذ موقف المشاهد ليشترك في مسرحية الحياة. ولم يكن هناك شك في قدرته على تنفيذ ذلك. فهو يدرك بغريزته النفاذة متى تجتمع العناصر التي توحي بوقوع أحد الأحداث المثيرة. وهو هنا مثل حصان الحروب يشتم رائحتها، وقد كان هذا حاله اليوم منذ وصل إلى منزل "**رويستون**" – يشتم رائحة حادث يوشك أن يقع. لم يكن عدد المدعوين كبيراً، فهم "**توم إيفشام**" صاحب الدار، وهو شخص لطيف المعشر، ثم زوجته التي تهتم بأمور السياسة، وقد كانت قبل زواجها به تدعى ليدي "**لوراكين**"، ثم هناك سير "**ريتشارد كونواي**" الرحالة والصياد الماهر، ثم بعض الشباب ممن لم يحفظ السيد "**ساترثويت**" أسماءهم – ذلك عدا عائلة "**بورتال**". وقد كان السيد "**بورتال**" وزوجته محط اهتمام السيد "**ساترثويت**"، فعلى الرغم من أنه لم يلتق بالسيد "**بورتال**" قبل ذلك فقد عرف عنه كل شيء حتى أباه وجده. كان "**أليكس بورتال**" يشبه أجداده فهو ذو شعر ذهبي وعينين زرقاوين يحب الرياضة والصيد، ذو أسلوب واقعي في التفكير، وقد اقترب من سن الأربعين، ومن ثم كان عاديًا في كل شيء.. رجل إنجليزي رزين عاقل. لكن زوجته كانت شيئًا آخر فهي – كما كان السيد "**ساترثويت**" يعرف – من أصل أسترالي، التقى بها زوجها في "**أستراليا**" في أثناء إحدى رحلات الصيد، وسرعان ما تبادلا الحب وعاد بها إلى "**إنجلترا**" التي لم تكن قد شاهدتها قبل زواجها، وعلى الرغم من ذلك فإن السيد

"**ساترثويت**" أحس بشعوره الحاد أنها لم تكن أسترالية تقليدية. أخذ الآن يختلس النظرات إليها، تفحصها بدقة ليجد أنها امرأة مثيرة للانتباه، فهي على الرغم من ميلها إلى الصمت كانت تنبض بالحياة والحيوية. وعلى الرغم من أنها لم تكن رائعة الجمال فهي تحس بجاذبيتها وسحرها وتأثيرها. لكن سؤالاً ملحًا خطر للسيد "**ساترثويت**" ما السبب الذي حمل السيدة "**بورتال**" على أن تصبغ شعرها؟ كان الشعر مصبوغًا بإتقان يصعب على رجل أو امرأة عاديين أن يلحظاه. ولكن فراسة السيد "**ساترثويت**" جعلته يكتشف ذلك، وكان مرجع تساؤله أن من المعتاد أن تصبغ النساء شعورهن السوداء باللون الذهبي، لا أن يصبغن شعورهن الذهبية باللون الأسود كما هو الحال مع السيدة "**بورتال**" . أثار كل ما فيها حب استطلاعه وفضوله. وخطر له أنها إما أن تكون سعيدة جدًا في حياتها أو أنها تعيش في تعاسة كاملة. لم يكن أحد الأمرين واضحًا إطلاقا. وجعله هذا يشعر بالضيق، لكن ما تيقن منه هو أن لها تأثيراً عجيبًا في زوجها، لابد من أنه يحبها إلى أقصى درجات الحب، لكنه لسبب ما – وهذا هو ما يثير التساؤل – يخاف منها أيضًا. كان واضحًا لجميع الحاضرين أن "**أليكس بورتال**" يسرف في احتساء الشراب ثم يختلس النظرات إلى زوجته بطريقة أثارت انتباه الحاضرين وعجبهم. وهنا شعر السيد "**ساترثويت**" بغريزته أن الحدث المتوقع سوف يكون بين "**أليكس بورتال**" وزوجته. أفاق من خواطره على صوت "**توم إيفشام**" وهو يقول بعد أن أعلنت دقات الساعة انتصاف الليل:

– ها هو عام جديد قد بدأ وأتمنى أن يكون عامًا سعيداً للجميع. وتبعته زوجته الليدي "**لورا**" قائلة:

– إن مجيء العام الجديد يحمل الإنسان على أن يتذكر سنوات عمره التي انقضت وأصدقاءه الذين كانوا يشاركونه ترديد أناشيد عيد الميلاد. رد عليها زوجها "**إيفشام**" بسرعة:

– أوه يا "**لورا**" ، ليس هذا هو الوقت المناسب لهذا الحديث. وذهب ليضيء مصباحًا آخر في حين قالت زوجته معتذرة:

– آه. يا لي من حمقاء. لابد من أنه تذكر صديقه الحميم السيد "**كابل**" . وهنا

قالت "**أليانور بورتال**" متسائلة بصوتها المنغم الذي جعل السيد "**ساترثويت**" يعتقد أنه سمعه قبل الآن:

– السيد "**كابل**"؟ نعم، إنه صاحب هذا البيت قبلنا. لقد انتحر بإطلاق النار على نفسه كما تعلمون. أوه، لن أخوض في هذه الذكرى التي تضايق زوجي العزيز. كانت صدمة عنيفة له عندئذ، فقد كان موجوداً عندما انتحر صديقه السيد "**كابل**"، وأنت أيضًا يا سير "**ريتشارد**"، لقد كنت هنا، أليس كذلك؟ أجاب السير "**ريتشارد**" قائلاً:

– نعم، كنت هنا. وجمعت الليدي "**لورا**" أدوات التطريز وقالت موجهة حديثها إلى السيدة "**بورتال**":

– ها هو الاحتفال قد انتهى فماذا نفعل الآن؟ أجابت "**أليانور بورتال**" بغير اهتمام وهي تنهض:

– لنذهب إلى الفراش. قال السيد "**ساترثويت**" لنفسه وهو يشعل لها مصباحها "إنها تبدو ممتقعة اللون، وهي ليست هكذا في العادة. أخذت منه المصباح دون كلمة، واتجهت نحو درجات السلم الصاعدة إلى الطابق العلوي. وفجأة شعر السيد "**ساترثويت**" برعدة تسري في جسده وبرغبة في أن يتبعها ويبعث فيها الاطمئنان، ذلك أنه أحس بأنها معرضة لخطر ما، بيد أنه سرعان ماشعر بالخجل من نفسه، فلابد من أن أعصابه ليست على ما يرام هذه الليلة. ولكنه تماسك قبل أن تبدأ في الصعود وهي تلقي خلفها بنظرة طويلة مركزة إلى زوجها. صافحت الليدي "**لورا**" السيد "**ساترثويت**" قبل أن تذهب في أعقابها:

– عيد ميلاد سعيد، وإني لأتمنى أن يكون أول رجل يدخل بيتنا الليلة أو غداً رجلاً أسمر اللون أسود الشعر متمشياً مع الخرافة التي تعرفها يا سيد "**ساترثويت**"، يا للعجب! ألا تعرفها؟ الخرافة التي تقول إنه إن كان أول من يدخل البيت في ليلة عيد الميلاد رجلاً أسمر فإنه يجلب معه الفأل الحسن لأصحاب المنزل. انصرفت السيدتان واقترب كل من الرجال الأربعة حول نار المدفأة، وأخذوا يثرثرون في مختلف المواضيع حتى تطرق الحديث إلى صاحب البيت السابق الذي انتحر، وهنا قال السير "**ريتشارد كونواي**":

– هل كنت تعرف السيد "**ديرك كابل**" يا سيد "**ساترثويت**"؟

– نعم، إلى حد ما.

– وأنت، هل كنت تعرفه يا "**بورتال**"؟

– كلا، لم ألتق به قط. قال "**أليكس بورتال**" هذه الكلمات بطريقة عنيفة جعلت السيد "**ساترثويت**" يلتفت نحوه في دهشة وعجب. في حين استطرد "**إيفشام**" يقول:

– أشد ما يضايقني أن تثير زوجتي "**لورا**" هذا الموضوع، فبعد الحادث اشترى هذا المنزل رجل غني لكنه أعلن عن بيعه بعد ذلك بعام واحد وبثمن منخفض، وترددت شائعات عن وجود شبح في المنزل، شبح صاحبه السابق المنتحر. وحين رشحت نفسي عن دائرة "**كيدليني**" اضطررت إلى البحث عن منزل ملائم لإقامتنا في هذه المنطقة، ولما كان الثمن مغريًا فقد اشتريته،وعلى الرغم من أنني لا أؤمن بوجود الأشباح فإنني لا أحب أن يذكرني أحد بأنني أقطن في منزل سكنه قبلي صديق عزيز وانتحر. يا له من بائس "**ديرك كابل**"، إن أحداً لن يعرف إطلاقا سبب انتحاره. قال "**أليكس بورتال**" بطريقة رجل أسرف في الشراب.

– ليس "**ديرك كابل**" الوحيد الذي انتحر دون سبب معقول، لقد فعل فعلته كثيرون. قال السيد "**ساترثويت**" لنفسه متأملاً وجه "**أليكس بورتال**" هناك مايثقل على هذا الرجل، إنه ليس في حاله المعتاد أبدا، لو أنني أعرف فقط مايثقله؟". في حين قال "**ريتشارد كونواي**":

– يا لله، اسمعوا أصوات الريح. إنها تشتد في هذه الليلة العاصفة. قال "**بورتال**" مطلقًا ضحكة مستهترة:

– إنها ليلة مناسبة لكي ترتع فيها الأشباح. ولابد من أن الشياطين قد خرجت من الجحيم للعربدة. ضحك السير "**ريتشارد كونواي**" وقال:

– تمشيا مع الخرافة التي أخبرتنا بها "**لورا**" فإن أكثر الشياطين سوادا سيجلب لنا الحظ لو أنه طرق الباب الآن. آه... ماذا هنالك؟ ازداد عويل الريح إلى حد كبير ثم بدأ يخفت شيئًا فشيئًا حين تناهى إلى سمع الجميع صوت ثلاث طرقات عنيفة فوق باب المنزل الخشبي الضخم. قال "**توم إيفشام**" في فزع: من يكون هذا بحق

السماء؟ وفي هذا الوقت؟ حدق كل من الحاضرين إلى وجه الآخر، بينما استطرد هو قائلاً:

– سأذهب لأفتح الباب بنفسي فقد انصرف الخدم للنوم. فتح الباب ليرى أمامه رجلاً طويلاً نحيلاً أسمر البشرة يرتدي ملابس قيادة السيارات. تقدم الرجل خطوتين وهو يقول مبتسماً:

– معذرة أيها السادة فقد تعطلت سيارتي فجاة وسائقي يحاول إصلاحها الآن. ولما كان هذا سوف يستغرق بعض الوقت فقد اعتقدت أنني... إنكم تعرفون البرد القارس في الخارج...توقف فجاة. فقال "**إيفشام**":

– نعم، نعم، تفضل إلى الداخل وتناول معنا كاسًا من الشراب. أخشى أننا لا نستطيع أن نساعد على إصلاح سيارتك.

– شكرًا، إن سائقي يجيد إصلاح السيارات، أقدم نفسي، أنا "**كوين**"، "**هارلي كوين**". قال "**إيفشام**" مرحبًا:

– تفضل بالجلوس يا سيد "**كوين**" أقدم لك السير "**ريتشارد كونواي**" والسيد "**اليكس بورتال**" والسيد "**ساترثويت**"، ثم أنا "**توم إيفشام**". تبادلوا التحية، وجلس السيد "**كوين**" بالقرب من المدفأة بعد أن قبل الكأس التي قدمها إليه "**إيفشام**"، الذي قال:

– إذن فانت تعرف هذه المنطقة جيداً يا سيد "**كوين**"؟

– إلى حد ما، فقد مررت بها منذ بضعة أعوام، وكان هذا المنزل ملكًا لرجل اسمه "**كابل**". قال "**إيفشام**" بدهشة:

– أوه، نعم، "**ديرك كابل**"، هل كنت تعرفه؟

– نعم، كنت أعرفه. وتغيرت نظرة "**إيفشام**" للرجل الغريب فورًا، فبعد أن كان متحفظًا أصبح ودوداً وقال:

– يا لها من مصادفة، لقد كنا نتحدث عنه منذ لحظات، ولقد كنت أنا موجوداً عندما قتل "**كابل**" نفسه، و"**ريتشارد كونواي**" كان موجوداً ايضًا. وعلى الرغم من أنني لا أصدق وجود الأشباح فإنني أتوقع ظهور شبحه بيننا بين لحظة وأخرى. قال السيد "**كوين**":

– لقد كان حادث انتحار غريبًا، وليس هناك سبب يدعوه إلى ذلك أبدًا. وهنا قال "**ريتشارد كونواي**" بحماس:

– إنه سر غامض حتى الآن. ذلك أن "**ديرك كابل**" كان في أكثر فترات حياته، تغمره السعادة ولا تشغله مشاكل الحياة. كان في تلك الليلة قد دعا بعض أصدقائه وكان في خلال وجبة العشاء في أروع حالاته النفسية لا يكف عن الحديث عن مشاريعه في المستقبل. لكنه ما إن فرغ من تناول العشاء وصعد إلى غرفته في الطابق الأعلى حتى سمع صوت طلق ناري، لنكتشف بعد ذلك أنه تناول مسدسه وأطلق النار على نفسه. لماذا فعل ذلك؟ لم يعرف أحد السبب، ولن يستطيع أحد أن يعرفه أبدًا. قال السيد "**كوين**" مبتسمًا:

– ألا تعتقد أننا يمكن أن نكتشف ذلك السبب يا سير "**ريتشارد**"؟

– ماذا تقصد؟

– ليس من الضروري أن يكون اللغز غير قابل للحل لأن أحدًا لم يستطع معرفته.

– أوه، إذا لم يكن أحد قد استطاع أن يعرف السر في حينه، فهل يمكن أن يتمكن أحد من معرفته بعد عشر سنوات من وقوع الحادث؟!

– لا أتفق معك في هذا، فمرور السنوات أحيانًا تجعل المؤرخ أكثر قدرة على فهم وتفسير الأحداث وأسبابها. الأهم هو أن تكون نظرتنا إلى الموضوع نظرة تتسم بالشمول وتحيط بكل جوانب المسألة. وهنا انطلق صوت "**بورتال**" صائحًا:

– هذا صحيح يا سيد "**كوين**"، إن الزمن لا يهمل المشكلة لكنه يجعل الشخص ينظر إليها بطريقة جديدة. ابتسم "**إيفشام**" وقال:

– هل تقصد يا سيد "**كوين**" أن تقول إننا لو جعلنا من أنفسنا مجموعة بحث وأخذنا نستعيد الظروف التي أحاطت بانتحار "**ديرك كابل**"، فهل تظن أننا سوف نتوصل إلى السر وكأن الحادث وقع منذ قليل؟

– إن احتمال اكتشافنا للسر أقوى الآن يا سيد "**إيفشام**"؛ لأننا الآن نفكر دون نزعات شخصية تؤثر في نظرتنا، وسوف ننظر إلى الحقائق بطريقة مجردة دون أن نكون متأثرين بمشاعرنا الخاصة. ظهر الشك على وجه السيد "**إيفشام**"، في حين

استطرد السيد "**كوين**" قائلاً:

– على الإنسان هنا أن يكتشف النقطة التي يبدأ منها البحث. ونقطة البداية يجب أن يكون أساسها نظرته هو، ولكل منكم بالتأكيد وجهة نظر في هذا الحادث. ما رأيك مثلاً يا سير "**ريتشارد**"؟ قطب السير "**ريتشارد كونواي**" ما بين حاجبيه وقال:

– لقد كان اعتقادنا عندئذ أنه ربما تكون هناك امرأة أو أزمة مالية، لكنه ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن أحوال "**كابل**" المالية كانت ممتازة، ومن ثم فليس هناك سوى أن يكون للمرأة ضلع... وفي تلك اللحظة أجفل السيد "**ساترثويت**". كان قد تحرك جسده للأمام ليلقي بملاحظة، لكنه فوجئ برؤية جزء من جسد امرأة منكمشة في أحد أركان الشرفة العليا بحيث لم يكن هناك من يستطيع رؤيتها سواه. كان من الواضح أنها تسترق السمع بآذان مرهفة... وعرفها السيد "**ساترثويت**" بسهولة من شكل ملابسها... كانت "**أليانور بورتال**". فوراً اتضح له كل شيء، فوصول السيد "**كوين**" في تلك اللحظة لم يكن مجرد مصادفة. كان كالممثل الذي يظهر في اللحظة التي يتطلبها دوره... وقد بدت هذه القاعة في تلك اللحظة للسيد "**ساترثويت**" مسرحًا تمثل عليه إحدى مسرحيات الحياة العنيفة على الرغم من أن الممثل الأول فيها رجل قتل نفسه منذ عشر سنوات مضت. وأصبح السيد "**ساترثويت**" واثقًا بأن "**ديرك كابل**" يلعب دوراً رئيسيًا في أحداث هذه المسرحية التي تتتابع أمام عينيه. وأخذت الحقائق تتكشف أمام عينيه بوضوح، فما حدث الآن من صنع السيد "**كوين**"، فهو الذي أعد خشبة المسرح، وهو يوزع الأدوار ويحرك الممثلين ويعرف كل شيء عمًا يجري حتى أمر تلك المرأة المنكمشة في الشرفة العليا ترهف السمع. واستأنف السيد "**كوين**" تحريك الممثلين فقال:

– بالتأكيد، إن في المسألة امرأة، ولقد تحدث معكم "**كابل**" في أثناء العشاء في تلك الليلة عن امرأة بعينها. قال "**إيفشام**" متعجبًا:

– يا للعجب، لقد أعلن في خلال ذلك العشاء أنه ينوي أن يخطب فتاة ما، وهذا ما زاد من غموض انتحاره بالنسبة إلينا. ذلك أنه كان يفيض بالسعادة وهو

ينوه بخطيبته الجميلة، وقال إن الخطبة سوف تعلن رسميًّا بعد فترة من الوقت لأسباب خاصة. قال "**ريتشارد كونواي**":

– لقد عرفنا عندئذ بالتخمين من هي الخطيبة المنتظرة. ظننا أنها "**مارجورى ويلك**" وهي فتاة رقيقة حسناء. التفت السيد "**كوين**" إلى السيد "**إيفشام**" وسأله:

– هل هذه هي نظرتك للأمور يا سيد "**إيفشام**"؟

– لست أعرف بالتحديد. قال "**كابل**" لنا إنه خطب وإنه لن يقول لنا عن اسم الخطيبة إلا بعد موافقتها... كل ما أتذكره جيداً هو أنه وصف نفسه بالرجل السعيد الحظ، وقال إنه يريدنا – كصديقين حميمين له – أن نعرف أنه في العام التالي سيكون من أسعد الرجال بزواجه ذلك. وقد خمنا أن الخطيبة هي "**مارجوري**" التي كانت صلته بها وثيقة. لكن "**ريتشارد كونواي**" أسرع يقول بتردد:

– لكن ما تعجبنا له هو أنه لو كانت "**مارجوري ويلك**" هي الخطيبة المنتظرة حقًّا فلماذا أخفى اسمها عنا؟ ولماذا يؤجل إعلان الخطبة رسميًّا لفترة معينة؟ لقد ظننت عندئذ أن خطيبته سيدة متزوجة مات زوجها منذ فترة وجيزة أو أنها مطلقة حديثًا. قال "**إيفشام**":

– إن ذلك السبب أقرب إلى المنطق من اي سبب آخر. ومن ثم كان طبيعيًّا ألا يدلي "**ديرك كابل**" باسم خطيبته رسميًّا إلا في الوقت الملائم. ولو أننا تذكرنا جيداً تلك الفترة لاكتشفنا أن علاقته بـ "**مارجوري**" كانت قد بدأت تفتر منذ فترة، وربما كان هذا الفتور قد بدأ قبل عام من انتحاره تقريباً. قال السيد "**كوين**":

– هذا شيء يدعو إلى التساؤل.

– نعم، بدا الأمر وكأن امرأة أخرى قد دخلت حياته. قال "**ريتشارد كونواي**" سارحًا في تأملاته:

– امرأة أخرى... ربما. هتف "**إيفشام**" قائلاً:

– إنني أتذكر "**كابل**" في تلك الليلة جيداً، لقد كان في قمة السعادة والغبطة وكأنه شرب كأس السعادة، لكنه أيضًا كان يبدو وكأنه يتحدى الحياة ويتحدى

الأقدار. وفي تلك اللحظة رفع السيد "**ساترثويت**" بصره إلى أعلى. وتأكد أن "**أليانور بورتال**" كانت لا تزال في مكانها، ساكنة تمامًا دون حراك. قال "**ريتشارد كونواي**" مؤكدا قول صديقه:

– هذا صحيح، كان "**كابل**" يترنح من فرط النشوة. كان يبدو كالمقامر الذي لعب بكل أمواله وكان الربح من نصيبه على الرغم من ضآلة فرصته. وهنا تدخل "**بورتال**" قائلاً:

– أم ربما كان يستمد الشجاعة للإقدام على ما اعتزم أن يفعله.. الانتحار. قال "**إيفشام**" معارضًا بقوة:

– كلا، كلا، لم يكن الأمر كذلك. إنني أستطيع أن أقسم أن الانتحار لم يكن ليخطر في باله. إن "**كونواي**" على حق... كان "**كابل**" أشبه بمقامر لعب بكل مامعه وربح أكثر مما كان ينتظر، ومن ثم فهو لا يكاد يصدق ما حققه فعلاً. لكن "**ريتشارد كونواي**" قال وهو يهز كتفيه:

– وعلى الرغم من هذا فقد قتل نفسه بعد ذلك بعشر دقائق فقط. ساد الصمت برهة إلى أن دق "**إيفشام**" بقبضته على المنضدة بعنف وصاح:

– لابد أن شيئًا ما قد حدث في خلال هذه الدقائق العشر. ولكن ما هو هذا الشيء؟ يجب علينا أن نفكر بإمعان. كنا في تلك الليلة هنا نتبادل الحديث جميعًا، لكن "**كابل**" نهض فجأة عندئذ وصعد إلى غرفته. وهنا تساءل السيد "**كوين**" :

– لماذا؟

– لا أتذكر، لم نهتم بالسبب في ذلك الوقت.. أوه... تذكرت... لقد كان ساعي البريد. ألا تتذكر يا "**كونواي**" انفعالنا عندما سمعنا رنين جرس الباب؟ كان انفعالنا لأننا لم نر أحداً منذ ثلاثة أيام يقبل في خلالها على البيت بسبب انهمار الثلوج في الخارج. كانت العاصفة الثلجية قد استمرت مدة طويلة لم يحدث مثلها منذ سنوات، وقد أغلق الطريق بسبب تراكم الثلوج فلا رسائل ولا صحف ولا مجلات. وعندما سمعنا الجرس اتجه "**كابل**" نحو الباب ليفتحه، وسرعان ما عاد بحزمة من الخطابات والصحف. فتح إحدى الصحف ليرى ما إذا

كانت هناك أحداث مثيرة، ثم صعد بالخطابات إلى حجرته، وبعد دقائق معدودة سمعنا صوت طلقة المسدس! كان انتحاره بلا سبب. قال "**بورتال**" :

– بل يمكن معرفة السبب. لعله قرأ نبأ لم يكن ليتوقعه في أحد الخطابات. قال "**كونواي**" :

– لقد فكرنا في ذلك الاحتمال جيداً. وكان هذا هو أول سؤال وجهه إلينا المحقق، لكن ثبت بالدليل القاطع أنه لم يفتح خطابًا واحداً. ذلك أن حزمة الخطابات وجدت بكاملها على خزانة الحجرة دون أن يُفتح أي منها. قال "**بورتال**" :

– هل أنتما على ثقة بأنه لم يقرأ خطابًا واحداً ثم مزقه بعد ذلك؟

– لم يفتنا هذا أيضاً، لكننا بعد بحث دقيق لم نجد في حجرته أو في المدفأة أو في أي مكان آخر بقايا خطاب محترق أو ممزق.

– هذا عجيب جداً. قال "**إيفشام**" في صوت منخفض:

– كان الحادث عموماً مفزعاً مفاجئاً لا سبب له. ولقد صعقنا أنا و"**كونواي**" عند صعودنا إلى الحجرة – بعد سماعنا الطلق الناري – لنجده جثة هامدة. قال السيد "**كوين**" :

– ولم يكن هناك ما يمكن عمله سوى الاتصال بمركز الشرطة بالتليفون؟

– لم يكن بالمنزل تليفون عندما وقع الانتحار. ولكن لحسن الحظ كان شرطي المنطقة في المنزل في تلك اللحظة. ألا تذكر ذلك يا "**كونواي**"؟ كان أحد كلاب "**كابل**" قد ضل طريقه في الثلوج في اليوم السابق، وعندما مر به أحدهم ذهب به إلى مركز الشرطة فعرفه شرطي المنطقة وعرف فيه الكلب "**روتر**" الذي يعتز به السيد "**كابل**"، ومن ثم حمله الشرطي إلى منزل صاحبه في اليوم التالي، وكان وصول الشرطي بعد صعود "**كابل**" إلى حجرته بدقيقتين تقريباً، ذلك لأنني أتذكر أننا سمعنا الطلق الناري بمجرد دخول الشرطي إلى المطبخ ليعد لنفسه قدحاً من الشاي. يا إلهي! لقد أنقذنا ذلك الشرطي من الموقف الصعب الذي وجدنا أنفسنا فيه. قال "**كونواي**" وهو يستعيد ذاكرته:

– يا إلهي! ما أسوأ تلك العاصفة الثلجية التي تعرضنا لها عندئذ. أظن أننا كنا

في أوائل شهر كانون الثاني (يناير) . قال "**إيفشام**" :

– كلا، كنا في شهر شباط (فبراير)؛ ذلك لأننا قمنا برحلة إلى الخارج بعد وقوع حادث الانتحار بفترة قصيرة.

– لا أوافقك، إني واثق بأن الوقت كان شهر كانون الثاني (يناير)؛ لأن حارسي العجوز قد أصيب في ساقه بعد الحادث بأيام عديدة، وكان ذلك في شهر كانون الثاني (يناير) .

– حسناً، لابد من أننا كنا عندئذ في أواخر شهر كانون الثاني (يناير) . من الصعب أن يتذكر الإنسان تاريخ مثل هذه الأحداث بدقة بعد مرور سنوات عديدة. وهنا تدخل السيد "**كوين**" في الحديث قائلاً :

– هذا صعب حقًا، لكن المرء قد يتذكر بدقة حادثًا معينًا لو كان مقترنًا بحدوث حادث آخر مثير، له اهتمام عام مثل مقتل ملك أو أمير أو قضية من القضايا العامة. وهنا صاح "كونواي" :

– نعم، نعم، يا للعجب، لقد وقع الحادث قبل قضية "**أبلتون**" مباشرة. قال "**إيفشام**" :

– تعني بعدها مباشرة؟

– كلا، كلا، الا تذكر أن "**ديرك كابل**" كان يعرف عائلة "**أبلتون**" جيداً. وكان قد أمضى الربيع الأسبق مع السيد "**أبلتون**" العجوز.. كان ذلك قبل موت "**أبلتون**" بأسبوع واحد. وقد كان "**أبلتون**" في الحقيقة رجلاً مكروها، ولابد من أن تكون زوجته الجميلة قد عانت الكثير في حياتها معه، ولم يكن أحد يشك عندئذ في أنها دست له السم لتتخلص منه. قال "**إيفشام**" :

– نعم، يا للسماء، أتذكر الآن أنني قرأت خبراً في الجريدة التي أحضرها ساعي البريد مع خطابات "**ديرك كابل**" . وجاء في ذلك الخبر أن وكيل النيابة أصدر أمرا باستخراج جثة العجوز "**أبلتون**" كي تشرح لمعرفة سبب الوفاة. لقد قرأت ذلك النبأ دون أن أعيره اهتماماً؛ لأني كنت مستغرقًا وقتئذ في التفكير في جثة صديقي "**كابل**" الهامدة والملقاة في غرفته في الطابق الأعلى. قال السيد "**كوين**" :

– إن هذه ظاهرة فكرية عجيبة على الرغم من أنها شائعة. ففي ساعة الأزمات

يتركز تفكير الإنسان في أشياء تافهة تظل عالقة بذهنه أعوامًا كثيرة بعد ذلك، ولابد من أن هذه الأشياء تنقش في العقل بسبب حالة الإنفعال الشديد الذي يسيطر على الإنسان لحظة الأزمة. قال **"كونواي"** :

– هذا حقيقي يا سيد **"كوين"**، لقد شعرت الآن فقط وأنت تتكلم بأنني انتقلت إلى حجرة **"ديرك كابل"** حيث كانت جثته مسجاة على الأرض، وأتخيل بدقة الشجرة الضخمة أمام نافذة حجرته وظلالها تسقط على الثلوج المتراكمة تحتها... نعم، إنني أتخيل المنظر بدقة الآن، كل شيء واضح: الشجرة، الظلال، الأرض المغطاة بالثلوج، إنني أكاد أرى كل شيء بعيني الآن، أستطيع أن أرسم المنظر بدقة على الرغم من أنني لم أشعر بأنني تعمدت الالتفات إلى هذا كله عندئذ. قال السيد **"كوين"** :

– هل كانت حجرته هي التي تعلو الشرفة السفلى الكبيرة؟

– نعم، وكانت هناك شجرة زان ضخمة في منعطف الممر المؤدي إلى المنزل. هز السيد **"كوين"** رأسه، وازداد انفعال السيد **"ساترثويت"** وهو يدرك أن كل حركة وكل إيماءة من السيد **"كوين"** تحمل معنى ما. إنه يسعى للوصول إلى شيء ما، ولكن ما هو ذلك الشيء؟ بعد لحظة صمت تحدث **"إيفشام"** قائلاً:

– إنني أتذكر الآن قضية **"أبلتون"**، فقد أثارت ضجة كبيرة في المجتمع، لكن السيدة **"أبلتون"** الرائعة الجمال نجت من الإعدام أليس كذلك؟ لقد كانت بالفعل رائعة الحسن، شقراء ذات شعر ذهبي مما كان يدفع أي إنسان إلى الإعجاب بحسنها. وخيل إلى السيد **"ساترثويت"** أن المرأة المرهفة السمع في الشرفة العليا تزداد انكماشًا على نفسها. لكن شيئًا آخر جذب انتباهه. فقد أسقط **"أليكس بورتال"** كأسه على الأرض مصدرًا صوتًا عاليًا، وبدأ يقول باضطراب:

– آسف، لقد سقطت الكأس من يدي ولا أعرف ما الذي ألم بي. قال له **"إيفشام"** يهدئ من اضطرابه:

– لا تهتم يا صديقي، يا له من شيء غريب! إن تحطم كأسك هذا يعيد إلى ذاكرتي أمرًا ما في قضية **"أبلتون"** .. آه، تذكرت... لقد كسرت السيدة **"أبلتون"** إناء الشراب الذي تعود زوجها أن يشرب منه كأسًا كل ليلة. قال **"كونواي"** معقبًا:

- نعم، نعم، لقد شاهدها أحد الخدم تأخذ الإناء - بعد وفاة زوجها بيوم واحد- وتكسره عن قصد. ولقد كان هذا العمل محل تعليقات من الخدم بالتأكيد، ذلك أنهم كانوا يعرفون جيداً كم هي شقية في حياتها الزوجية، وراجت الشائعات وأخيراً، وبعد مرور شهر على وفاة "**أبلتون**" قدم بعض أقاربه طلبًا لاستخراج الجثة وتشريحها. ولقد فوجئ الجميع حين أثبت تشريح الجثة أن الزوج العجوز قد مات بسم الزرنيخ. ألم يكن الأمر كذلك؟ أجاب "**إيفشام**" :

- كلا، بل بـ "الأستركنين" حسبما أتذكر، لكن ليس لهذا أهمية كبيرة فالمهم أنه مات مسموماً. وحامت التهمة حول شخص واحد هو زوجته الحسناء، وقدمت للمحاكمة لكنها برئت لعدم كفاية الأدلة، والواقع أنها كانت محظوظة فليس هناك من شك في أنها القاتلة. ولم يعرف أحد ماذا كان مصيرها بعد ذلك. قال "**كونواي**" :

- أخالها رحلت إلى "**كندا**" أو "**أستراليا**" . فقد أرسل إليها أحد أعمامها ممن يعيشون في مكان ما هناك لمساعدتها فذهبت إليه. ولفت نظر السيد "**ساترثويت**" أن السيد "**بورتال**" كان يمسك بكاسه بعنف حتى بدت الكأس وكأنها ستتحطم بين أصابعه. قال "**إيفشام**" وهو يملأ كاسه:

- حسنًا، إننا لم نتوصل بعد إلى السبب الذي دعا "**ديرك كابل**" إلى الانتحار. كما أن بحث المحققين لم يتوصل إلى ذلك السبب، أليس هذا ما حدث يا سيد "**كوين**"؟ أطلق السيد "**كوين**" ضحكة ساخرة غريبة دهش لها الجميع قال:

- معذرة أيها السادة، إنكم مازلتم تنظرون إلى الماضي بنفس مشاعركم وأحاسيسكم بالنسبة إلى انتحار "**ديرك كابل**" . لكنني كشخص غريب، أنظر إلى الوقائع بتسلسلها من موقف خال من العواطف الشخصية. سأله "**إيفشام**" بفضول:

- ماذا تقصد يا سيد "**كوين**" ؟ قال "**كوين**" مجيبًا:

- هيا بنا نعد بذاكرتنا إلى الوقت الذي وقع فيه الانتحار منذ عشر سنوات وننظر إلى الأمر بنظرة محايدة. ووقف السيد "**كوين**" موليًا ظهره للمدفأة واستطرد بصوت هادئ:

– أتخيل المنظر هكذا، أنتم تتناولون العشاء. و"**ديرك كابل**" يعلن خطبته، وظننتم أنتم أنه يقصد " **مارجوري ويلك**" . غير أنكم الآن لستم على ثقة بأنها هي الخطيبة التي كان يعنيها، أما هو فكان في حالة سعادة شديدة، سعادة شخص تحدى الأقدار ونجح في ذلك، ثم سمعتم صوت الجرس وجاء ساعي البريد الذي كان قد تأخر ثلاثة أيام بفعل العاصفة الثلجية، وتسلم "**كابل**" بريده والصحف لكنه لم يفتح خطابًا واحداً بل قرأ إحدى الصحف. إننا لا نعرف ما الذي كان في تلك الصحيفة الصادرة منذ عشر سنوات لكن كان فيها بالتأكيد خبر صدور أمر وكيل النيابة باستخراج جثة "**أبلتون**" لتشريحها للتوصل إلى سبب الوفاة بناء على طلب أقاربه. حدق إليه كل من "**ريتشارد كونواي**" و"**إيفشام**" بدهشة وقالا:

– ماذا؟

– وصعد "**ديرك كابل**" ببريده مباشرة إلى حجرته، ومن حيث وقف في حجرته شاهد شيئًا؛ وذلك لأن السير "**ريتشارد كونواي**" قال لنا الآن إن ستائر النافذة لم تكن مسدلة عندئذ وأنه رأى – عندما صعد إلى الحجرة وبعد سماع الطلق الناري – شجرة الزان والممر وضوء القمر على الجليد. فما الذي رآه "**كابل**" في تلك اللحظة؟ ما هو هذا الشيء الذي دفعه إلى الانتحار؟ قال "**كونواى**" فاغرا فاه دهشة:

– ماذا تقصد؟ ما الذي يمكن أن يكون قد رآه؟

– أظن أنه رأى الشرطي، الشرطي الذي قدم إلى المنزل ليعيد الكلب المفقود، لكن "**كابل**" لم يكن ليعرف هذا السبب فظن أن الشرطي قد قدم لسبب آخر. وتوقف السيد "**كوين**" لحظة كي يستوعب الجميع معنى كلماته، فجأة هتف "**إيفشام**" :

– يا لله، هل تقصد أنه هو الذي قتل العجوز "**أبلتون**"؟ لقد مات العجوز بعد أن غادر "**كابل**" بيته بأسبوعٍ، وعندما مات لم يكن هناك سوى زوجته فقط.

– لكنه كان موجوداً قبل الوفاة بأسبوع واستطاع عندئذ أن يضع سم "الأستركنين" في إناء الشراب. ومادة "الأستركنين" كما نعلم جيداً لا تذوب بسرعة في الكحول، وهكذا تترسب في القاع ولا تحدث الوفاة إلا عند شرب الكأس

الأخيرة أو التي قبلها. فإذا كان من عادة "**أبلتون**" أن يشرب كاسًا واحدة في اليوم فإن الوعاء لا يفرغ إلا بعد عشرة أيام أو أكثر. وفي تلك اللحظة قفز السيد "**بورتال**" واقفًا وقال بعصبية:

– ولكن لماذا كسرت زوجته الوعاء عن قصد؟ أخبرني بالسبب. لماذا؟ وللمرة الأولى وجه السيد "**كوين**" حديثه إلى السيد "**ساترثويت**" قائلاً:

– إن خبرتك بالحياة عميقة يا سيد "**ساترثويت**" وقد تستطيع أن تخبرنا بالسبب. وانطلق صوت السيد "**ساترثويت**" بانفعال بعد أن أيقن أن عليه الآن أن يلعب دوره بعد أن جلس كثيرًا في موقف المتفرج. قال بتواضع:

– أعتقد أن الزوجة كانت واقعة في غرام "**ديرك كابل**"، في نفس الوقت زوجة مخلصة ومن ثم طلبت إلى "كابل" أن ينصرف من المنزل قبل أن يتمادى في غرامه. فلما مات "**أبلتون**" ساورها الشك في "**كابل**" وخمنت أنه هو الذي وضع الاستركنين في إناء الشراب لزوجها، فأسرعت بتحطيم الإناء حتى تنقذه من العقاب. وأظن أنه حاول إقناعها بعد ذلك أن شكوكها فيه ليست صحيحة فقبلت أن تتزوجه لكنها طلبت إليه أن ينتظر بعض الوقت، ذلك أن المرأة في العادة لها إحساس مرهف. انتهى "**ساترثويت**" من كلامه وسمع الجميع صوت زفرات عميقة. وكان "**إيفشام**" أول من قال:

– يا إلهي، ما هذا الصوت؟ ولقد كان "**ساترثويت**" يستطيع أن يجيبه بأن "**أليانور بورتال**" المنكمشة في الشرفة العليا هي التي أصدرته، لكنه آثر السكوت حتى لا يعكر ذلك الجو المشحون بالإثارة وحب الاستطلاع. ابتسم السيد "**كوين**" وقال:

– لابد من أن سائقي قد أصلح عطب سيارتي. أشكرك يا سيد "**إيفشام**" على حسن استقبالك ولعلي أكون قد أسديت خدمة إلى صديقي المنتحر. أخذ الجميع يحدقون النظر إليه في حين استطرد هو يقول:

– إن هذه النقطة لم تخطر لكم على بال. لقد أحب "**كابل**" السيدة "**أبلتون**" الجميلة إلى حد الجنون فأقدم على قتل زوجها العجوز. وعندما شعر بأن جريمته قد انكشفت قتل نفسه تاركًا إياها تواجه التهمة بمفردها. قال "**إيفشام**":

– لكن المحكمة برأت ساحتها.

– نعم، لعدم كفاية الأدلة، لكن ربما تكون الآن في ذلك الموقف العصيب نفسه. وهنا انهار "**أليكس بورتال**" في مقعده وغطى وجهه بيديه في حين استدار السيد "**كوين**" يحدث "**ساترثويت**" قائلاً:

– إلى اللقاء يا سيد "**ساترثويت**" لابد من أنك مهتم بهذه المسرحية الواقعية، أليس كذلك؟ هز السيد "**ساترثويت**" رأسه في دهشة في حين حيا السيد "**كوين**" الجميع واستدار عنهم لينصرف فجأة كما جاء فجأة. صعد السيد "**ساترثويت**" إلى حجرته في الطابق الأعلى، وبينما كان يسدل ستائر نافذته شاهد السيد "**كوين**" وهو يتجه نحو سيارته. وفجأة فتح أحد الأبواب الجانبية للمنزل وظهرت منه امرأة أخرى تعدو نحو السيد "**كوين**". وعندما لحقت به تبادلت معه حديثًا قصيراً، ثم عادت أدراجها نحو المنزل، وحين كانت تقترب تحت نافذة "**ساترثويت**" أدهشه التغير الذي لمحه على وجهها، فلم يعد ذلك الوجه الشاحب الجامد، بل أصبح وجها جديداً يوحي بالحيوية والسعادة، وجه امرأة هبطت عليها السعادة فجأة. وسمع صوتًا يناديها باسمها:

– "**أليانور**". وانضم إليها زوجها "**بورتال**" واستطرد قائلاً:

– عزيزتي "**أليانور**"، أرجو صفحك، لقد كان ما أخبرتني به عن الحادث هو الصدق، لكنني قبل اليوم لم أصدقك، لم أستطع. هل يمكن أن تغفري لي؟ رأى السيد "**ساترثويت**" أن يغلق النافذة فهو رجل مهذب لا يحب استراق السمع. لكنه استطاع أن يسمع قبل أن يتم إغلاقها "**أليانور**" وهي تقول:

– أعرف يا "**أليكس**" أعرف، أعرف أنك كنت تعيش في جحيم. ولقد شعرت بمثل هذا الشعور في وقت ما، عندما شككت في "**ديرك كابل**" قاتل زوجي السابق "**أبلتون**"، عشت في جحيم من الشك والحب ولابد من أن مشاعرك كانت هكذا أيضًا وأنت تظن أنني القاتلة. لقد كان حبك لي يصارع شكوكك، طوال هذه السنوات، وقد كنت أنا أيضًا أعاني الأمرين لهذا السبب؛ لأنني كنت أحس أنك تخافني؛ على الرغم من حبك لي، تخاف مني أن أقتلك يومًا كما ظننت أني قتلت زوجي السابق "**أبلتون**". وأخيراً جاء هذا الرجل الغريب الذي كشف عن

الحقيقة كاملة والذي اختفى فجأة بعد – كما جاء فجأة – أن أنقذنا، أنا وأنت، من العذاب الذي كنا نعيش فيه. بل إنه أنقذني أنا من الموت، ذلك أنني كنت أنوي أن أنتحر الليلة بعد أن فقدت كل أمل في الحياة معك في سعادة...

بقعة الدم

أهم الشخصيات :

"**ساترثويت**" :صديق السيد "**كوين**" وهو رجل ثرثار يتسلى بالفرجة على الحياة

"**هارلي كوين**" :زائر الليل. وهو شخص لا يراه أحد إلا حين يختار هو.

السيد والسيدة "**إنكرتون**" : صاحب الدعوة

الليدي "**سينثيا دريج**" : صديقة الأسرة

السيد "**ريتشارد سكوت**" : رحّالة وصياد

السيدة "**مايورا سكوت**" : زوجة السيد "**ريتشارد سكوت**"

الرائد "**بورتر**" : زميل وصديق السيد "**ريتشارد سكوت**"

السيدة "**إيريس ستافرتون**" : كانت على علاقة بالسيد "**سكوت**"

النقيب "**جيمي ألينسون**" : صديق السيد "**سكوت**"

السيد "**إيفشام**" : كان يقيم في غرفة الشبح حين طلق زوجته

السيد "**ستانلي**" : كان يقيم في غرفة الشبح قبل أن يهرب من زوجته

بقعة دم

أمسكت الليدي "**سينثيا**" بإحدى الصحف تقرأ الخبر التالي على السيد "**ساترثويت**":

السيد والسيدة "**إنكرتون**" يقيمان حفلة في نهاية الأسبوع في بيتهما في "**جريثوان هاوس**". ومن بين المدعوين: الليدي "**سينثيا دريج**"، السيد "**ريتشارد سكوت**" وزوجته، والرائد "**بورتر**"، والسيدة "**ستافرتون**"، والنقيب "**ألينسون**" والسيد "**ساترثويت**". واستطردت تقول وهي تلقي بالصحيفة جانبًا:

– يجدر بالإنسان أن يعرف الأشخاص الذين سيكون مدعوًّا معهم إلى حفل ما. هز السيد "**ساترثويت**" رأسه موافقًا في حين استطردت هي قائلة:

– هل سبق لك أن عرفت السيد "**سكوت**" مثلاً؟

– نعم، أليس هو صياد الوحوش الذائع الصيت؟

– هو نفسه، صياد "الأسود والنمور" طبقا للأغنية. ولابد من أن عائلة "**إنكرتون**" سرهم أن يقبل دعوتهم بالإضافة إلى عروسه الجميلة التي تصغره بأعوام كثيرة. فهي في حوالي العشرين بينما هو في الخامسة والأربعين. يا لها من بائسة.. أدهش "**ساترثويت**" قولها. ذلك لأن الليدي "**سينثيا**" كانت تقترب من الأربعين وتحاول أن تعيد الشباب لوجهها الجامد بالمساحيق. قال:

– بائسة، ولكن لماذا؟ لم تجب عن سؤاله بل وجهت إليه نظرة عتاب وقالت:

– أما الرائد "**بورتر**" فلا ضير عليه فهو صياد وحوش أيضًا، أسمر البشرة يتسم بالهدوء وهو صديق حميم لـ "**ريتشارد سكوت**"، وأظن أنهما يتلازمان في رحلاتهما وكان معه في تلك الرحلة.

– ما الرحلة التي تقصدينها؟

– رحلة في "**إفريقيا**" نظمتها السيدة "**ستافرتون**"... لا يمكنك القول إنك لا تعرفها.

– بل سمعت عنها. غمزت الليدي "**سينثيا**" بعينها وأردفت:

– ما كان يجب على عائلة "**إنكرتون**" أن تدعوها إلى هذا الحفل الذي دُعي

إليه "**ريتشارد سكوت**" بعد أن تزوج مؤخرًا. لقد كانت السيدة "**ستافرتون**" في تلك الرحلة الأخيرة في "**إفريقيا**"، وتناقل الناس إشاعة عن وجود علاقة حب بينها وبين "**ريتشارد سكوت**". أما كيف قبلت هذه المرأة دعوة "**إنكرتون**" فهذا لا أعرفه.

– لعلها لم تعلم أن "**ريتشارد سكوت**" وزوجته من بين المدعوين.

– لا، إنها تعرف ذلك جيداً، لكنني أظن أنها امرأة خطيرة لا تتراجع عن تنفيذ أهدافها. إنني أرثي لحال "**ريتشارد سكوت**" من الآن.

– ولكن ماذا عن زوجته؟ هل تعرف بعلاقة زوجها السابقة مع السيدة "**ستافرتون**"؟

– كلا، لكن بعض المدعوين سوف يخبرونها بالتأكيد في أقرب فرصة. آه. هذا هو "**جيمي ألينسون**". إنه شاب ظريف عاملني برقة شديدة عندما كنا نقوم بزيارة لـ "مصر" في الشتاء الماضي. يا "**جيمي**"، تعال إلينا. وامتثل النقيب "**ألينسون**" طلبها وتقدم ليجلس معها في الشرفة. كان شابًا وسيمًا في نحو الثلاثين يبدو عليه المرح قال:

– يسرني أن هناك من يطلبني فالجميع مشغولون باللعب هنا وهناك ولقد كنت أخشى أن تلتفت إليّ مضيفتي السيدة "**إنكرتون**" وتحاول تسليتي، فهذه كارثة. ضحكت الليدي "**سينثيا**" في حين استطرد "**ألينسون**":

– وأكثر ما كنت أخشاه هو أن تعيد على مسامعي قصة شبح العائلة. صاحت الليدي "**سينثيا**" في دهشة:

– شبح عائلة "**إنكرتون**"؟ ما هذا بحق السماء؟ قال السيد "**ساترثويت**" في هدوء:

– كلا، ليس شبح عائلة "**إنكرتون**" بل شبح عائلة "**جرينواي**"، أصحاب المنزل السابقين، ولقد اشترى "**إنكرتون**" المنزل ومعه الشبح.

– آه... نعم، أتذكر ما يقال عن هذا الشبح؟ ليس شبحًا عنيفًا. لكنه على ماأذكر شبح هادئ، شبح نافذة. قال النقيب "**ألينسون**" بدهشة:

– شبح نافذة؟ لم يجبه "**ساترثويت**" على تساؤله؛ لأنه كان ينظر إلى ثلاثة

أشخاص يتجهون نحو المنزل: رجلين طويلين بينهما فتاة ممشوقة القوام. وكان كل من الرجلين أسمر البشرة، سريع النظرات لكنهما مختلفان فيما عدا ذلك. كان أحدهما هو الرحالة والصياد "**ريتشارد سكوت**"، وهو رجل قوي الشخصية ذو جاذبية ورقة في تصرفاته. أما زميله وصديقه الرائد "**بورتر**" فهو رجل جامد الوجه هادئ التقاطيع، أما "**مايورا سكوت**" التي كانت قد تزوجت "**ريتشارد سكوت**" منذ ثلاثة أشهر فقط فكانت جميلة ذات شعر ذهبي وعينين واسعتين. قال "**ساترثويت**" لنفسه: "لا يجب أن يصيب هذه الفتاة أي أذى، ليس لها أن تقاسي من مآسي الحياة". رحبت الليدي "**سينثيا**" بالثلاثة ثم قالت:

– تفضلوا بالجلوس لتستمعوا للسيد "**ساترثويت**" وهو يقص قصة شبح النافذة. قال "**ريتشارد سكوت**" متسائلاً:

– شبح "**جرينواي**"!

– نعم، هل تعرف قصته؟

– نعم، كنت أحضر إلى هنا قبل أن تبيعه عائلة "**ألبرت**". وهم يلقبون الشبح باسم "الفارس الرقيب" أليس كذلك؟ وهنا ارتفع صوت زوجته "**مايورا**" قائلة:

– فارس رقيب يبدو وكأن القصة تستحق الاستماع حقًا. اروها لنا يا سيد "**ساترثويت**". حاول "**ساترثويت**" أن يتنصل قائلاً إنها قصة غير مشوقة، لكنه انصاع لرغبتهم بناء على إلحاحهم وبدأ يقول:

– أظن أنها تدور حول فارس من جدود أسرة "**ألبرت**" كانت زوجته واقعة في غرام عشيق من حزب معارض، ولقد قتل العشيق الزوج وهرب بزوجته. وقد وقع القتيل في إحدى حجرات الطابق الأعلى. ولكن العشيقين وهما يفران هربا من المنزل استدارا ليلقيا نظرة أخيرة، فشاهدا في نافذة الحجرة التي تمت فيها جريمة القتل وجه الزوج المقتول يسلط عليهما نظراته. هذه هي الأسطورة، لكن المثير هو أن زجاج النافذة يبدو من قريب نظيفًا لا أثر للبقع فيه ولكن من ينظر إليه من بعيد يخيل إليه أن هناك وجهًا لفارس يحدق بنظراته. رفعت السيدة "**سكوت**" بصرها نحو واجهة المنزل وقالت:

– أية نافذة تلك التي يظهر فيها؟

– في الجانب الخلفي من المنزل، إنك لا تستطيعين رؤيتها من حيث أنت. لقد كُسيت جدران الحجرة بألواح خشبية من الداخل منذ زمن طويل، وأغلقت الألواح النافذة من الداخل.

– لكن لماذا أغلقوها؟ تقول إن الشبح لا يبارح النافذة.

– نعم، لكن الأقاويل ازدادت فرأى أصحاب المنزل السابقون أن يضعوا نهاية للأقاويل. ثم غير السيد "**ساترثويت**" الموضوع في لباقة ليتحدث الجميع عن أوراق اللعب ومعرفة الحظ إلى أن قال "**ريتشارد سكوت**" وهو يضحك:

– إن "**مايورا**" حاولت أن تعرف من إحدى الغجريات ما ينتظرها في مستقبل حياتها لكن الغجرية اعادت لها نقودها ورفضت أن تفعل هذا أبداً. قالت "**مايورا**":

– لعلها رأت في صفحات مستقبلي أشياء فظيعة وآثرت ألا تثير فزعي. قال "**ألينسون**" مبتسماً:

– أوه، لا تستسلمي للتشاؤم يا سيدة "**سكوت**" فإن السعادة الدائمة في انتظارك. قال السيد "**ساترثويت**" لنفسه: "أتمني أن يكون كلامك صحيحاً، ولكن" وفجأة لفت نظره امرأتان تقتربان منهم، أحداهما قصيرة سمينة ذات شعر أسود وثوبها أخضر اللون، أما الأخرى فطويلة القامة ترتدي ثوباً أبيض اللون. كانت السيدة الأولى معروفة للسيد "**ساترثويت**"، فهي السيدة "**إنكرتون**"، أما الأخرى فلم يكن ليعرفها. قالت السيدة "**إنكرتون**":

– هذه هي السيدة "**ستافرتون**" قد وصلت، لقد اجتمع الشمل الآن. حدق السيد "**ساترثويت**" إلى السيدة "**ستافرتون**" ولاحظ أنها تتحدث وتتحرك بطريقة غير مفتعلة. قالت لـ "**ريتشارد سكوت**" دون اهتمام:

– أهلاً يا "**ريتشارد**"، إنني لم أرك منذ وقت طويل. إنني آسفة إذ لم أستطع الحضور لحفل زفافك. هل هذه هي زوجتك؟ لا شك يا عزيزتي في أن الحديث عن الصيد مع أصدقاء زوجك قد أصابك بالملل. ردت عليها "**مايورا**" برقة بينما كانت السيدة "**ستافرتون**" تكاد تخترقها بنظراتها. ثم تحولت الليدي "**سينثيا**" لتتحدث إليها ببساطة جعلت السيد "**ساترثويت**" يدرك أنها امرأة ماهرة،

تعرف كيف تخفي أحاسيسها تحت غطاء ناعم. كان شعرها الذهبي وعيناها الزرقاوان وابتسامتها الدائمة توحي بشيء آخر. وجلست السيدة "**ستافرتون**" ومضت تستأثر باهتمام الجميع. حدث هذا بسرعة أدهشت السيد "**ساترثويت**". لكن حين تذكر أن الرائد "**بورتر**" كان قد طلب إليه أن يتجولا في الغابة القريبة فقد نهض الاثنان وسارا في الممر المؤدي إلى خارج المنزل. قال له الرائد "**بورتر**":

– إن القصة التي رويتها لنا عن الشبح مثيرة للعجب حقًا.

– سوف أريك النافذة التي كان الشبح يظهر خلفها. وانطلقا إلى الناحية الغربية حيث كانت هناك حديقة صغيرة أطلق عليها "الركن الخاص" ويخفيه عن بقية الحديقة سور مرتفع من النباتات المتسلقة فضلا على أن الممر المؤدي إليه كان مليئًا بالنباتات التي يحيط بها السور المرتفع أيضًا. ومن ثم فقد كان "الركن الخاص" يشعر من فيه بأنه في عالم مستقل تحيطه الزهور والورد. وعندما وصلا إلى منتصف المسافة أشار السيد "**ساترثويت**" إلى المنزل الذي كان يمتد من الشمال إلى الجنوب، أما هذا الجانب الغربي العتيق فقد كانت فيه نافذة في الطابق الأول تكاد تصل إليها النباتات المتسلقة وبدا لهما زجاجها وخلفه الألواح الخشبية من الداخل. وتولى السيد "**ساترثويت**" الشرح قائلاً:

– ها هي النافذة والألواح الخشبية تخفيها عمن ينظر إليها من داخل الحجرة.

حدق الرائد "**بورتر**" بنظره وقال:

– إنني لا أرى شيئًا غير عادي.

– ذلك لشدة قربك من النافذة. تعال إلى ذلك المرتفع القريب حيث يمكنك أن تلقي نظرة إلى النافذة من بعيد. وخرجا من "الركن الخاص" وتقدما إلى اليسار في الطريق المؤدي إلى الغابة، وقال "**ساترثويت**" مستطردًا:

– كان لابد أن يفتحوا نافذة ثانية في الناحية الأخرى من الحجرة، نفس الحجرة التي سوف يقيم فيها "**ريتشارد سكوت**" وزوجته، وهذا ما حملني على عدم الإفاضة في الحديث عن الشبح، لقد خشيت أن تهتز أعصاب السيدة "**سكوت**" حين تعلم أنها ستنام في حجرة يسكنها شبح قتيل. ولما لم يجب "الرائد "**بورتر**"" بشيء نظر إليه السيد "**ساترثويت**"، فوجده شاردًا لكنه ما لبث أن قال كأنما

يتحدث إلى نفسه :

– نعم، نعم، ما كان ينبغي لها أن تحضر إلى هذا المنزل أبداً. لم يكن "**بورتر**" يتوقع من "**ساترثويت**" رداً لكن هذا أجاب قائلاً وهو يظن أنه يقصد السيدة "**ستافرتون**" :

– هل هذا رأيك؟

– لقد كنت معهما في تلك الرحلة : "**ريتشارد**" وأنا و"**إيريس ستافرتون**" ، هذه المرأة الرائعة، لكن لم كانت من بين المدعوين؟

– ربما كنا عائلة "**إنكرتون**" تجهل ما حدث.

– سوف تحدث أحداث، فلا بد أن نكون حذرين، حتى تمر عطلة نهاية الأسبوع على ما يرام.

– ولكن لا شك في أن السيدة "**ستافرتون**" . . .

– إنني أقصد "**سكوت**" . هل ترى أن السيدة "**سكوت**" سوف يصيبها شيء عندما تعرف الحقيقة؟

– هل تستطيع أن تخبرني كيف التقى "**سكوت**" بزوجته؟

– كان ذلك في الشتاء الماضي عندما كانا معا في رحلة في "**مصر**" وقد وقع كل منهما في غرام الآخر بسرعة وهمية. فقد تمت الخطبة بعد ثلاثة أسابيع والزفاف في ستة أسابيع.

– من الواضح أنها فتاة لطيفة ذات جاذبية. قال "**بورتر**" :

– هذا صحيح، وهو يحبها جداً لكنني مازلت أقول إنه ما كان يجب عليها أن تحضر إلى هنا. كانا قد وصلا إلى مرتفع خالٍ من الأشجار، فاستدار "**ساترثويت**" وقال :

– انظر إلى النافذة. ورغم الشفق كانت النافذة واضحة تماماً وقد بدا من خلفها وجه رجل على رأسه قلنسوة في أعلاها ريشة طائر. قال "**بورتر**" متعجباً :

– هذا غريب. لكن ما الذي يحدث لو تحطم لوح النافذة الزجاجي؟

– هذه هي إحدى النواحي المثيرة في الموضوع لقد استبدلوا هذا اللوح عشر مرات أو أكثر، وكانت المرة الأخيرة منذ أكثر من عشر سنوات لكن البقع التي

تكون شكل الشبح تظهر في كل زجاج جديد. لكن الوجه لا يظهر دفعة واحدة وإنما يتكون قليلاً قليْلاً في فترة تمتد إلى شهرين تقريبًا. وشعر الرائد "**بورتر**" برعدة خفيفة تسري في جسده وقال في اهتمام:

– هذا غريب. إنها ظاهرة ليس لها تفسير. ولكن ما فائدة وضع الألواح الخشبية خلف النافذة إذا كان الحال كذلك؟

– لقد كثرت الأقاويل بأن الغرفة تجلب النحس فقد كان السيد "**إيفرشام**" يقيم فيها حين طلق زوجته. وأقام فيها "**ستانلي**" وزوجته قبل أن يهرب مع فتاة مغنية في كورس. نظر إليه "**بورتر**" بدهشة وقال:

– إن الخطر إذن ليس على حياة من يقيمون في الحجرة ولكن الخطر على أخلاقهم. قال "**ساترثويت**" يخاطب نفسه: "وسوف يقيم بها الآن "**ريتشارد سكوت**" وزوجته فماذا يا ترى سيحدث؟". سار الاثنان في طريق العودة إلى المنزل وقد ران عليهما الصمت واستغرق كل منهما في خواطره الخاصة. وبينما كانا يستديران إلى الممر المتجه إلى "الركن الخاص" تناهى إليهما صوت "**إيريس ستافرتون**" وهي تقول:

– إنك سوف تندم بسبب هذا... سأجعلك تندم ندمًا شديداً. لكنهما لم يسمعا صوت "**سكوت**" وهو يجيبها بل سمعا صوتها مرة أخرى يرتفع في حنق:

– هل تعرف ما هي الغيرة؟ إنها تدفع الإنسان إلى اليأس... إلى العذاب. إلى ارتكاب جريمة قتل. احذر يا "**ريتشارد**"، لقد حذرتك. ثم خرجت أمامهما من "الركن الخاص" دون أن تراهما وانطلقت إلى المنزل لا تلوي على شيء. تذكر "**ساترثويت**" كلمات الليدي "**سينثيا**" حين قالت له إنها امرأة خطرة، وانتابه إحساس بقرب وقوع مأساة من نوع ما. لكن هذه المشاعر ما لبثت أن اختفت في المساء فإن كل شيء بدا على أحسن ما يكون. فإن "**إيريس ستافرتون**" كانت هادئة تمامًا وتتحدث ببساطة ورقة، في حين كانت "**مايورا سكوت**" على نفس رقتها وحلاوتها وجاذبيتها لا يبدو عليها انزعاج أو خوف، بل إنها كانت تتبادل الحديث مع السيدة "**ستافرتون**" في مودة كأنهما صديقتان منذ وقت طويل، ثم "**ريتشارد سكوت**" نفسه وقد بدت عليه أمارات السعادة. لم يكن هناك من يبدو

عليه القلق والهم سوى السيدة "**إنكرتون**" . التي قالت للسيدة "**ساترثويت**" على انفراد :

– ربما كنتُ حمقاء سخيفة، لكنني أحس بخوف يغمرني وقد استدعيت صانع الزجاج ودون علم زوجي .

– استدعيت صانع الزجاج؟

– نعم ليغير لوح تلك النافذة . إن زوجي فخور بقصة الشبح الذي يقيم في منزله لكنني لست كذلك . ومن ثم فقد أرسلت في استدعاء صانع الزجاج ليغير اللوح بلوح آخر جديد نظيف .

– ولكن هل نسيت أن وجه الشبح سوف يعود إلى اللوح الجديد بعد حوالي شهرين؟

– لن أستسلم لهذا الشبح . سوف أغير اللوح كل شهر أو كل أسبوعين إذا لزم الأمر . إن ثمن ألواح الزجاج هذه لن يؤدي إلى إفلاسنا على أية حال . أخذ "**ساترثويت**" يقول لنفسه : "والآن سوف يضطر الشبح إلى أن يبحث عن طريقة يحارب بها قوة المال" . لكن الأقدار شاءت أن يستمع "**ساترثويت**" إلى حديث آخر دون قصد . فحين كان يصعد إلى حجرته رأى الرائد "**بورتر**" والسيدة "**ستافرتون**" يتبادلان الحديث في أحد أركان القاعة الكبيرة إلى جوار السلم الداخلي، وسمعها تقول له :

– لم أكن لأعرف أن "**ريتشارد**" وزوجته بين المدعوين . وما كنت لأحضر لو أنني عرفت . أما الآن وقد جئت فلن أهرب بالتأكيد . استمر "**ساترثويت**" في صعوده ولم يسمع بقية الحديث قال لنفسه : "هل هي صادقة فيما قالته؟ ألم تكن تعرف حقًا أن "**ريتشارد**" وزوجته مدعوان مثلها؟ وعندما أتى الصباح شعر أنه كان مغاليًا في أوهامه، ورد تلك الأوهام إلى أعصابه المتوترة وكبده الكسول . وعندما غربت الشمس اقترح على الرائد "**بورتر**" أن يتجولا قليلاً مرة أخرى في الغابة . ومضيا إلى المرتفع كي يشاهدا النافذة ويعرفا ما إذا كانت السيدة "**إنكرتون**" قد غيرت زجاجها أم لا . سار الرجلان ببطء وكان "**بورتر**" كعادته قليل الكلام أما "**ساترثويت**" فقد قال :

– أعتقد أنها كانت أوهامًا تلك التي دفعتنا إلى الاعتقاد أن شيئًا خطيرًا سيقع بالأمس. إن الناس يكتمون مشاعرهم الخاصة في ظروف مثل هذه ويحاولون أن يكونوا ظرفاء عمومًا.

– لعلك تعني الناس الذين أثّرت فيهم الحضارة.

– ماذا تقصد؟

– أقصد أن من عاشوا لفترة طويلة بعيداً عن العالم المتحضر يرتدُّون أحيانًا إلى العالم غير المتحضر الذي ألفوا الحياة فيه. كانا قد وصلا إلى قمة المرتفع، ومن مكانهما استطاعا رؤية وجه الشبح خلف زجاج النافذة. وكان هذه المرة أقرب إلى وجه إنسان حي. قال "**ساترثويت**":

– أظن أن السيدة "**إنكرتون**" لم تستطع تغيير اللوح الزجاجي.

– لابد من أن معارضة زوجها قد منعتها من ذلك، فهو فخور بوجود الشبح وربما كان وجود الشبح هو الذي دفعه إلى شراء المنزل. ثم توقف لحظة قبل أن يستطرد قائلاً:

– ألم يخطر لك أن الحضارة والمدنية شيء خطر جداً؟

– شيء خطر؟

– نعم؛ لأنها خالية من صمامات الأمان النفسي للبشر. صمت السيد "**ساترثويت**" لكنه تساءل وهما يعودان أدراجهما:

– ماذا كنت تعني بذلك يا سيدي الرائد "**بورتر**"؟

– إن هناك أشخاصاً يشعرون بقرب هبوب العواصف وبعضهم يشعر بقرب وقوع أحداث خطيرة، وأنا أحس الآن أن شيئًا خطيراً سيقع. ربما في أية لحظة. وتوقف عن الكلام فجأة ووضع يده على ذراع "**ساترثويت**"، وبعد لحظات معدودة فاجأهما سماع صوت طلقتين ناريتين أعقبتهما صيحة امرأة. صاح "**بورتر**" قائلاً:

– يا إله السماء! هيا بنا! وانطلق يعدو نحو المنزل والسيد "**ساترثويت**" يلهث خلفه. وبعد لحظات وصلا إلى الممر المؤدي إلى "الركن الخاص" في الوقت الذي كان "**ريتشارد سكوت**" والسيد "**إنكرتون**" يجريان قادمين من الناحية الأخرى. توقف الرجال الأربعة على الجانبين الأيسر والأيمن من "الركن الخاص". صاح "**إنكرتون**":

– لقد صدر الصوت من "الركن الخاص". وتقدمهم "**بورتر**" إلى هناك لكنه تسمَّر في مكانه، في منتصف الممر ألقى السيد "**ساترثويت**" نظرة من فوق كتفه في حين أطلق "**سكوت**" صيحة عالية. كان منظراً مخيفاً. فهناك اثنان: شاب وشابة طريحان بجوار مقعد حجري، أما الشخص الثالث فكان السيدة "**ستافرتون**" وقد وقفت إلى جوار سور النباتات توجه نظراتها الفزعة إلى شيء في يدها اليمنى. صاح الرائد "**بورتر**":

– سيدة "**ستافرتون**"، ما هذا الذي تمسكين به بحق السماء؟ تطلعت إليهم بنظرة تتسم بالدهشة والذهول وقالت:

– مسدس! ثم استطردت بعد لحظة بدت دهراً بأكمله:

– لقد التقطته من على الأرض. تقدم السيد "**ساترثويت**" من السيد "**إنكرتون**" و"**ريتشارد سكوت**" اللذين كانا راكعين إلى جوار الجسدين الممددين. هتف "**سكوت**" يقول:

– أسرعوا بالطبيب، لابد من استدعاء الطبيب حالاً. لكن الموت كان أسرع. وسرعان ما كان جسد كل من النقيب "**ألينسون**" و"**مايورا سكوت**" هامدين بلا حركة. أما "**ريتشارد سكوت**" الذي تتأثر أعصابه بسرعة فقد فحص الجسدين وتأكد من موتهما ثم قال وهو يمدد جسد زوجته برفق:

– أصابتها رصاصة في الظهر ونفذت إلى صدرها. وفحص "**جيمي ألينسون**" ليجد أن الرصاصة أصابته من الأمام. قال "**بورتر**" بحزم:

– لا يجب أن يلمس أحدنا شيئاً. يجب أن تجد الشرطة كل شيء كما هو. وظهر الغضب في عيني "**ريتشارد سكوت**" وهو ينظر إلى السيدة "**ستافرتون**" وتقدم نحوها. لكن "**بورتر**" اعترض طريقه ورمقه بنظرة حادة ثم قال:

– كلا يا "**ريتشارد**" إن الظواهر تقول إنها القاتلة قال "**ريتشارد**"

– لكن ظنونك خاطئة.

– إذن ما سبب وجود المسدس في يدها؟ قالت السيدة "**ستافرتون**" مدافعة عن نفسها:

– لقد التقطته من الأرض. قال "**إنكرتون**":

– يجب استدعاء رجال الشرطة فوراً. لابد أن يبقى أحدنا هنا. تطوع السيد "**ساترثويت**" بأن يبقى في "الركن الخاص" حتى ياتي رجال الشرطة. فقال السيد "**إنكرتون**":

– يجب أن نطلع السيدات علي ما حدث. نعم يجب أن نخبر زوجتي والليدي "**سينثيا**". بقي "**ساترثويت**" مثبتاً نظراته على الجثتين الهامدتين وهو يقول لنفسه بأسف: "يا لك من تعسة أيتها الطفلة، لقد رحلت في عمر الزهور". وأخذ يتأمل وجهها الجميل وشبح ابتسامة تلوح على شفتيها. ثم انتقل إلى شعرها الذهبي، ثم أذنها الرقيقة الرفيعة.. وهنا لاحظ وجود بقعة من الدم على قمة أذنها. فوراً اعتراه شعور بأن هذا يحمل معنى ما يجب استنتاجه. لابد من أن بقعة الدم ناتجة من قرط كان في أذنها... هذا صحيح، ذلك لأنه كان في الأذن الأخرى (فردة) قرط صغيرة على شكل حبة لؤلؤ.

*****

قال المحقق "**ونكفيلد**" بعد أن استجوب الجميع ثم جلس معهم في البهو الكبير:

– والآن يا سيدي الرائد "**بورتر**"، قلت لي إنك والسيد "**ساترثويت**" كنتما عائدين من الغابة عندما سمعتما طلقتين نازيتين أعقبتهما صرخة نسائية عالية. فهرعتما نحو الممر الذي يؤدي إلى "الركن الخاص" من الناحية اليسرى هل هذا ماحدث؟

– بالضبط.

– معنى هذا أنه لو حاول أحد الهرب من "الركن الخاص" لكان قد اصطدم بكما أو اصطدم بالسيد "**إنكرتون**" والسيد "**سكوت**" القادمين من الناحية الأخرى؛ وذلك لأنه ليس هناك مدخل آخر لـ "الركن الخاص".

– هذا صحيح يا سيدي المحقق.

– هذا حسن. وفي الوقت الذي كنتما تمضيان في الغابة كان السيد "**إنكرتون**" وزوجته والليدي "**سينثيا**" جالسين في الممشى الرئيسي المؤدي إلى

المنزل، هذا في الوقت نفسه الذي كان فيه السيد "**سكوت**" جالسًا في حجرة البليارد والتي تفتح على هذا الممشى. وفي الساعة السادسة وعشر دقائق خرجت السيدة "**ستافرتون**" من المنزل وتحدثت إلى الجالسين ثم انطلقت في طريقها إلى "الركن الخاص". بعد ذلك بدقيقتين اثنتين دوت الطلقتان الناريتان، وبعدهما انطلق السيد "**سكوت**" والسيدة "**إنكرتون**" من الناحية اليمنى للمنزل في نفس اللحظة التي كان السيد "**ساترثويت**" والرائد "**بورتر**" يهرعان إلى الركن الخاص من الناحية اليسرى. وفي "الركن الخاص" رأيتم جميعًا: السيدة "**ستافرتون**" والمسدس في يدها اليمنى، مسدس انطلقت منه رصاصتان، وطبقا لتقديري فإنها أطلقت أولاً رصاصة على السيدة "**سكوت**" في ظهرها وهي جالسة على المقعد الحجري، وعندما قفز إليها النقيب "**ألينسون**" عاجلته برصاصة ثانية في صدره، وقد فهمت أنه كانت هناك علاقة غرامية سابقة بينها وبين السيد "**سكوت**". قال "**بورتر**" في حنق:

– هذه كذبة لعينة. قال السيد "**ساترثويت**":

– وما تفسير السيدة "**ستافرتون**" لما حدث؟

– قالت إنها ذهبت إلى "الركن الخاص" لتختلي بنفسها، وحين بلغت المنحنى الأخير سمعت الطلقتين النازيتين، فهرعت إلى مصدر الصوت، ورأت المسدس ملقى على الأرض فالتقطته لكنها لم تشاهد أحداً يدخل "الركن الخاص" أو يخرج منه. رأت فقط القتيلين ممددين إلى جوار المقعد الحجري. هذه هي أقوالها التي تصر عليها. قال الرائد "**بورتر**" في إصرار:

– إذا كان هذا هو ما قالته فهي صادقة. إنني أعرف أن السيدة "**ستافرتون**" لا تكذب أبداً.

– حسنًا، سوف يكون لديها متسع من الوقت لإثبات براءتها. أما الآن فسوف أؤدي واجبي. فوراً التفت الرائد "**بورتر**" إلى السيد "**ساترثويت**" واستنجد به:

– أليس في مقدورك مساعدتها؟ ألن تستطيع أن تعمل شيئًا لإثبات براءتها؟ شعر "**ساترثويت**" بالفخر، لكن هذا لم يثر دهشة، فهو معروف بأن الجميع يلجؤون إليه طلبًا لمساعدته. لكن قبل أن يقول شيئًا تقدم خادم يحمل بطاقة إلى

السيد "**إنكرتون**" قائلاً:

– لقد حاولت أن اعتذر للسيد بأن الوقت غير ملائم للزيارة لكنه أصر على أن يلتقي بك قائلاً إنه على موعد معك. نظر السيد "**إنكرتون**" إلى البطاقة ثم قال:

– السيد "**هاري كوين**"؟ آه صحيح، كنت قد حددت موعداً للقائه بشأن إحدى اللوحات، ولكن... وهنا صاح السيد "**ساترثويت**" قائلاً:

– هل قلت السيد "**هاري كوين**"؟ يا للعجب! الآن أستطيع أن أجيبك إلى طلبك أيها الرائد "**بورتر**". إن السيد "**كوين**" صديقي وهو نافع جداً في مثل ظروفنا هذه. قال المحقق بسخرية خفيفة:

– هل هو أحد هواة الكشف عن الجرائم المستعصية؟

– إنه ليس هاوياً، بل رجل ذو قدرة غريبة على تحليل الأمور، ثم إنه لن يضيرنا شيء إذا استمعنا إلى وجهة نظره في المأساة التي أمامنا. وجه السيد "**إنكرتون**" نظرة متسائلة إلى المحقق، ثم أومأ إلى الخادم الذي عاد بعد لحظات ومعه السيد "**كوين**" بعد أن حيا الجميع بايماءة من رأسه:

– آسف لحضوري في هذا الوقت غير المناسب، وأعتقد أنه يحسن بنا أن نؤجل حديثنا عن اللوحات. آه... هذا هو صديقي السيد "**ساترثويت**"! ألا زلت شغوفاً بما يجري على مسرح الحياة؟ أجابه السيد "**ساترثويت**":

– اسمع يا سيد "**كوين**"، إننا الآن في معترك إحدى مسرحيات الحياة، ونريد أن تدلي برأيك في الحادث الذي نحن بصدده. وبعد أن أدلى إليه بتفاصيل ماحدث قال السيد "**كوين**" في أسى:

– إنها مأساة حزينة وأظن أن عدم وجود دافع للقتل يزيد من غموضها. حدق السيد "**إنكرتون**" إلى وجهه وقال:

– وماذا عن تهديد السيدة "**ستافرتون**" للسيد "**سكوت**"؟ لقد كانت شديدة الغيرة من زوجته الجميلة وأنت تعرف ما الذي قد تفعله الغيرة.

– إنني أتفق معك أن الغيرة عاطفة مدمرة لكن ليس هذا ما أعنيه، إنني أقصد بما قلت عدم وجود دافع لقتل النقيب "**جيمي ألينسون**". صاح الرائد "**بورتر**":

– هذا صحيح، فمقتل النقيب "**ألينسون**" يثير الشكوك. فلو كانت السيدة

"**ستافرتون**" تقصد قتل السيدة "**سكوت**" لاستدرجتها بمفردها إلى مكان منعزل. نعم، ليس ما نسير فيه هو الطريق الصحيح. ولابد من أن هناك تفسيراً آخر، وأنا أعتقد أن "**جيمي ألينسون**" أطلق النار على السيدة "**سكوت**" ثم على نفسه ثم وقع المسدس من يده فالتقطته السيدة "**ستافرتون**" عند دخولها "الركن الخاص" بعد الحادث مباشرة. هز المحقق رأسه وقال:

– هذا تفسير غير مقبول. إذ لو كان النقيب "**ألينسون**" قد أطلق النار على نفسه لظهرت آثار البارود على ملابسه.

– يمكن أن يكون قد أطلق النار على نفسه من مسافة ذراع.

– ولكن لماذا يفعل هذا؟ ثم ما السبب في إقدامه على قتل نفسه؟

– ربما فقد صوابه فجأة. وتوقف الرائد "**بورتر**" وهو يشعر أن نظريته ليست قوية، لكنه اتجه إلى السيد "**كوين**" وسأله:

– ما رأيك يا سيد "**كوين**"؟

– لا يمكن لإنسان أن يدلي برأي فوري هكذا. لكنني أؤمن بقيمة الانطباعات النفسية. ففي أوقات الأزمات تحضر في ذهن المرء لحظة بذاتها، أو صورة بعينها تتلاشى إلى جوارها كل الصور. ولما كان السيد "**ساترثويت**" هو المراقب المحايد في هذه الأحداث فهل لك يا سيد "**ساترثويت**" أن تقص علينا أكثر اللحظات انطباعا في ذهنك؟ هل كانت اللحظة التي سمعت فيها الطلقات النارية، أم منظر الجسدين الساكنين، أم اللحظة التي رأيت فيها السيدة "**ستافرتون**" وفي يدها المسدس؟ قال السيد "**ساترثويت**" ببطء:

– كلا، إن أكثر اللحظات انطباعاً في نفسي هي التي وقفت فيها أنظر إلى وجه السيدة "**سكوت**" الرقيق... وبقعة الدم على شحمة أذنها. ما إن نطق "**ساترثويت**" بهذه الكلمات حتى أدرك أنه أطلق قنبلة. وقال السيد "**إنكرتون**":

– نقطة دم على أذنها! نعم... أتذكر أنني رأيتها أيضاً. قال "**ساترثويت**":

– أعتقد أن قرطها قد انتزع من أذنها عندما سقطت على الأرض. قال "**بورتر**":

– كانت راقدة على جانبها الأيسر فلا شك إذن في أن الدم كان على أذنها اليسرى.

– كلا، بل على شحمة أذنها اليمنى. قال المحقق وهو يمد يده بشيء:

– لقد عثرت على هذا المشبك بين الأعشاب، مشبك ذهبي للقرط. صاح الرائد "**بورتر**" :

– يا للسماء! لا يمكن للقرط أن يتحطم بمجرد سقوطها على الأرض. لابد من أنه انتزع من أذنها بالقوة. صاح "**ساترثويت**" :

– نعم، لا شك في هذا، لابد من أن رصاصة هي التي حطمت القرط وجرحت الأذن. قال المحقق:

– لم تنطلق من المسدس سوى رصاصتين فقط، وليس من المعقول أن تجرح رصاصة أذنها ثم ترتد لتنفذ من ظهره. وعلى فرض أن إحدى الرصاصتين قد جرحت الأذن وحطمت القرط فلا يمكن لنفس هذه الرصاصة أن تقتل النقيب "**ألينسون**" في الوقت نفسه إلا إذا كان واقفًا أمامها مباشرة وقريبًا منها جدًّا. كلا، لا يمكن أن يكون هذا إلا إذا...وصمت المحقق، فأكمل له السيد "**كوين**" قوله:

– إلا إذا كان يحتضنها بين ذراعيه! حسنًا، ولم لا؟ ظهرت الدهشة في عيون الجميع؛ لأن هذا الأمر لم يخطر ببالهم مطلقًا. قال السيد "**إنكرتون**" :

– لكن السيدة "**سكوت**" لا تكاد تعرف النقيب "**ألينسون**" ! قال السيد "**ساترثويت**" لنفسه: "من يدري؟ ربما كان كل منهما يعرف الآخر دون أن نعلم، لقد قالت الليدي "**سينثيا**" إن النقيب "**ألينسون**" كان رفيقًا معها عندما كانا معًا في رحلة إلى "**مصر**" في الشتاء الماضي" . ثم وجه حديثه إلى الرائد "**بورتر**" وقال:

– لقد قلت لي إن السيد "**سكوت**" قد تعرف إلى زوجته في "**مصر**" في الشتاء الماضي، وربما كان "**ألينسون**" هناك في الوقت نفسه وتعرف إليها هو الآخر. قال "**إنكرتون**" :

– لكن لم يبد عليهما أن كلاًّ منها يعرف الآخر.

– ربما تظاهرا بذلك لهدف معين. قال "**كوين**" مخاطبًا "**إنكرتون**" :

– هل رأيت كيف أفادنا السيد "**ساترثويت**" بملاحظته الدقيقة؟ والآن جاء دورك يا سيد "**إنكرتون**" .

– ماذا تقصد؟

– أقصد أنني لاحظت استغراقك في التفكير عند قدومي. فقل لنا ما كنت تفكر فيه حتى ولو لم يكن له علاقة بالحادث. قال "**إنكرتون**" بعد برهة تردد:

– الحقيقة أنني كنت أفكر في موضوع غريب. موضوع شبح النافذة. ذلك أن زوجتي كانت قد أخبرتني بأنها غيرت اللوح الزجاجي لتتخلص من الشبح، وإني لأشعر بان تغيير اللوح هو الذي جلب النحس. ولم يعرف "**إنكرتون**" السبب الذي جعل كلا من السيدة "**ساترثويت**" والرائد "**بورتر**" يصيحان فيه بقوة:

– هل قلت إن زوجتك وضعت لوحًا زجاجيًا جديداً في نافذة الشبح، هل فعلت ذلك؟

– نعم، تم ذلك صباح اليوم. هتف الرائد "**بورتر**":

– يا للسماء! لقد بدأت أفهم الآن! إن هذه الحجرة مغطى جدرانها بالواح الخشب، وليس الورق الملون. قال "**إنكرتون**":

– نعم، ولكن ما علاقة هذا بما حدث؟ هرع "**بورتر**" إلى الطابق الأعلى والجميع خلفه. اتجه إلى غرفة الشبح التي كان "**سكوت**" وزوجته يقيمان فيها. كانت حجرة جميلة كسيت جدرانها بألواح خشبية مصقولة وتحسس "**بورتر**" الألواح وهو يقول إنه لابد من أن يكون هناك باب سري. وفجأة سمع الجميع صوت تحرك أحد الألواح ليكشف خلفه ألواحا باهتة تغطي نافذة الشبح وكان بينها لوح جديد نظيف. انحنى "**بورتر**" فجأة والتقط ريشة نعام من فوق الأرضية وتبادل مع "**كوين**" النظرات. ثم عبر "**بورتر**" الحجرة إلى دولاب الملابس حيث وجد فيه بعض قبعات السيدة "**سكوت**". وتناول منها قبعة حافتها عريضة انتزعت منها ريشة النعام التي كان ممسكًا بها في يده. بدأ السيد "**كوين**" يقول في هدوء:

– لنفرض أن هناك رجلاً شديد الغيرة، رجلاً عرف من قبل وجود الباب السري الذي يخفي نافذة الشبح من داخل الحجرة حيث سبق له أن أقام فيها. ولنفرض أنه تصادف أن فتح الباب السري ونظر من وراء زجاج النافذة إلى "الركن الخاص" ليرى زوجته بين أحضان شاب من المدعوين. أعمته الغيرة ولكن ماذا يستطيع أن يفعل؟ خطر له أن يذهب إلى دولاب الملابس ويأخذ منه قبعة بها ريش، وكانت الشمس توشك أن تغيب وتذكر الشائعة حول شبح النافذة. وما إن رأى الشاب وزوجته

متعانقين حتى أطلق عليهما النار، طلقة واحدة نفذت من ظهر الزوجة واستقرت في صدر الشاب، لكنه أتبع هذه برصاصة أخرى حطمت حلق الزوجة، والمعروف أنه صياد بارع، ثم قذف بالمسدس إلى "الركن الخاص" وهرع عائداً إلى قاعة البلياردو ومنها إلى "الركن الخاص" في رفقة السيد "**إنكرتون**". قال "**بورتر**" بدهشة:

– لكنه ترك السيدة "**ستافرتون**" محاطة بالاتهام فلماذا؟ قال السيد "**كوين**":

– أظن أنني أعرف السبب. أظن أن "**ريتشارد سكوت**" كان يحب "**إيريس ستافرتون**" إلى حد الجنون. وقد عادت إليه عواطفه كلها عندما رآها بعد سنوات من الفراق، اشتعل بجنون الغيرة هذه المرة أن السيدة "**ستافرتون**" ظنت أنها أحبته، ثم ذهبت معه ومع آخر في رحلة صيد في قلب "**إفريقيا**"، فعادت وهي تحب أفضل الرجلين.. قال "**بورتر**" بذهول:

– أفضل الرجلين؟ تقصد... ابتسم "**كوين**" وقال:

– لو كنت مكانك لذهبت إليها فوراً. قال "**بورتر**" بحماس:

– سوف أذهب إليها في التو واللحظة. وغادر المكان مسرعًا...

- 42 -

خدعة الساحر

أهم الشخصيات:

"**ساترثويت**" : صديق السيد "كوين" وهو رجل يتسلى بالفرجة على الحياة
"**هارلي كوين**" : زائر، وهو شخص لا يراه أحد إلا حين يختار هو
النقيب "**ريتشارد هارويل**" : يهوى الصيد بالجرأة
السيدة "**أليانور لوكوتو**" : زوجة النقيب "**هارويل**"
"**ستيفن جرانيت**" : شاب مكلَّف بالعناية بجياد النقيب "**هارويل**"
"**جون متياس**" : بستاني يعتني بالحديقة
"**ماري**" : ابنة صاحب القصر
"**براد بورن**" : مليونير أمريكي اشترى القصر
فرقة "**كلوندين**" : فرقة أكروبات
"**ماسترز**" : سائق سيارة السيد "**ساترثويت**"

خدعة الساحر

شعر السيد "**ساترثويت**" بضيق شديد إذ إن اليوم لم يكن موفقًا فقد بدأ رحلته متأخراً عن موعده، ثم أصيبت عجلات السيارة بثقبين، ثم ضل هو وسائقه الطريق، وها هي الساعة قد اقتربت من الثامنة وما زال أمامهما أربعة وستون كيلومتراً يقطعانها حين أصاب العجلة الخلفية ثقب ثالث. أخذ يسير إلى جوار السيارة في حنق إلى أن سأل سائقه "**ماسترز**":

– أين نحن الآن؟

– منطقة تدعى "**كيرلنجتون مالت**". وتجول السائق قليلاً ثم عاد ليقول إن هناك فندقًا صغيراً على مقربة يسمى فندق "**بلز وموتلي**" وحث سيده على التوجه إليه حيث مازال محتاجًا إلى بعض الوقت ليصلح السيارة. قال السيد "**ساترثويت**" متأملاً:

– "**بلز وموتلي**"؟ يا له من اسم غريب لفندق، لا أعرف إذا كنت قد سمعت بهذا الاسم من قبل أم لا. اقتنع بالفكرة، وبينما هو ذاهب في الطريق التقى برجل من المنطقة فسأله عن الفندق قال الرجل:

– نعم إنه فندق غريب يرتاده أشخاص غريبو الأطوار من النوع الذي يأتي ويذهب. وبينما كان يقترب من الفندق ذي اللافتة الصغيرة كانت العاصفة تتجمع في الأفق، فصعد درجات السلم القليلة وهو يحمد حظه. وبعد أن اتخذ مجلسه إلى مائدة صغيرة تقدم منه رجل بدين في حوالي الخمسين من عمره بدا من طريقته أنه صاحب الفندق وقال:

– أستطيع تقديم جميع أنواع الطعام يا سيدي، تقدم من هنا إلى حجرة الطعام. ليس لديَّ الآن نزلاء كثيرون فقد رحل آخر من كان في مجموعة الصيد، ولم يبق سوى سيد واحد اسمه "**كوين**". دهش السيد "**ساترثويت**" وقال بانفعال:

– "**كوين**"؟ هل قلت السيد "**كوين**"؟

– نعم يا سيدي هذا هو اسمه، هل هو صديق لك؟ ولم يجب "**ساترثويت**" ولكنه فكر فيما قاله الرجل الذي التقى به منذ قليل، وقوله إن هذا فندق يأتيه من

يجيئون ويذهبون وكيف أن هذا الوصف ينطبق على السيد "**كوين**". أفاق من تأملاته وقال:

– يا للسماء. يا لها من مصادفة غريبة أن نلتقي هكذا. آه ها هو ذا! وتصافح الرجلان. وكان السيد "**كوين**" بقامته الطويلة وبشرته السمراء يجلس إلى مائدة في نهاية القاعة قال:

– إنني سعيد الحظ إذ ألقاك يا سيد "**ساترثويت**"، ألا زلت تقوم بحل الألغاز؟

– لست أنا الذي أقوم بحلها دون مساعدتك، إنني أفتقر إلى الإلهام الذي تمدني به، يا لها من ليلة عاصفة كئيبة! وهنا تدخل صاحب الفندق في الحديث قائلاً:

– إن هذه هي نفس الكلمات التي أصف بها ليلة كهذه، وهي تشبه الليلة التي عاد فيها النقيب "**هارويل**" بعروسه إلى بيتهما، وهي الليلة نفسها التي اختفى فيها إلى الأبد. وهنا صاح السيد "**ساترثويت**" فجأة:

– آه بالتأكيد. لقد حدث ما حدث في "**كيرلنجتون مالت**"... ذلك أنه الآن فهم لماذا لم يكن اسم المنطقة غريبًا عليه. فمنذ ثلاثة أشهر قرأ عن الاختفاء العجيب للنقيب "**ريتشارد هارويل**"، وأخذ عندئذ يقرأ تفاصيل الاختفاء الغريب دون أن يصل إلى حل اللغز. ومضى الرجل يقول:

– نعم لقد نزل طوال فصل الصيد وقد عرفته جيداً، سيد مهذب على خلق ولقد تعرف إلى الآنسة "**لوكوتو**" وكان يصحبها في رحلات ركوب كثيرة حتى اعتقد أهل القرية أنه الزوج المناسب لها، فقد كانت شابة جميلة ذات أصل عريق اتت من "**كندا**". وهنا يكمن اللغز، فلقد انفطر قلبها لاختفاء زوجها، وباعت القصر كله وذهبت للخارج إذ لم تستطع البقاء هنا والناس يشيرون إليها بأصابع الأسى دون أن يكون لها ضلع فيما حدث، يا لها من فتاة مسكينة وياله من سر غامض. قال السيد "**كوين**" بصوت فيه تحد للسيد "**ساترثويت**":

– يا له من سر غامض!

– هل تعتقد أننا نستطيع أن نحل لغزاً لم يستطع رجال "**اسكتلنديارد**" أنفسهم حله؟

– ولمَ لا؟ لقد مضى بعض الوقت ونحن الآن نستطيع أن نرى الأمور من زاوية جديدة بربط علاقات حقيقية بعضها بالبعض.

– لكنني لا أظن أنني أتذكر الحقائق بوضوح بعد كل هذا الزمن.

– أعتقد أنك تتذكر كل شيء يا سيد "**ساترثويت**". كان هذا هو كل التشجيع الذي كان "**ساترثويت**" محتاجًا إليه، فهو في وجود السيد "**كوين**" لم يعد متفرجًا على الحياة، بل شخص له دور فيها. ومن ثم فقد انطلق يقول:

– منذ ما يقرب من سنة ابتاعت الآنسة "**أليانور لوكوتو**" قصر "**آشلي جرانج**" وهو منزل قديم جميل لكنه مهمل، ولم يكن القصر ليجد شاريًا أفضل. فالآنسة "**لوكوتو**" ذات الأصل الفرنسي الكندي أتت إلى القصر بمجموعة نادرة من التحف واللوحات. كانت تعمل في شراء وبيع جميع التحف النادرة ولها ذوق ممتاز. ولذلك فقد باعت قصر "**آشلي جرانج**" بعد وقوع المأساة إلى مليونير أمريكي دفع فيه مبلغ ستة آلاف جنيه. أقول ذلك لكي أعطي صورة عن السيدة "**هارويل**" التي كانت في الثالثة والعشرين من عمرها خمرية اللون طويلة القامة، والتي لم يكن لها أقارب تعرفهم سوى السيدة "**سانت كلير**" لكن "**أليانور لوكوتو**" كانت حرة التصرف في كل أموالها وثروتها ومن ثم فقد ازداد عدد من يتقدمون لخطبتها حيثما ذهبت، لكنها لم ترض بأي منهم حتى جاء النقيب "**ريتشارد هارويل**"، وكان النقيب قد أتى إلى هذا الفندق القروي للصيد وكان يتميز بجرأة وشجاعة لفتت إليه الأنظار. وبعد نهاية شهرين تمت خطبة "**ريتشارد هارويل**" و"**أليانور لوكوتو**". وتوقف السيد "**ساترثويت**" لحظة قبل أن يستطرد:

– وتم الزفاف بعد ذلك بثلاثة أشهر ذهب بعدها العروسان لقضاء أسبوعين من شهر العسل في الخارج. ثم عادا ليقيما بصفة دائمة في قصر "**آشلي جرانج**"، وقد سمعنا منذ لحظة من صاحب الفندق أنها كانت ليلة عاصفة مثل ليلتنا الآن. وفي صباح اليوم التالي في حوالي السابعة والنصف شوهد النقيب "**هارويل**" يسير في حديقة بصحبة البستاني "**جون متياس**"، كان مبهمًا يغني تبدو عليه السعادة الغامرة. لكن منذ تلك اللحظة لم يشاهد أي شخص النقيب "**ريتشارد هارويل**" مرة أخرى. لم يكن هناك سبب للاختفاء، لا تفسير، وفي صباح اليوم التالي ذهبت

الزوجة الحزينة إلى الشرطة التي لم يعرف رجالها أي حل للغز.

– لكن كانت هناك على ما أعتقد نظريات في هذا الخصوص.

– نعم نظريات، النظرية الأولى أن النقيب "**هارويل**" قتل. ولكن لو كان الأمر كذلك فأين هي الجثة؟ لا يمكن أن تتبخر. ثم ما الدافع؟ ذلك لأن النقيب "**هارويل**" لم يكن له أعداء قط. توقف لحظة في تردد فمال عليه السيد "**كوين**" وقال له:

– إنك تفكر في الشاب "**ستيفن جرانت**".

– أعترف بذلك وعلى ما أتذكر فقد كان هو المكلف بالعناية بجياد النقيب "**هارويل**" وكان الأخير قد طرده لغير ما سبب قوي. وفي صباح اليوم الذي تلا العودة من الخارج شاهد بعضهم "**ستيفن جرانت**" على مقربة من القصر، ولم يستطع أن يقدم سببًا معقولاً لوجوده في المنطقة وقبضت عليه الشرطة على أن له علاقة باختفاء النقيب "**هارويل**"، ولكن لما لم يكن هناك دليل ضده فقد أطلق سراحه. ربما كان "**ستيفن**" يحمل بعض الكراهية لمخدومه بسبب طرده لكن هذا ليس دافعًا للجريمة.

– لكننا لا نعرف إن كان له أعداء آخرون.

– سوف نأتي إلى هذا، فعندما بحث رجال الشرطة أمره أصابتهم الدهشة. فمن هو "**ريتشارد هارويل**" ومن أين أتي؟ كأنما هبط من السماء، إذ لم يكن أحد في "**كيرلنجتون مالت**" يعرف عنه شيئًا، ولم تستعلم الآنسة "**لوكوتو**" عنه وهو خطيبها، ومن ثم فقد اقتنعت الشرطة بأن المسألة لا تعدو أن تكون فتاة يتيمة ثرية، وخطيبًا دخيلاً يبغي مالها. لكن هذا لم يكن كل شيء؛ لأن الآنسة "**لوكوتو**" على الرغم من ذلك طلبت إلى مكتب محاميها في "**لندن**" أن ينقلوا بعض أملاكها إلى خطيبها لكن هذا رفض رفضًا باتًا، وقد ثبت بلا جدال أن "**هارويل**" لم يأخذ أي مبلغ من مال زوجته، وظلت ثروتها سليمة تمامًا. إذن فهو ليس مخادعًا عاديًا. فهل كان ينوي أن يبتز أموالها في المستقبل إذا ما قررت أن تتزوج شخصًا غيره؟ هذا هو الموقف حتى هذه الليلة.

– هذه الليلة؟

– نعم هذه الليلة. إنني لم أعد مقتنعًا بأنه اختفى فجاة وفي الصباح حيث العمال يخرجون لأعمالهم كما أنه كان عاري الرأس أيضًا.
– النقطة الأخيرة ليس فيها شك فقد رآه "**جون متياس**" البستاني وتحدث إليه.

– لقد استجوبه رجال الشرطة بدقة لكنه لم يتراجع عن أقواله، ولقد أيدته زوجته فيها. قال إنه ترك كوخه في حوالي الساعة السابعة متجهًا إلى بيوت النباتات ثم عاد إلى كوخه في الساعة الثامنة والثلث. ولقد سمع خدم المنزل الباب الخارجي يصفق في الساعة السابعة والربع وهذا يحدد الوقت الذي ترك فيه النقيب "**هارويل**" القصر.. أود أن أعرف ما تفكر فيه.. تريد أن تقول إنه كان هناك وقت كافٍ لأن يقتل "**متياس**" سيده، ولم لا؟ ولكن أين يخفي جثته؟ وهنا دخل صاحب الفندق بالطعام. فقال له السيد "**ساترثويت**":
– لقد كنا نناقش مسألة اختفاء النقيب "**هارويل**"، ما الذي حدث يا ترى للبستاني "**متياس**"؟
– رحل إلى مقاطعة "**اسكس**" كما أعتقد، ولقد بدأ الناس ينظرون إليه بتساؤل على الرغم من أنني لا أعتقد أن له علاقة بالحادث. لقد كان رجلاً في منتصف العمر، كان قويًّا في شبابه لكن الروماتيزم قيد حركته ومنعه في بعض الأوقات عن العمل. ولقد كانت الآنسة "**اليانور**" من الطيبة بحيث احتفظت به؛ ذلك لأن زوجته كانت مقيدة في عمل المنزل وتساعد في أعمال الطهي.
– أي نوع من النساء كانت؟
– في أواسط العمر أيضًا، قوية الجسد لكنها كانت صماء، إنني لم أعرفها جيداً فلم يكونا قد بقيا في القصر سوى شهر واحد عندما وقع الحادث، ولكن يبدو أن الرجل كان بستانيًّا حاذقًا في أيامه. سأل السيد "**كوين**" بصوت ناعم:
– هل كانت الآنسة "**أليانور**" مهتمة بالحديقة؟
– كلا، ذلك لأنها لم تكن لتقيم هنا إلا في الشتاء للصيد، أما بقية الوقت فكانت تقضيه في "**لندن**" وعلى الشاطئ. وهنا سأل السيد "**ساترثويت**":
– أليس هناك امرأة أخرى لها ضلع في هذه الأحداث؟ على علاقة مثلاً بالنقيب

"**هارويل**"؟ أجاب صاحب الفندق بعد أن هز رأسه نفيًا:

– لا شيء من هذا القبيل، ولا همسة واحدة. إنه سر غامض تمامًا. قال الرجل ذلك وهرع إلى خارج القاعة ليحضر الجبن، وبعد لحظات اقتربت منهما فتاة طويلة رشيقة تشبه صاحب الفندق فقال لها السيد "**كوين**":

– مساء الخير يا "**ماري**"، إنها ليلة عاصفة.

– إنني أكره الليالي العاصفة، ليس بسبب خوف من الرعد ولكن لأن الناس يكثرون فيها من الثرثرة في الموضوع نفسه سيقول الآباء: إن هذه الليلة تذكرني بكذا وكذا... وهي تذكرني أيضًا بالنقيب "**هارويل**" المسكين، إن هذا ليس له معنى. ألا يستطيع الناس أن يتركوا الماضي على حاله؟ قال السيد "**كوين**":

– إن الشيء لا يصبح ماضيًا إلا حين ينتهي الناس منه تمامًا.

– وألم ينته الناس من حادث الاختفاء؟ لنفرض أنه أراد أن يختفي، فلم لا؟

– هل تعتقدين أنه اختفى بمحض إرادته؟

– ولم لا؟؟ إن هذا شيء معقول أكثر من افتراض أن "**ستيفن جرانت**" الرقيق قد قتل. ثم لماذا يقتل؟ صحيح أن "**ستيفن**" قد تشاجر معه يومًا لكنه عوقب على ذلك بالطرد. لكن ما معنى هذا؟ لقد التحق بوظيفة أخرى في مكان أفضل، ولم يكن ذلك سببًا يدفعه للقتل. قال السيد "**ساترثويت**":

– لكن الشرطة اقتنعت تمامًا ببراءته، أليس كذلك؟

– الشرطة، ولكن ما أهميتها؟ إن كل شخص ينظر إلى "**ستيفن**" باستطلاع ودهشة، إنهم حقًّا لا يعتقدون أنه هو الذي قتل "**هارويل**"، ولكنهم ليسوا واثقين بذلك أيضًا، ومن ثم يوجهون إليه نظرات شك. يا لها من حياة تلك التي يحياها "**ستيفن**" ثم لماذا لا يوافق أبي على زواجنا أنا و"**ستيفن**"؟ إنه يقول لي خذي بضاعتك إلى سوق أفضل يا فتاتي. ليس لديَّ دليل ضده ولكن من يعرف؟ وتوقفت لحظة وصدرها يعلو وينخفض لشدة انفعالها، ثم أردفت منفجرة:

– إن هذا شيء قاسٍ. إن "**ستيفن**" لا يستطيع أن يؤذي ذبابة. ولقد عرفنا هذا عنه طوال حياته، لكن ما يحدث الآن سيجعله إنسانًا شاذًّا ملؤه المرارة. أليس هناك ما يمكن عمله؟ وشعر الرجلان بالتعاطف معها لكن موقف "**ستيفن جرانت**" كان

صعبًا؛ ذلك لأن غموض الحادث جعل تبرئته أصعب. ثم صاحت الفتاة قائلة مرة أخرى:

- لا يمكن بشيء سوى الحقيقة فهي وحدها التي تساعده. فماذا لو وجُد النقيب "**هارويل**" أي إذا ما عاد فسوف تتضح براءة "**ستيفن**". وعندما انصرفت الفتاة وهي تشهق بالبكاء قال السيد "**كوين**":

- سنفعل ما في وسعنا من أجله، إن الحياة قد جعلت رؤيتك أعمق يا سيد "**ساترثويت**" وملاحظتك أدق، فما رأيك في الحادث؟

- إنني أنظر إليه من هذه الزاوية. لكي نصل إلى سبب شيء ما، يجب أن ننظر إلى نتيجته. ونتيجة هذا الاختفاء هو أن الآنسة "**لوكوتو**" - أقصد السيدة "**هارويل**" - أصبحت زوجة ولا زوجة، فهي لم تعد حرة بحيث تستطيع الزواج ثانية، أما بالنسبة إلى "**ريتشارد هارويل**" فهو شخص غريب جاء من لا شيء.

- إنني أتفق معك في هذا، بالإضافة إلى أن النقيب "**هارويل**" هو الضوء الذي يرشدنا. لكنه شخص مشكوك فيه. نظر إليه السيد "**ساترثويت**" في شك ثم قال:

- هذه هي النتيجة. والآن نستطيع أن ننتقل إلى... لكن السيد "**كوين**" قاطعه قائلاً:

- إننا لم ندرس إلا الناحية الملموسة من النتيجة.

- إنك على حق لابد لنا أن ندرس النتيجة برمتها، فالسيدة "**هارويل**" لا تستطيع الزواج مرة أخرى. وأن السيد "**براد بورن**" - المليونير الأمريكي، قد اشترى القصر وما فيه من تحف بستة آلاف جنيه. وهناك في مقاطعة "**اسكس**" من أوجد عملاً لـ "**جون متياس**" البستاني، لكن هذا لا يدعونا إلى الشك في السيد "**براد بورن**"، وذلك الشخص في مقاطعة "**اسكس**"، وأن هذا أو ذاك سبب اختفاء النقيب "**هارويل**".

- أوافقك، وهذه فكرة غريبة حقًا، ولكن ماذا بعد ذلك؟

- دعنا نتخيل أنفسنا وقد عدنا إلى ذلك اليوم المشؤوم. دعنا نفترض أن الاختفاء تم صباح يومنا هذا. ابتسم السيد "**كوين**" وقال:

- كلا... كلا دعنا نفترض أنه اختفى منذ مائة عام وأننا الآن بعد مائة سنة من حادث الاختفاء.

– إنك رجل غريب. هل تعتقد في الماضي ولا تعتقد في الحاضر؟ ولماذا؟

– ذلك لأن كل فترة تتميز بشيء له شهرته، ففي الفترة الماضية مثلاً تميزت بالقطط واللصوص.

– تقصد هؤلاء اللصوص الذين كانت لهم أحداث شهيرة في "**أوربا**": لقد ارتكبوا سرقات شهيرة من متاحف "**فرنسا**"، ولا يعتقد أحد أن شخصاً واحداً يمكن أن يرتكب مثل تلك السرقات، ولقد ساد الاعتقاد أن فرقة أكروبات كاملة لها ضلع في الموضوع – فرقة "**كلوندين**"، ولقد شاهدت عرضهم ذات مرة، عرض شائق تماماً وهي مكونة من أم وابن وابنة، ولقد اختفوا من هذا المسرح في ظروف مريبة، لكننا نذهب بعيداً عن الموضوع. المسألة هي لماذا اختفى النقيب "**هارويل**"؟ لماذا... لماذا؟ إن الأمر يبدو كحيلة من حيل خداع البصر. هز السيد "**كوين**" رأسه وقال:

– بالضبط، هذا هو الوصف الدقيق لما حدث ولكن ما جوهر حيلة خداع البصر؟

– خفة اليد التي تخدع العين.

– هذا حقيقي تماماً. أن تخدع العين، وقد يخدع الساحر عين المتفرج بطرق عديدة، طلقة رصاص أو منديل أحمر يبدو للمتفرج مهمًّا لكنه ليس كذلك، لكن العين تتجه بعيداً عن الموضوع الأساسي، يخطف انتباهها حركة الساحر التي لا تعني شيئاً. وازداد انفعال السيد "**ساترثويت**" وهو يقول:

طلقة الرصاص! ولكن أين طلقة الرصاص في المسألة التي نناقشها. ما اللحظة المهمة التي تجذب إليها الخيال؟

– الاختفاء! فإذا ما نحينا الاختفاء جانباً فليس هناك من شيء.

– تقصد أن تبيع الآنسة "**لوكوتو**" قصر "**آشلي جرانج**" إلى السيد "**براد بورن**" لغير ما سبب؟ حسناً. إن ذلك كان سيثير الشائعات والأقاويل، وكان الناس سيتكلمون كثيراً عن قيمة محتويات القصر – أوه انتظر لحظة. ثم توقف مبهوراً عن الكلام لحظات ثم انفجر قائلاً:

– إنك على حق. إن هناك ضوءاً مسرحيًّا قويًّا.. الضوء المصوب إلى النقيب

"**هارويل**"، ولهذا السبب فإن الآنسة "**لوكوتو**" أصبحت في الظل. إن الناس يتساءلون فقط عن النقيب "**هارويل**". من هو؟ ومن أين جاء؟ ولأنها الشخص الذي أضير فليس هناك من يتساءل عنها، هل هي حقًا من أصل فرنسي كندي؟ هل ورثت حقًا تلك الثروة وتلك التحف النادرة؟ لقد كنت على حق عندما ذكرت مسألة السرقات التي حدثت في "**أوربا**". نعم إن تلك التحف لها قيمة كبيرة، ولها شهرة كبيرة أيضًا، ومن ثم فأن التصرف فيها صعب. إنها اشترت القصر وأقامت فيه ودفعت مبلغًا إلى سيدة إنجليزية كي تكون إحدى قريباتها. ثم وضعت الخطة سلفًا ويتم الزواج ثم الاختفاء ثم ينتابها الحزن، ومن ثم فلا أحد يشك في الشابة البائسة التي فقدت سعادتها، والأمريكي المليونير يأتي ويتحقق أن التحف أصلية ونادرة وبعضها لا يقدر بثمن. ثم يعرض ثمنًا مغريًا تقبله هي وترحل عن المنطقة كفتاة مأساوية حزينة. ولقد تمت الحيلة وخدعت أبصار الجمهور بخفة اليد وبراعة الحيلة. توقف السيد "**ساترثويت**" لحظة ثم أردف بلهجة الانتصار:

– لولاك يا سيد "**كوين**" لما توصلت إلى هذا كله. إن لك تأثيرًا غريبًا فيَّ. لكن هناك شيئًا مازال صعبًا بالنسبة إليَّ، فلابد أنه كان من الصعوبة أن يختفي "**هارويل**" كما فعل، فإن رجال الشرطة في طول "**إنجلترا**" وعرضها أخذوا يبحثون عنه. قال السيد "**كوين**":

– هذا حقيقي لقد كانوا يبحثون عنه في كل الأماكن في طول "**إنجلترا**" وعرضها. لكنه كان أكثر أمانًا له أن يظل مختفيًا في القصر، لو تمكن من ذلك.

– أظن أنه كان قريبًا جدًا من قصر "**جرانج**". فصاح السيد "**ساترثويت**":

– في كوخ "**متياس**"، لكن رجال الشرطة يجب أن يكونوا قد بحثوا فيه، "**متياس**"!

– والسيدة "**متياس**" أيضًا يجب ألا تنساها.

– لو كانت هذه هي حقًا عصابة "**كلوندين**" فإن هناك ثلاثة أفراد: شابان وهما "**هارويل**" و"**أليانور لوكوتو**". ثم الأم وهي السيدة "**متياس**"، ولكن في هذه الحالة... قاطعه السيد "**كوين**" قائلاً:

– لقد كان "**متياس**" يعاني الروماتيزم، أليس كذلك؟

– أوه لقد توصلت إلى السر. ولكن هل يمكن أن يحدث ذلك؟ أعتقد أنه كان ممكنًا. إن "**متياس**" كان في القصر منذ شهر واحد فقط، وفي خلال ذلك الوقت كان "**هارويل**" و"**أليانور**" يقضيان أسبوعين من شهر العسل بعيدين، أما بالنسبة إلى الأسبوعين السابقين للزفاف فكان من المفروض أنهما في المدينة، وباستطاعة رجل ماهر في التمثيل أن يقوم بدور مزدوج، دور "**هارويل**" و"**متياس**". وفي حين كان "**هارويل**" في "**كيرلنجتون مالت**" كان "متياس" يعاني الروماتيزم بشهادة زوجته. كان دورها ضروريًا جداً فإنه دونهما كان هناك احتمال لأن يشك شخص ما في الحقيقة، وكما تقول فإن "**هارويل**" كان مختبئًا في كوخ "**متياس**" لأنه كان "**متياس**" ذاته، وعندما نفذت الخطة بأكملها وبيع قصر "**آشلي جرانج**" قيل إنه وزوجته قد وجدا عملاً في مقاطعة "**اسكس**" وهكذا يخرج "**جون متياس**" وزوجته من الصورة إلى الأبد. وعندئذ سمعا طرقًا على باب القاعة ودخل "**ماسترز**" السائق يقول:

– إن السيارة معدة يا سيدي. نهض السيد "**ساترثويت**" وكذلك السيد "**كوين**" وذهبا إلى النافذة حيث كان ضوء القمر يتخلل السحب. وقال "**ساترثويت**" وهو يلبس قفازيه:

– لقد انتهت العاصفة، إنني سألتقي بمفتش الشرطة في الأسبوع القادم وسوف أطلعه على نظريتنا.

– ومن السهل التحقق منها بمقارنة التحف في قصر "**آشلي جرانج**" بقائمة التحف المسروقة، والتي يحتفظ بها رجال الشرطة الفرنسيون.

– بالضبط. وسوف يكون هذا من سوء حظ السيد "**براد بورن**" الأمريكي.

– أعتقد أنه يستطيع أن يتحمل الخسارة. مد السيد "**ساترثويت**" يده مصافحًا وقال:

– إلى اللقاء، إنني مسرور بهذا اللقاء غير المتوقع إلى أقصى حد. أظن أنك سترحل غداً.

– ربما الليلة فلقد تمت مهمتي هنا، إنني أجيء وأذهب كما تعرف. وتذكر "**ساترثويت**" جملة الرجل الذي التقى به في الطريق. إنه شيء غريب. وخرج إلى

سيـارته حيـث كـان "**مـاسـتـرز**" ينتظره، ومن هناك سمع صوت صاحب الفندق يقول:

– إنه سر غامض، ألم يكن كذلك؟ واستلقى السيد "**ساترثويت**" في سيارته الفارهة وقد شعر بالانتصار يغمره خاصة عندما رأى الفتاة "**ماري**" تظهر تحت لافتة الفندق وقال لنفسه: "إنها لا تعرف ما الذي سأفعله من أجلها" . وأخذت لافتة "**بلز وموتلي**" تتأرجح بفعل الريح.

عشر دقائق حاسمة

أهم الشخصيات :

"**ساترثويت**" : صديق السيد "**كوين**" وهو رجل ثرثار يتسلى بالفرجة على الحياة

"**هارلي كوين**" : زائر الليل، وهو شخص لا يراه الناس إلا حين يختار هو

الليدي "**فيفيان بارنابي**" : زوجة السير "**جورج بارنابي**" أحبت "**مارتن**"

"**مارتن وايلد**" : شاب يملك مزرعة صغيرة بالقرب من القصر

السير "**جورج بارنابي**" : غني يعيش في قصره

"**سيلفيا دايل**" : خطيبة "**مارتن وايلد**" وابنة طبيب القرية

"**تومسون**" : سكرتير السيد "**بارنابي**"

"**لويزا بولارد**" : خادمة في قصر "**جورج بارنابي**"

"**وينمان**" : مدير مكتب تخديم

عشر دقائق حاسمة

بدأ القاضي –بعد أن انتهى من فحص القضية – يلخص أحداثها للمحلفين. قال:

– إن ما أمامكم من براهين يمكنكم من الحكم إذا كان المتهم الماثل أمامكم هو قاتل "**فيفيان**" أم لا. لقد سمعتم الخدم وهم يحددون الوقت الذي أطلقت فيه الرصاصة وقد اتفقوا جميعًا على تحديد ذلك الوقت. ثم سمعتم بمسألة الخطاب الذي أرسلته "**فيفيان**" إلى المتهم صبيحة اليوم الذي ماتت فيه، وقد اعترف المتهم بهذا الخطاب الذي وصل إليه في يوم الجريمة نفسه، الثالث عشر من شهر أيلول (سبتمبر). ثم سمعتم المتهم وهو ينكر أنه ذهب إلى القتيلة في ذلك اليوم، لكنه سرعان ما اضطر إلى الاعتراف بذهابه لزيارتها أمام البراهين القوية التي قدمها رجال الشرطة. ليس في هذه القضية براهين مؤكدة ملموسة ومن ثم فعليكم أن تبحثوا جيداً عن الدافع إلى القتل، والسلاح، والفرصة التي أتيحت للقاتل. إن محامي المتهم يقول إن شخصاً ما دخل الحجرة حيث كانت القتيلة بعد أن خرج المتهم منها وأطلق ذلك الغريب الرصاص على "**فيفيان**" من البندقية ذاتها التي قال المتهم إنه نسيها وراءه مصادفة. وقد سمعتم أيضاً السبب الذي قدمه المتهم لاستغراقه نصف ساعة للعودة إلى منزله. فإذا رفضتم أقواله وكان اقتناعكم لا يقبل الجدل بأنه هو الذي ارتكب الجريمة – عن عمد وسبق إصرار – فإن عليكم أن تصدروا الحكم بالإدانة. أما إذا ساوركم الشك – وكانت شكوككم لها ما يبررها فإن عليكم إطلاق سراح المتهم. والآن أرجو أن تجتمعوا في حجرتكم وتتفقوا على الحكم الذي تتوصلون إليه وأن تخبروني بما استقر عليه رأيكم. وانصرف المحلفون إلى حجرتهم. ثم عادوا بعد نصف ساعة وأصدروا الحكم الذي كان جميع من بالقاعة يتوقعونه مقدمًا، وهو: "مذنب". انصرف السيد "**ساترثويت**" من المحكمة في ضيق. لقد كانت قضية غامضة من النوع الذي يثير اهتمامه. فالشاب، "**مارتن وايلد**"، شاب مهذب رقيق لا يمكن أن يكون هو الذي قتل الشابة الحسناء، زوجة السير "**جورج بارنابي**". كان يفكر في هذا وهو يسير متجهًا إلى حي "**سوهو**" حيث دخل

مطعمًا لا يتردد عليه سوى الأغنياء لارتفاع أسعاره. كان المطعم هادئًا خافت الضوء وكأنه معبد. كان مطعمه المفضل واسمه "**أرليشينو**". لكنه فوجئ بوجود شخص يجلس إلى مائدته المختارة، وفي اللحظة التي أوشك فيها على التراجع استدار إليه ذلك الشخص فجأة فوجد "**ساترثويت**" نفسه يقول:

– يا للسماء...! إنه السيد "**كوين**"...! شعر بالانفعال والإثارة، فكلما رأى السيد "**كوين**" كان معنى هذا أحداثًا مهمة على مسرح الحياة. أحداثًا يقوم فيها بدوره بدلاً من موقف المتفرج.. جلس إلى المائدة نفسها في سرور وقال بعد أن أحضر الخادم الطعام:

– جئت من فوري من محكمة "**أولد بيلي**". إنها قضية محزنة..

– هل قرر المحلفون أنه مذنب؟

– نعم، بعد أن تبادلوا الرأي لمدة نصف ساعة.

– وذلك بناء على البراهين المقدمة إليهم. أليس كذلك؟

– ورغم هذا فإنني.. أكمل له السيد "**كوين**" جملته قائلاً:

– ورغم هذا فأنت تعتقد أنه بريء؟

– نعم، فـ "**مارتن وايلد**" شاب رقيق لا يمكن أن يرتكب مثل هذه الجريمة.

– والرأي السائد أنه أراد أن يتخلص من عشيقته كي يتزوج خطيبته.

– نعم، لكن البراهين..

– إنني لم أحضر المحاكمة ولا أعرف شيئًا عن المتهم أو المجني عليها أو زوجها فهلا سردت عليَّ معلوماتك؟ أخذ السيد "**ساترثويت**" يسرد ما يعرفه، فـ "**فيفيان بارنابي**" زوجة السير "**جورج بارنابي**" على علاقة بـ "**مارتن وايلد**" الذي خطب فتاة تدعى "**سيلفيا دايل**". أما "**جورج بارنابي**" فهو يعيش في قصره مع زوجته، وهو رجل نحيل غني تافه يهتم بأشياء لا معنى لها، فقد تعود أن يدفع أجور خدمه صباح الثلاثاء، ويملأ ساعات القصر بنفسه ويضبطها بعد ظهر يوم الجمعة من كل أسبوع، ثم إنه يغلق باب القصر الخارجي بنفسه كل ليلة، أما زوجته "**فيفيان**" فكانت رغم جمالها الأخاذ حزينة غاضبة ساخطة على حظها في الحياة.

– هل كانت تكن كراهية لزوجها؟

– نعم فلم تكن لتعرف مساوئه قبل زواجها به. وشعرت بالندم بعد ذلك، ولكن لما كانت فقيرة فإنه لم يكن أمامها ما تفعله؛ إذ إنه كان يمدها بما تحتاج إليه من مال لشغفها بالتمتع بمباهج الحياة. أما "**مارتن وايلد**" فهو صاحب مزرعة صغيرة على مقربة من القصر، وعندما التقت به "**فيفيان**" تعلقت به للخلاص من تفاهات زوجها. ولم تكن هناك سوى نهاية واحدة لمثل هذه العلاقة، وقد أتت هذه النهاية. كانت هي تمزق خطاباته إليها أما هو فاحتفظ بخطاباتها إليه. ومن خطاباتها اتضح لنا شدة حبه لها، ذلك الحب الذي لم يخمد إلا في الفترة الأخيرة عندما خطب فتاة لطيفة هي ابنة طبيب القرية، وقد رأيت هذه الفتاة في المحكمة، وهي هادئة مخلصة إخلاصا لفت الأنظار إليها. واستطرد السيد "**ساترثويت**" بسرعة:

– ولقد نشرت الصحف رسالة "**فيفيان**" الأخيرة والتي كتبتها صباح الجمعة الثالث عشر من شهر أيلول (سبتمبر) وهي مليئة باللوم والعتاب والتهديد الخفي، وفي نهايتها قالت "أرجو وأتوسل إليك أن تحضر الليلة حوالي الساعة السادسة مساء. وسوف أترك الباب الجانبي مفتوحًا كي لا يفطن أحد إلى حضورك.. سأنتظرك في غرفة الموسيقى". وقد حمل إليه هذا الخطاب أحد الخدم في القصر. وصمت السيد "**ساترثويت**" لحظة قبل أن يستأنف:

– وحين ألقي القبض على "**مارتن وايلد**" أنكر أول الأمر أنه قام بزيارتها في الموعد الذي حددته له، ولكنه أمام البراهين التي قدمها رجال الشرطة اعترف بأنه أخذ بندقيته وخرج للصيد في الغابة المجاورة، وحين واجهه رجال الشرطة ببصمات أصابعه فوق خشب الباب الجانبي للقصر ثم فوق إحدى كأسي الكوكتيل اللتين وجدتا على مائدة حجرة الموسيقى – اعترف بأنه زار الليدي "**بارنابي**" زيارة كانت عاصفة اتهمته فيها بالغدر والخيانة، وفي النهاية هدأ من ثورتها وانصرف بعد أن نسي بندقية الصيد إلى جوار الباب الخارجي. ولكنه أقسم على أن "**فيفيان**" كانت حية ترزق عندما تركها. وقد تجاوزت الساعة السادسة والربع بدقيقة أو اثنتين. وعلى الرغم من قوله إنه توجه إلى منزله فوراً إلا أن الأدلة أثبتت أنه وصل منزله في الساعة السابعة إلا ربعا – على الرغم من أن المسافة لا تزيد على كيلومتر واحد.

ولم يصدق أحد بالتأكيد قوله إنه نسي بندقيته مصادفة.

– وعلى الرغم من ذلك فأنت...

– نعم، لا أجد في هذا غرابة. فيمكن أن ينسى البندقية بعد المشادة العاصفة بينه وبين "**فيفيان**". لكن هذا أقل أهمية مما يلي: فقد سمع الخدم جميعًا صوت الطلقات النارية في تمام السادسة والثلث: رئيس الخدم، والطاهية ومساعدتها، وخادمة الليدي "**بارنابي**" الخاصة، وحين انطلقوا جميعًا إلى حجرة الموسيقى شاهدوها مكومة على المقعد جثة هامدة؛ لأن الطلقات النارية أطلقت عن قرب.. من خلف رأسها، فنفذت إلى جمجمتها.

– هل سمعت شهادة الخدم؟

– نعم، شهادة اتفق الجميع عليها.

– ألم يقل أحدهم شيئًا مختلفًا؟

– أعتقد أن إحدى الخادمات أدلت بشهادتها في التحقيقات الأولية ثم سافرت إلى "**كندا**" فلم تحضر المحاكمة.

– آه، هذا إذن...! نظر إليه السيد "**ساترثويت**" بسرعة وقال:

– ولكن لم لا تسافر؟

– ولماذا سافرت؟

– على أية حال، لم يكن لدى الخدم شك فيمن قتل مخدومتهم، ولكنهم استغرقوا في ارتباكهم بعض الوقت قبل أن يفكروا في الاتصال بالشرطة، وحين فعلوا وجدوا التليفون معطلاً.

– أوه، التليفون معطل!

– نعم، وقد حدثت الوفاة بسرعة، ولم يكن هناك فائدة من استدعاء الطبيب، وإلى هنا فقد اتضح للمحلفين أن "**مارتن وايلد**" هو القاتل، فقد اعترف بأنه ترك القصر في السادسة وسبع عشرة دقيقة، وقد سمع الخدم الطلقات النارية في السابعة والعشرين دقيقة، إذن فقد كان بالقرب من المنزل في اللحظات التي سبقت سماع الطلقات النارية. فمن يكون القاتل سواه؟ لقد تحققت المحكمة أن السير "**جورج بارنابي**" كان يلعب الورق مع بعض الأصدقاء في منزل أحدهم الذي يبعد عن

منزله ببضعة منازل، وقد غادر منزل صديقه في السادسة والنصف تمامًا حيث التقى به عند باب القصر أحد خدمه ليخبره بالنبإ. أما "**تومسون**"، سكرتير السير "**جورج**" فقد اتضح ألا شأن له بالجريمة، إذ كان في وقت الجريمة نفسه يودع صديقة له استقلت القطار الذي يتحرك إلى "**لندن**" في الساعة السادسة وثمان وعشرين دقيقة. وفيما عدا هؤلاء هناك الخدم الذين ليس لديهم أي دافع لقتل سيدتهم. بالإضافة إلى أنهم انطلقوا جميعًا إلى غرفة الموسيقى عند سماع الطلقات النارية، وبعد ذلك كله ضاقت حلقة الاتهام على "**مارتن وايلد**". ساد الصمت لحظات، إلى أن قال "**ساترثويت**":

– ولكن ماذا يكون الحال إذا تكشفت براءة هذا الشاب بعد إعدامه؟ والآن فلنعد إلى سؤالك لماذا رحلت تلك الخادمة إلى "**كندا**"؟

– في استطاعتك أن تعرف سبب رحيلها يا سيد "**ساترثويت**" وأن تتصل بها أيضًا.

– أظن ذلك، وقد أظفر بمعلومات عنها من رئيس الخدم أو سكرتير السير "**جورج**". اسمع. سوف أفعل ذلك لأنني لا أريد أن يموت هذا الشاب على حبل المشنقة، لكنني إذا عرفت مكانها فإن ذلك يقتضي أن أذهب إليها.

– ولم لا؟ لديك الوقت والمال، ولا تنس أنك تؤدي دورًا تمنيت دائمًا أن تؤديه.

– حسنًا، وحين أعود من "**كندا**" فأين أجدك؟

– طالما نتردد على هذا المطعم فسوف نلتقي بالتأكيد. ذهب السيد "**ساترثويت**" في حماس إلى مكتب شركة سياحة حيث سأل عن مواعيد سفر البواخر، ثم اتصل تليفونيًا بقصر السير "**جورج بارنابي**" يطلب رئيس الخدم وسأله:

– أنا "**ساترثويت**" من مكتب توكيلات قضائية، وأريد أن أعرف بعض المعلومات عن خادمة تركت القصر منذ فترة وجيزة.

– هل تقصد "**لويزا**" يا سيدي؟ "**لويزا بولارد**"؟

– نعم هي من أقصد.

– لقد رحلت إلى "**كندا**" منذ ثلاثة أشهر.

– هل يمكن أن أعرف عنوانها؟

– لا أعتقد، لكني أظن أنها تقيم في منطقة جبلية اسمها "**بانيف**". لكني لا أعرف العنوان بالتحديد فهي لم تكتب أية رسالة لأي منا. كانت هذه المعلومات كافية بالنسبة إلى السيد "**ساترثويت**"، ويمكنه بها أن يصل إليها. وعلى ظهر السفينة وجد نفسه سعيداً بهذه الرحلة المفاجئة. وفي منطقة "**بانيف**" توصل إلى المكان الذي كانت تقطنه "**لويزا بولارد**" دون عناء. فبعد وصوله بيوم واحد كان يقف في مواجهتها. كانت في الخامسة والثلاثين من عمرها، طويلة قوية، تبدو على سماتها البراءة وبعض الغباء. وسرعان ما كانت تقول له كل شيء عن مأساة مخدومتها:

– لقد قرأت نبأ إدانة السيد "**وايلد**" في الصحف. إن هذا شيء مؤسف. إنني أعتقد أنه مذنب، لكن كل إنسان معرض لارتكاب مثل هذه الجريمة. لكني أعتقد أن الليدي "**بارنابي**" هي التي دفعته إلى قتلتها. لقد رفضت أن تتركه يذهب إلى حال سبيله، وقد نالت عقابها، ولذا كان لديَّ في تلك الليلة إحساس بأن كارثة ستحدث، وقد حدثت.

– وكيف كان ذلك؟

– كنت أغير ملابسي في حجرتي والتفت إلى خارج النافذة فرأيت القطار يندفع مخلفًا وراءه سحابة من الدخان ترتفع نحو السماء، وقد خيل إليَّ أن سحابة الدخان هذه ظلت تتشكل حتى أخذت هيئة يد محنية الأصابع وكأنها كف الأقدار تريد أن تسحق شيئًا. وقلت لنفسي إن هذه إشارة من السماء، لابد أن شيئًا سريعًا سيحدث، وفي تلك اللحظة سمعت صوت الطلقات النارية، وقلت لنفسي إن إحساسي تحقق، واندفعت مع بقية الخدم إلى غرفة الموسيقى حيث كانت مخدومتنا مكومة والدماء في كل مكان. ولقد قلت للسير "**بارنابي**" عن إحساسي وتوقعي بوقوع كارثة ما وكيف رأيت تلك الإشارة من السماء. لم يستطع السيد "**ساترثويت**" أن يظفر منها بشيء آخر. لكن ما أثار اهتمامه هو أن مرتبها الذي بدأت تتقاضاه في "**كندا**" كان كبيرًا جدًّا مما حملها على الإسراع بالرحيل إلى هنا.

وقد قالت له إن الذي أسرع بإجراءات سفرها هو مدير مكتب تخديم يسمى السيد "**وينمان**"، وهو يقيم في "**كندا**" أيضًا. وقد نصحها بألا تكتب أية رسائل إلى زملائها وإلا أوقعت نفسها في مشاكل مع إدارة الهجرة. قرر السيد "**ساترثويت**" أن يقوم بزيارة السيد "**وينمان**" هذا. وقد قال له "**وينمان**" عندما التقى به إنه كان في زيارة لـ "**إنجلترا**" منذ عام، والتقى بـ "**تومسون**" سكرتير السير "**جورج بارنابي**" حيث قام له هذا ببعض الخدمات. وعندما كتب إليه "**تومسون**" يرجوه أن يجد لإحدى الخادمات وتدعى "**لويزا بولارد**" عملاً في "**كندا**" فعل ذلك ردًّا على سابق خدماته، وقال له "**تومسون**" إن السير "**جورج**" سوف يرسل مبلغًا من المال يضيف جزءاً منه كل أسبوع إلى مرتب "**لويزا**" مغريًا لها للبقاء في "**كندا**". ولقد اعتقد السيد "**وينمان**" عندئذ أنها إحدى نزوات السير "**جورج**" مع الخادمة التي أراد أن يتخلص منها بإبعادها ليتجنب الفضيحة. لكن "**ساترثويت**" كان يعرف أن هناك سببًا أهم دفع بالسير "**جورج**" إلى التخلص من الخادمة بإبعادها بسرعة إلى "**كندا**". فما هذا السبب؟ وهل له علاقة بغريمه؟ عاد إلى "**إنجلترا**" ليبحث الأمر مع السيد "**كوين**". وعلى الرغم من أنه لم يكن ليتوقع رؤيته في أول مرة يذهب فيها إلى مطعمهما المختار، إلا أنه وجده على المائدة نفسها. فقال له:

– لم أخرج بشيء من تلك الرحلة.

– كيف؟ وسرد له السيد "**ساترثويت**" كل ما توصل إليه من "**لويزا بولارد**" والسيد "**وينمان**"، وعندما انتهى من حديثه قال السيد "**كوين**":

– لقد جئت بما كنا نريده تمامًا.

– كيف؟

– حسنًا، صف لي قصر "**ديرنغ**" الذي يملكه السير "**جورج بارنابي**" من الخارج.

– إنه قصر صغير يبدو عاديًا من الخارج، لكنه رائع من الداخل، مريح جدًّا بأثاثه الفاخر، وهو وسط حديقة مساحتها فدانان ويبعد عن "**لندن**" ثلاثين كيلومترًا فقط.

– هل مواعيد القطارات منتظمة في هذه المنطقة؟

– جداً، مواعيد مضبوطة بالثانية، هذه هي الحقيقة.

– هل القطار الذي يمر بالقرية المسماة "**ديرنج فيل**"، والتي تقطن فيها " **سيلفيا دايل**"، هل يمر في طريقه إلى "**لندن**" بالقصر؟

– نعم ولكن لماذا؟

– قلت لي إن "**تومسون**" سكرتير السير "**جورج**" كان يودع صديقة له رحلت في القطار الذي يقوم في الساعة السادسة وثمان وعشرين دقيقة؟

– نعم، هذا ما قاله للمحكمة.

– حسنًا، الا يمكنك أن تكتشف العلاقة بين هذه الحقيقة وبين سبب إبعاد "**لويزا بولارد**" بسرعة إلى "**كندا**"؟

– ماذا تقصد؟

– ألا يبدو لك أن الذي أراد إبعادها كان يخشى أن تدلي في المحكمة بما قالته لك؟

– لكنها لم تقل لي شيئًا له قيمة.

– على العكس، لقد حدثتك عن إشارة السماء ويد القدر.

– هل تؤمن بمثل هذه الخرافات يا سيد "**كوين**"؟

– ربما... ولكنها رأت القطار، القطار الذي يقوم في الساعة السادسة وثمان وعشرين دقيقة متجهًا إلى "**لندن**"، ولكن... هذا مستحيل. لأنها سمعت صوت الطلقات النارية في اللحظة نفسها وقد قال الجميع إن الساعة عندئذ كانت السادسة وعشرين دقيقة وليس السادسة وثلاثين دقيقة، إذن كيف تفسر التناقض في التوقيت؟

– يمكن أن يكون قطار بضاعة مثلاً أو أي قطار آخر.

– لو كان كذلك لما أسرع السير "**جورج بارنابي**" أو سكرتيرة بإبعاد "**لويزا**" إلى "**كندا**". حدق "**ساترثويت**" إلى السيد "**كوين**" بدهشة بينما استطرد هذا يقول:

– ما رأيك في هذا؟

– لا أعرف، لو أن الرصاصات أطلقت على "**فيفيان**" في اللحظة نفسها التي مر

فيها القطار في الساعة السادسة وثمانٍ وعشرين دقيقة فكيف سمعها الخدم في السادسة والعشرين دقيقة تمامًا؟

– لسبب بسيط وهو خطأ في الساعات التي شاهدها الخدم.

– ساعات القصر كلها، هل هذا معقول؟ هذه مصادفة مذهلة!

– ليست مصادفة فالحادث وقع يوم الجمعة، وقد أخبرتني بأن السير "**جورج**" يملأ ساعات القصر بعد ظهر يوم الجمعة من كل أسبوع. فهم "**ساترثويت**" كل شيء. ونظر إلى السيد "**كوين**" في إعجاب وقال:

– أي أن السير "**جورج**" وهو يضبط الساعات ويملؤها أخرها جميعًا عشر دقائق ثم ذهب إلى بيت صديقه ليلعب الورق. إنه اطلع بطريقة ما على الرسالة التي أرسلتها زوجته "**فيفيان**" إلى "**مارتن وايلد**" في الصباح فخطط للجريمة بإحكام. غادر بيت صديقه في السادسة والنصف في حين كانت ساعات القصر كلها تشير إلى السادسة والعشرين دقيقة. ووصل إلى باب القصر الجانبي في لحظات ليجد بندقية "**مارتن وايلد**" التي نسيها هناك فأطلق منها النار على زوجته، ثم هرع إلى الغابة القريبة وتخلص منها، ثم عاد أدراجه إلى القصر حيث استقبله أحد الخدم عند الباب ليبلغه بالنبإ. أما بالنسبة إلى التليفون فقد عطله عن قصد حتى يفوت على الخدم استخدامه في إبلاغ الشرطة؛ لأنه لو تمكن الخدم من ذلك لاستطاع رجال الشرطة تحديد الوقت الحقيقي لوقوع القتل أي الساعة السادسة والنصف تقريبًا. وهذا يؤيد ما قاله "**مارتن وايلد**" من أنه وصل بيته في الساعة السادسة وخمس وأربعين دقيقة. ذلك لأنه كان قد ترك القصر قبل السادسة والنصف بلحظات وليس بعد السادسة والربع بلحظات. ولما كانت "**لويزا بولارد**" هي المصدر الوحيد للخطر لو تكلمت عن رؤيتها لسحابة دخان القطار كإشارة من السماء فقد كان من المحتمل أن يتوصل أحدهم إلى هذا التناقض في التوقيتات بمقارنة مرور القطار في موعده المحدد. ومن ثم يعرض السير "**بارنابي**" نفسه لحبل المشنقة.

– هذا رائع.

– لكن ما الذي نفعله الآن؟

– أظن أننا يجب أن نخبر "**سيلفيا دايل**"، خطيبة "**مارتن وايلد**".

– ولكن ما الذي تستطيع أن تفعله وهي فتاة؟

– يمكن لأحد من عائلتها أن يتصرف. لم يضع "**ساترثويت**" وقتًا، وسرعان ماكان يتحدث إلى "**سيلفيا دايل**" بكل ما توصل إليه. وما إن فرغ من ذلك حتى هبت الفتاة واقفة وقالت:

– يجب أن أذهب إلى السير "**جورج بارنابي**" حالاً.

– ولكن لماذا؟ قد يكون هذا خطأ... لكنها كانت في طريقها إلى الشارع، فركب معها سيارة أجرة ذكرت لسائقها عنوان مكتب السير "**جورج بارنابي**". توقفت السيارة وتركتها "**سيلفيا**" بسرعة أما "**ساترثويت**" فقد ظل قابعًا فيها حتى عادت إليه بعد نصف ساعة منهكة تمامًا. وعندما جلست في السيارة قالت وهي تغمض عينيها:

– لقد نجحت.

– كيف؟

– أخبرته بأن "**لويزا بولارد**" ذهبت إلى الشرطة وأخبرتهم بسحابة دخان القطار التي تمثل الإشارة من السماء، وأن رجال الشرطة يتحققون من كل شيء مرة أخرى، وقلت له إنه شوهد وهو يتسلل حول قصره ويخرج منه بعد السادسة والنصف بلحظات. وحين عرف أني أعرف كل ما فعل انهار وتغيرت سحنته تمامًا. لكنني نصحته بأنه مازالت أمامه فرصة للهروب قبل أن يأتي إليه رجال الشرطة في خلال ساعة أو اثنتين ووعدته بانني لن أبوح بشيء إذا أعطاني اعترافًا مكتوبًا بارتكابه الجريمة. وهددته إن رفض بأن أعوق هربه بل أسهل القبض عليه. ولقد فزع إلى أقصى حد وارتبك حتى أنه كتب الاعتراف باسمه قبل أن يعرف ماذا يفعل. وقدمت للسيد "**ساترثويت**" ورقة كتب عليها الاعتراف واستطردت:

– أرجوك أن تقدم هذه إلى الشرطة كي يطلقوا سراح "**مارتن وايلد**".

– يا للعجب، إن هذا توقيعه حقيقة.

– ولم العجب؟ إن القاتل عادة محدود الذكاء رغم أن خطته تبدو له محكمة تمامًا. وحين يسيطر عليه الارتباك فهو يفعل أي شيء.

– إنك ترتعدين، هدئي نفسك وهيا بنا إلى مطعم "**أرليشينو**" لنحتسي كأسًا.

دخل مع الفتاة بعد لحظات وهو يتمنى أن يجد السيد "**كوين**"، لكن المقعد كان خاليًا فظهرت عليه أمارات الضيق فسألته "**سيلفيا**":

– ماذا ضايقك؟

– لا شيء. كنت أتمنى أن ألتقي بصديق هنا، لكنه غير موجود. ولكني سوف أقابله مرة أخرى بالتأكيد.

على مائدة القمار

أهم الشخصيات :

"**ساترثويت**" : صديق السيد "**كوين**" وهو رجل ثرثار يتسلى بالفرجة على الحياة

"**هارلي كوين**" : زائر الليل، وهو شخص لا يراه أحد إلا حين يختار هو

الكونتيسة "**تسارنوفا**" : سيدة ثرية من المجر

"**فرانكلين رادج**" : شاب أمريكي صديق "**تسارنوفا**"

"**أليزابيث مارتن**" : صديقة "**فرانكلين رادج**"

"**ميرابيل**" : ممثلة باريسية مشهورة

"**بيير فوشيه**" : موظف مائدة القمار في الكازينو

على مائدة القمار

كان السيد "**ساترثويت**" يتمتع بالشمس الساطعة في شرفة أحد فنادق "**مونت كارلو**". لكنه كان مقطب الجبين؛ إذ كان الفندق خاليًا من أفراد الطبقة الأرستقراطية التي كان يستمتع بوجودها، فقد كان كل الموجودين من الشبان المرحين الذين لا ينتمون إلى جيله. ولما كان "**ساترثويت**" من المتحمسين لمشاهدة ما يحدث على مسرح الحياة فإن حماسه قد خبا؛ ذلك لأن القيم كانت متغيرة والأساليب مختلفة. وفي تلك اللحظة شاهد "**الكونتيسة**" التي رآها قبل ذلك في خلال عدة مواسم. كانت تسير الآن في صحبة شاب كان "**ساترثويت**" يعرفه بطريق المصادفة، وهو شاب أمريكي يدعى "**فرانكلين رادج**"، شخص خشن المظهر لكنه محبوب، خليط من السذاجة والرزانة والمثالية. وكان "**رادج**" بصحبة شبان أمريكيين آخرين من الجنسين. وكانوا يشاهدون "العالم القديم" لأول مرة بعين ناقدة مبهورة. وخطر لـ "**ساترثويت**" أن الكونتيسة "**تسارنوفا**" لم تكن بالصديق المناسب لـ "**فرانكلين رادج**" الشاب فهما مختلفان في كل شيء. رفع "**ساترثويت**" قبعته محييًا وأومأت "**الكونتيسة**" برأسها مبتسمة. كانت امرأة طويلة القامة، رشيقة البنية سوداء الشعر، وكان "**ساترثويت**" معجبًا بأسلوبها في التجميل؛ فقد وضعت المساحيق المناسبة تمامًا. سار "**فرانكلين رادج**" إلى جوارها مزهوًّا مسرورًا، في حين قال "**ساترثويت**" لنفسه: "ها هو أحمق" آخر، لكن ليس هذا شأني وهو لن يستمع إلى نصيحتي ولابد له أن يمر بالتجربة بنفسه". وفي اللحظة التي خطا فيها "**ساترثويت**" مبتعدًا رأى الفتاة الأمريكية التي بدا عليها أنها لم تكن لترحب بصحبة "**فرانكلين رادج**" لـ "**الكونتيسة**" أبدًا. كانت فتاة بسيطة ترتدي ثيابًا عادية توحي بثقافتها ولكن السمة الغالبة فيها كانت صغر سنها. قالت "**أليزابيث مارتن**" محيية:

– صباح الخير يا سيد "**ساترثويت**"، هل رأيت "**فرانكلين رادج**" بالقرب من هنا؟

– رأيته منذ دقائق قليلة فقط. قالت الفتاة بحيرة:

– أظنه كان مع صديقته "**الكونتيسة**" كما أعتقد؟

– نعم كان مع "**الكونتيسة**".

– هذه "**الكونتيسة**" التي لا أستلطفها أبداً. إن "**فرانكلين**" مجنون بها وبودي أن أعرف السبب.

– لعل لها جاذبية خاصة كما أعتقد.

– هل تعرفها؟

– قليلاً.

– إنني قلقة على "**فرانكلين**". فهذا الشاب يتمتع بقدر من الرزانة ولا أظنه يقع ضحية لها، ولكن لو أن أحداً تحدث إليه عنها لاشتد به الغضب. لم يحر "**ساترثويت**" جوابًا، واستمرت "**أليزابيث**" في طريقها نحو الكازينو في حين ظل "**ساترثويت**" جالسًا في الشمس، وبعد قليل انضم إليه "**فرانكلين رادج**" الذي كان ممتلئًا حماسًا وهو يقول:

– إنني أتمتع بوقت طيب، حياة مختلفة عما تعودناه في "**أمريكا**".

– إن الحياة هي الحياة في كل مكان لا يتغير فيها سوى المظهر الخارجي. إنك لن تفهم ذلك لأنه ما زال أمامك عمر طويل، وليس لي أن أعظك منذ الآن.

– إنني أتكلم عن لعب القمار فقد خيل إليّ أنه شيء مختلف أكثر إثارة، لكنه يبدو لي الآن مدعاة للسأم والملل.

– إن المقامرة هي الحياة والموت بالنسبة إلى المقامر وهي أكثر إثارة عندما نقرأ عنها وعن ممارستها. أومأ الشاب برأسه موافقًا وقال:

– إن لك بالمناسبة دائرة معارف كبيرة؛ فأنت تعرف جميع الدوقات

والكونتيسات ومن بينهم الكونتيسة "**تسارنوفا**"، أليس كذلك؟

– أعرفها قليلاً.

– إنها لامرأة تثير الاهتمام تنتمي إلى الطبقة الأرستقراطية في "**أوربا**". أليس من الرائع أن يلتقي الإنسان بمخلوقة جميلة كـ "**الكونتيسة**" ساحرة وجذابة تمثل جيلاً متحضراً بأكمله؟

– هل هي كذلك؟ إنني لا أعرف عنها سوى القليل.

– إنها من أعرق العائلات في "**المجر**" ولقد عاشت حياة غريبة تماما. هل تعرف مجموعة اللآلئ التي تتزين بها؟ لقد أهداها إليها ملك "**البوسنة**" مقابل أسرار زودته بها...

– نعم سمعت ذلك.

– والآن سأقول لك شيئًا آخر، لقد انغمست في بلاط الملوك وكانت مشتركة في دسائس ومؤامرات غريبة مثيرة للخيال، لكن مأساتها أنها لم تجد مطلقًا امرأة يمكن أن تعتبرها صديقة لها. أجاب السيد "**ساترثويت**" مفكرًا:

– إن للنساء نظرياتهن كما تعرف وليس لنا أن نتدخل في آرائهن.

– إني لا أتفق معك. إن من أسوإ الأمور اليوم كراهية المرأة للمرأة. خذ "**أليزابيث مارتن**" مثلاً. إننا نتفق في أمور عديدة من الناحية النظرية. لكن عندما توضع هذه الأمور موضع التجربة فإنها تصبح واحدة منهن لا أكثر. إنها تكره "**الكونتيسة**" دون أن تعرف عنها شيئًا ولا تستمع إلى ما أقوله لها عنها، وليس هناك من فائدة بأن تنشأ بينهما أية مودة. وحاول السيد "**ساترثويت**" عبثًا أن يجد ظروفًا تؤدي إلى مثل هذه المودة بين "**الكونتيسة**" و"**أليزابيث مارتن**" فلم يجد في حين تابع "**فرانكلين رادج**" يقول:

– هل تعرف كم تبلغ "**الكونتيسة**" من العمر؟ لقد خمنت أنا أن تكون سنها تسعة وعشرين عامًا، لكنها قالت لي من تلقاء نفسها إنها في الخامسة والثلاثين.

رفع السيد "**ساترثويت**" حاجبيه دهشة؛ لأنه كان واثقًا بأن عمر "**الكونتيسة**" مابين الخامسة والأربعين والتاسعة والأربعين وقال:

– أحذرك من أن تصدق كل ما يقال لك في "**مونت كارلو**". وفي اللحظة التالية ظهرت "**الكونتيسة**"، فنهض "**فرانكلين**" ليحييها، وانضمت إليهما. وسرعان ما بدأت حديثًا طويلاً مع السيد "**ساترثويت**"، وأخذا يتبادلان الرأي في "**فرانكلين**" الذي كان قد استأذن لبعض الوقت.. قالت "**الكونتيسة**":

– لقد أخبرته بشيء كثير عن حياتي، أشياء لم أقلها للكثيرين؛ ذلك لأنني عشت حياة غريبة يا سيد "**ساترثويت**"، وقلائل هم الذين سيصدقون الأشياء الغريبة التي حدثت لي. لم يجب "**ساترثويت**" لكنه أحس فجأة بأن هذه المخلوقة تعيش في يأس وتحارب بكل ما في يدها من أسلحة، ورمقها بطرف عينه ليرى علامات السنين تأخذ طريقها إلى وجهها، وشعر مرة أخرى بأنها امرأة يائسة ستفعل كل شيء للمحافظة على "**فرانكلين رادج**". كان من الواضح أن لديها مالاً كثيراً؛ إذ كانت ثيابها على الدوام غالية الثمن ومجوهراتها ثمينة. إذن فالمال ليس سبب يأسها. هل هو الحب إذن؟ قد يكون الأمر كذلك، خاصة بالنسبة إلى امرأة في هذه السن. بدا عليها أنها تتحداه أن يقول عنها شيئًا لـ "**فرانكلين رادج**"، لكنه كان أكثر خبرة وحنكة من أن يفعل ذلك. وفي تلك الليلة أخذ يرقبها وهي تقامر في لعبة الروليت، كانت تخسر بذلك الهدوء المفتعل، ومرة أخرى تضع أقصى ما يمكن وضعه على اللون الأحمر. كسبت عدداً قليلاً من المرات لكنها خسرت كثيراً بعد ذلك. وسمع "**ساترثويت**" همسات رجلين على مقربة منه يقول أحدهما للآخر:

– إذن فهذه هي الكونتيسة "**تسارنوفا**"، وهذه هي جواهر ملك "**البوسنة**". أجاب الآخر وهو يضحك:

– هل هي جواهر حقيقية؟ إنه لأمر غريب. ولم يسمع السيد "**ساترثويت**"

بقية الحديث؛ لأنه في تلك اللحظة شاهد صديقًا قديمًا، فهز يده مصافحًا بحرارة وهو يقول:

– عزيزي السيد "**كوين**"، هذا آخر الأماكن التي أتوقع أن أراك فيها. قال السيد "**كوين**" وهو يبتسم:

– لا يدهشك هذا، إنني آتي إلى هنا أحيانًا.

– حقًّا أنني سعيد كل السعادة بلقائك. هل لنا أن نخرج إلى الهواء الطلق؟

– أوافقك، هيا بنا نسير في الحديقة؛ فأنا أرى أن هناك ما تريد أن تحدثني به.

أخذ "**ساترثويت**" يتحدث بحماس عمًّا يحسه من غموض بالنسبة إلى "**الكونتيسة**" والشاب "**فرانكلين**"، ثم "**أليزابيث مارتن**" وأخذ يصفهم جميعًا للسيد "**كوين**" الذي قال:

– لقد تغيرت منذ أن عرفتك أول مرة.

– من أية ناحية؟

– لقد كنت راضيًا بان تشاهد مسرحية الحياة من بعيد لكنك الآن تريد أن تقوم بدور. وسوف أساعدك فيه. شعر "**ساترثويت**" بإحساس بالراحة؛ لأن هناك من يستطيع أن يعتمد عليه. وفي اليوم التالي تقدم إليه كل من "**فرانكلين رادج**" و"**أليزابيث مارتن**"، لكن لم يأت ذكر لـ "**الكونتيسة**" إلا عند الغداء عندما قال للسيد "**كوين**" بهمس:

– إن "**ميرابيل**" ستصل إلى "**مونت كارلو**" هذا المساء.

– ممثلة المسرح الباريسية المشهورة؟

– نعم وهي الآن محظية ملك "**البوسنة**" التي أغدق عليها جواهر عديدة، ويقال إنها أكثر امرأة مسرفة في "**باريس**".

– سوف يكون من المثير أن نرى لقاء الكونتيسة "**تسارنوفا**" بها هذه الليلة.

أثارت "**ميرابيل**" المشاعر عندما ظهرت في الكازينو بقامتها الطويلة وشعرها

المصبوغ وأناقتها الواضحة وجواهرها الفخمة، فقال "**كوين**" لـ "**ساترثويت**" :

– إن صديقتك "**الكونتيسة**" سوف تجد صعوبة في أن تبدو أكثر جمالاً من الممثلة. لكن "**الكونتيسة**" كانت أكثر مهارة مما كانا يعتقدان، فقد ظهرت بثوب بسيط ولم تضع أية قطعة حلي، فقال "**ساترثويت**" موافقًا:

– إنها ذكية إذ فعلت ذلك، وقد احتقرت مبدأ الدخول في منافسة. ومن حين إلى آخر كان يذهب إلى منضدة اللعب ويلقي ببعض النقود من باب التسلية. ولكن في نهاية الأمر كان هناك كثيرون يلعبون على رقم واحد وثلاثين، لكن السيد "**ساترثويت**" وضع أقصى ما يمكن اللعب به على رقم خمسة. انحنت "**الكونتيسة**" إلى الأمام ووضعت كل مالها على رقم ستة، وهنا نادى موظف مائدة القمار أن الكرة ستجري والأفكار تدور في رأس "**ساترثويت**". إن هذه الكرة تمثل شيئًا مختلفًا بالنسبة إلى اللاعبين فهي تسلية وأمل للآخرين، وحياة وموت لنوع ثالث. وما هي إلا لحظات حتى صاح موظف مائدة القمار قائلاً:

– رقم خمسة يكسب. لقد كسب "**ساترثويت**". لكن الموظف جمع كل النقود على المائدة في اللحظة التي مد فيها "**ساترثويت**" يده ليأخذ مكسبه وفي اللحظة نفسها التي فعلت "**الكونتيسة**" مثله. وهنا نقل الموظف بصره من أحدهما إلى الآخر ثم قال في مرح:

– السيدة تكسب. أخذت "**الكونتيسة**" النقود في حين احتفظ السيد "**ساترثويت**" بمظهر السيد المهذب لكنه في الوقت نفسه رد على نظرتها بنظرة مماثلة. أومأ شخص أو اثنان من الحاضرين لموظف المائدة بأنه أخطأ، لكنه هز رأسه دون اكتراث وانطلق إلى الدورة التالية. انضم "**ساترثويت**" إلى السيد "**كوين**" ليشكو له ما حدث بغضب فقال هذا:

– إنه أمر سيئ. لكن مثل هذه الأشياء كثيراً ما تحدث.

– سوف نلتقي بصديقنا "**فرانكلين رادج**" فيما بعد فإنني أقيم حفلا صغيراً

للعشاء. وفي منتصف الليل اجتمع الثلاثة وشرح السير "**كوين**" خطته قائلاً:

– إنها لعبة ظريفة فسوف أختار مكانًا للقاء ثم يخرج كل منا ليدعو أول شخص يقابله إلى ذلك المكان. دهش "**فرانكلين رادج**" للفكرة وقال:

– لنفرض أن هذا الشخص لم يقبل الدعوة؟

– يجب عليك أن تستخدم كل طرقك في الإقناع، سوف نلتقي في قهوة بوهيمية تسمى "**لوكافو**". وبعد أن وصف له مكانها افترقوا، وكان من حظ "**ساترثويت**" أن تكون أول من لقيها هي "**أليزابيث**" مما زاد في حرج لقائه بـ"**أليزابيث**". وأخيراً جاء السيد "**كوين**" بصحبة رجل أسمر البشرة أنيق الهندام، وجهه مألوف لـ "**ساترثويت**" وسرعان ما تعرفه فقد كان موظف مائدة القمار في الكازينو. قال السيد "**كوين**" يقدمه له:

– دعوني أقدم لكم السيد "**بيير فوشيه**"... بدا الرجل مضطربًا قليلاً. وبعد العشاء قال السيد "**كوين**":

– بقية اللعبة أن يحكي كل منا قصة طريفة. وبدا "**فرانكلين**" يروي قصته التي كانت مطولة لكنها لم تكن تحمل الإثارة الكافية للحاضرين. ثم جاء دور "**بيير فوشيه**" الذي قال في تثاقل:

– سوف أخبركم أنا أيضًا بقصة، بيد أن قصتي ليس فيها رجل وصل إلى النجاح كقصة السيد "**فرانكلين**" لكنها قصة رجل هبط إلى الهاوية، رجل لم يصعد التل بل هبط إلى واد سحيق، لكنها رغم ذلك قصة حقيقية. بدا الاهتمام على الجميع، في حين تابع "**بيير فوشيه**" قائلاً:

– لقد بدأت القصة في "**باريس**"، كان هناك رجل يشتغل بصناعة المجوهرات، كان شابًا مرحًا ماهراً في مهنته حتى أن الناس تنبؤوا له بمستقبل زاهر، وقد رتب له أهله زواجًا مناسبًا بفتاة مناسبة، لكن تخيلوا ما حدث بعد ذلك.. في أحد الأيام رأى فتاة بادية البؤس والتعاسة. هل كانت جميلة؟ نعم لو أنها لم تكن جوعانة،

لكنها كانت بمثابة سحر لم يستطع مقاومته. كانت تحاول أن تجد عملاً، إنها فتاة شريفة أو على الأقل هذا ما قالته له. ولا أعرف إن كان ذلك صحيحًا أم لا. وهنا ارتفع صوت "**الكونتيسة**" فجأة قائلاً:

– ولماذا لا يكون ذلك صحيحًا؟

– حسنًا لقد صدقها الرجل وتزوجها، ولقد كان عملاً يتسم بالحماقة فقد غضبت منه عائلته، على أي حال لقد تزوج من سأسميها في قصتي "**جين**"، وقد شعر بأنها ستكون ممتنة له، فقد ضحى بالكثير من أجلها. قالت "**الكونتيسة**" ملاحظة بسخرية:

– لقد كانت بداية طيبة بالنسبة إلى فتاة فقيرة.

– كان يحبها، لكنها منذ البداية دفعته إلى الجنون؛ فقد كانت متقلبة المزاج، فهي يومًا باردة تجاهه ومحبة في اليوم التالي. وأخيرًا اتضحت له الحقيقة. إنها لم تحبه قط، وتزوجته فقط لكيلا تموت جوعًا. ولقد آذته هذه الحقيقة، لكنه لم يدعها تشعر بذلك. كانا يتشاجران، وكانت هي تعنفه وتؤذيه من أجل لا شيء، ولكم أن تخمنوا ما حدث بعد ذلك. النهاية المحتومة.. تركته وهربت، وأخذ هو في العامين التاليين يعمل في حانوته دون أن يتلقى نبأ عنها، وفي وحدته أصبح مدمنًا للشراب، وأصبحت أعماله على غير ما يرام. وفي أحد الأيام جاءته إلى الحانوت لتجده جالسًا هناك. كانت أنيقة الهندام تتزين بالأساور والحلي، وأخذ يتأملها وقلبه يدق بعنف دون أن يعرف ماذا يفعل، كان يتمنى لو أنه ضربها أو أخذها بين ذراعيه أو ألقى بها على الأرض وداس فوقها. لكنه لم يفعل شيئًا من ذلك. التقط نظارته التي يعمل بها وسألها بلهجة رسمية:

– بماذا تأمر سيدتي؟ وقد أغاظها ذلك، فلم تأت من أجل هذا، وقالت:

– لقد رجعت إليك يا "**بيير**". وأزاح هو نظارته وقال:

– تريدين أن أعفو عنك.. تريدين أن أعيدك، هل ندمت حقًا؟ أما هي

فغمغمت برقة ونعومة:

– هل تريدني أن أعود؟ كان يعرف أنها تنصب له فخًا، وكان يشتاق إلى أن يضمها بين ذراعيه، لكنه لم يقع في الفخ. تظاهر بعدم الاهتمام وقال:

– إنني رجل أنفذ تعاليم الكنيسة. لكن "جين" – كما أدعوها – ألقت برأسها إلى الخلف وأخذت تضحك بطريقة شريرة وقالت:

– لقد جئت أسخر منك يا "بيير". انظر إلى هذه الملابس الثمينة والأساور والحلي.. جئت لأريك نفسي.. فكرت في أن أجعلك تأخذني بين ذراعيك وعندئذ أبصق على وجهك وأقول لك كم أكرهك! وبعد ذلك انصرفت من الحانوت. والآن تتصورون يا سادتي امرأة بهذا الشر؟ تعود فقط لكي تعذبه؟ قالت "الكونتيسة":

– كلا، إنني لا أصدق هذه القصة وأي أحمق لن يصدقها أيضًا، لكن غالبية الرجال حمقى عميان. لم يكترث "بيير فوشيه" بما قالته واستطرد:

– وقد انهار هذا الشاب الذي حدثتكم عنه أكثر وأكثر، أصبح أشد إدمانًا للشراب، واضطر إلى بيع الحانوت وأصبح فقيراً معدمًا. ثم جاءت الحرب فأخذت هذا الرجل من الحضيض وجعلته يستغرق في شرورها ويتحمل الألم والخوف من الموت، لكنه لم يمت. وعندما انتهت الحرب عاد رجلاً مرة أخرى. وعندئذ ياسادتي جاء إلى الجنوب ليعالج رئتيه. ولن أطيل عليكم فقد انتهى به الأمر بأن عمل موظف مائدة قمار، وهناك في الكازينو في إحدى الأمسيات رآها: المرأة التي حطمت حياته. لم تعرفه هي ولكنه عرفها جيداً. كانت تبدو ثرية ليست محتاجة إلى شيء. ولكن هذا لم يخدع عين موظف القمار النافذة. وفي أحد الأيام وضعت كل ما معها على المائدة، تسألونني كيف عرفت أن ذلك كان كل ما معها؟ وأرد عليكم بأننا نعرف هذه الأشياء بحكم خبرتنا. تقولون إنها كان يمكن أن ترهن ملابسها ومجوهراتها، وأقول لكم إنها لم تكن جواهر حقيقية. لقد كانت هذه

مهنتي وأنا خبير بها. إنها باعت مجوهراتها منذ زمن بعيد، ولم تعد هناك مجوهرات لديها فقد استبدلت بها أخرى زائفة، ولم يعد لديها ما تدفع منه حساب الفندق. ولكن أين ذهب المعجبون الذين أحاطوا بها سنوات عديدة.. أوه. لقد انصرفوا عنها. فقد أصبحت في الخمسين وهم يحتاجون إلى دجاجة صغيرة مقابل نقودهم. سمع الجميع صوت زفرة طويلة صدرت من "**الكونتيسة**"، في حين تابع "**بيير فوشيه**" قائلاً:

- نعم لقد كانت لحظة عظيمة. لقد راقبتها طيلة ليلتين وهي تخسر وتخسر حتى جاءت النهاية ووضعت كل نقودها على أحد الأرقام، وإلى جوارها سيد إنجليزي وضع نقوده على الرقم التالي وتدحرجت الكرة وجاءت اللحظة... لقد خسرت. والتقت نظراتي بنظراتها.. ماذا أفعل هل أخاطر بوظيفتي في الكازينو؟ نعم. وسرقت السيد الإنجليزي وأعلنت أن السيدة تكسب. وهنا نهضت "**الكونتيسة**" واقفة وقذفت بكاسها على الأرض وهي تصيح:

- لماذا؟ هذا ما أريد أن أعرفه! لماذا فعلت ذلك؟ تبع ذلك فترة صمت بدت بلا نهاية، في حين كان الاثنان ينظر أحدهما إلى الآخر وكأنهما في مبارزة، حتى ارتسمت ابتسامة خبيثة على وجه "**بيير فوشيه**" وقال:

- سيدتي. هناك شيء يسمى الشفقة. غاصت في مقعدها ثانية وابتسمت لنفسها وقالت:

- يا لها من قصة مثيرة يا سيد "**فوشيه**"... أليس كذلك؟ اسمح لي بأن أشعل لك سيجارتك. كورت ورقة صغيرة وأشعلتها من الشمعة وأشعلت له سيجارته، ثم نهضت فجأة وقالت:

- والآن سوف أترككم جميعًا.. من فضلكم لا أريد أن يصحبني أحد. وقبل أن يتحرك أحد كانت قد ذهبت، حاول السيد "**ساترثويت**" أن يتبعها لكن السيد "**فوشيه**" منعه من ذلك، وفي تلك اللحظة أبصر الورقة المكورة وفتحها، ثم غمغم قائلاً بدهشة:

– يا إله السماء! إنها ورقة مالية من فئة الخمسة آلاف فرنك، هل تفهمون؟ هذا كل ما كسبته الليلة وكل ما تملكه في الدنيا – أشعلت به سيجارتي! ذلك لأنها لم تتقبل شفقتي – آه. يا لها من كبرياء. فقد كانت متكبرة كالشيطان، إنها فريدة من نوعها – امرأة رائعة. واندفع واقفًا وهرع إلى الخارج، ونهض السيد "**ساترثويت**" والسيد "**كوين**" أيضًا، في حين مد الساقي يده بورقة النقد المحترقة، فاختطفها السيد "**كوين**" منه بسرعة. فقال "**فرانكلين رادج**" :

– إن هؤلاء الأجانب غريبو الأطوار يا "**أليزابيث**" ، اليس كذلك؟ وصحبها إلى الخارج بعد أن شكر السيد "**كوين**" . ثم قال "**ساترثويت**" :

– حسنًا. لقد تم كل شيء بطريقة رائعة. وسوف يكون هذان الطائران المتحابان على ما يرام. وابتسم الاثنان وتبادلا نظرة فهم وعطف.

هاوية الموت

أهم الشخصيات :

"**ساترثويت**" : صديق السيد "**كوين**" وهو رجل ثرثار يتسلى بالفرجة على الحياة

"**هارلي كوين**" زائر الليل، وهو شخص لا يراه أحد إلا حين يختار هو

"**مانويل**" بستاني في المنزل

"**أنتوني كوسيدين**" : رجل في الأربعين تنبأ الأطباء موته بعد ستة أشهر

هاوية الموت

كان السيد "**ساترثويت**" يقضي الصيف في إحدى الجزر الإسبانية، وقد اعتاد السير عند الغروب في طريق على جانبيه بيوت بيضاء يظللها النخيل، ثم يتجه إلى الشاطئ الصخري ثم إلى طريق تحف به الأشجار، ينتهي إلى ربوة عليها بيت صغير حوله حديقة جميلة مليئة بالزهور. وكان من عادة "**مانويل**" - بستاني المنزل - أن يقدم لكل من يصل إلى هذا المكان وردة جميلة وذلك مقابل ما يجود به القادم من نقود. وأخذ "**ساترثويت**" يتساءل بينه وبين نفسه عن سكان ذلك البيت الذي كانت أبوابه ونوافذه مغلقة على الدوام. لابد من أنها مغنية مشهورة اعتزلت الغناء أو ممثلة ذائعة الصيت نالت منها الشيخوخة فانزوت في هذا المكان النائي. لكنه في كل مرة كان ينظر إلى البيت في فضول وهو يتساءل ما إذا كان به أحد أم أنه خال تماماً. وفي هذه المرة انطلق إلى ذلك المرتفع الصخري الرهيب الذي ينتهي فجأة إلى حياة البحر الهائجة في هذه المنطقة. وتذكر وهو ينظر إلى أسفل قصة ذلك السباح الإنجليزي المغامر الذي قفز إلى الماء من هذا المكان، لكنها كانت قفزة الموت. وانطلقت أفكاره إلى لغز الحياة والموت، ما هي وما هو الموت؟ لكن وقع أقدام خفيفة نبهته من أفكاره ثم سمع صوت رجل يقول: اللعنة. التفت خلفه ليجد رجلاً في حوالي الأربعين من عمره يوجه إليه نظرات حانقة. وسرعان ما عرفه "**ساترثويت**" فهو الرجل نفسه الذي تعرف إليه في الفندق في اليوم السابق، إنه الرجل نفسه الذي يلفت الانتباه لأنه رغم سنواته الأربعين كان يبدو في شرخ الشباب، وكان "**ساترثويت**" يحسده على ذلك كلما رآه. كان بديناً إلى حد ما، طويل القامة يبدو عليه أنه يتمتع بكل ما تقدمه له الحياة. لكن نظراته كانت توحي بالحزن والقلق والألم. تنبه "**ساترثويت**" لصوت الرجل يقول:

- آسف، أدهشتني رؤيتك هنا؛ فهذا مكان منعزل لم أتوقع أن أجد فيه أحداً.

- الواقع أنه مكان منعزل فعلاً.

– ورغم هذا فإنني كلما حضرت إلى هنا وجدت شخصًا ما. كانت نبراته توحي بالضيق... فما السبب يا ترى؟ قال "**ساترثويت**":

– إذن فقد حضرت إلى هنا كثيراً؟

– نعم، كنت هنا بعد العشاء أمس.

– حقًّا، ولكن كيف مررت من بوابة المنزل، إنها تغلق في الساعة العاشرة؟

– قفزت من فوقها.

– وهل وجدت شخصًا هنا في مثل هذا الوقت؟

– نعم ، رأيت شخصا كان يرتدي ملابس تنكرية.

– ملابس تنكرية؟

– نعم، ملابس مثل التي يرتديها المهرجون في التمثيليات التهريجية.. نظر إليه "**ساترثويت**" بعجب. وشعر بالانفعال وهو يقول:

– ماذا تقصد؟

– عادة ما يتنكر نزلاء الفندق في مثل هذه الملابس في أثناء حفلات الرقص.

– وماذا قال لك؟

– لا شيء، لقد ظهر فجأة واختفى فجأة كأنه شبح. وقد خيل إليَّ أنه جاء من البحر. حدق "ساترثويت" إلى الهاوية السحيقة وفي نهايتها مياه البحر، في حين تابع الرجل:

– لكن هذا بالتأكيد كان فكرة خيالية.. فليس هنا سوى هذه الهاوية السحيقة التي تفضي إلى الموت في لحظة واحدة. إنه مكان مثالي ليتخلص المرء من عدوه. وحدق الرجل إلى وجه "**ساترثويت**" ثم أردف:

– نعم، مجرد دفعة صغيرة، ثم الموت. وساد الصمت. إلى أن قال الرجل الغريب فجأة وكأنه يحدث نفسه:

– ولكن ما الفائدة؟ فائدة أن نحيا أو نموت؟ وعندما لم يقل "**ساترثويت**" شيئًا قال الرجل:

– سمعت من يقول إنه يجب على كل رجل أن يبني بيتا وأن يزرع شجرة وأن ينجب ولداً... أوه... أظن أنني وضعت ذات يوم بذرة ابن. وزاد فضول "**ساترثويت**". ولم يجد مشقة في استدراج الرجل للحديث فقد كان هذا على استعداد تام للإفضاء بكل ما يثقل كاهله. قال:

– اسمي "**أنتوني كوسيدين**"، عشت في رغد ووفرة حيث ورثت أموالاً كثيرة أنفقت من ريعها في حياة متعة وترف، أصدقاء كثيرون ومتع الحياة ومباهجها بغير حساب، عشت حياة منطلقة فيها الشراب وفيها النساء. وتوقف الرجل برهة فقال "**ساترثويت**" لنفسه: "ولكن هناك أنواعًا من الحياة أسوأ". أردف "**أنتوني**":

ثم هبطت يد القدر. جاءت أول الأمر برفق، فقد أحسست بألم بسيط واستشرت الأطباء الذين أخذوا على مر الأيام يخبرونني بالحقيقة رويداً رويداً. فبعد أن نصحوني بالإقلال من المجهود والراحة أخبروني في النهاية بأن ما بقي من عمري لن يزيد عن ستة أشهر. وحدق "**أنتوني**" إلى "**ساترثويت**" بنظرات حزينة متسائلة وأردف:

– حاولت جهودي أن أضرب بكلامهم عرض الحائط وأن أنطلق في حياتي المعتادة لكن هذا لم يعد ممكنًا بعد أيام معدودة. فقد بدأ جميع معارفي ينصرفون عني حيث لم أعد مصدر بهجة وسعادة بل مبعث هم وشقاء، رجل يعيش في كفن. وهكذا قررت أن أحضر إلى هنا، إلى هذه الجزيرة.

– ولكن لم هذه الجزيرة بالذات؟

– لأنني سبق أن حضرت إلى هنا عندما كنت في حوالي العشرين من عمري... إنني أتذكر هذا المكان جيداً وهذا القصر... ثم هذه الهاوية التي تذهب بالإنسان إلى الموت.

– ألهذا السبب كنت هنا بالأمس والليلة؟ وجه إليه "**أنتوني كوسيدين**" نظرة حانقة وقال:

– هذا أمر لا يعنيك.

– لقد عطلك بالأمس شخص، وأنا عطلتك اليوم، وهذا يعني أن حياتك أنقذت مرتين.

– إنها قبل كل شيء حياتي وأنا حر التصرف فيها.

– هذا ما يقوله الجميع، أصبح تعبيراً شائعاً.

– إنني أقدر موقفك ومحاولتك التخفيف عني وبث الأمل في قلبي على الرغم من اعتقادك أن ما سأفعله هو الصواب. إنني لن آسف على شيء ولكن سأتجنب توقع الموت عندما يجيء.

– ولكن أخبرني هل هناك من يهمه أمرك. أليست لك حبيبة؟

– كانت لي عشيقات كثيرات. لكنها كانت علاقات سطحية، هذا فيما عدا... آه... لو كان لي فقط ابن... ولكن ما جدوى التمني الآن ولم يبق لي على الموت سوى خمسة أشهر وستة أيام.

– إن الأمر نسبي. فربما تكنْ هذه الأيام الباقية أسعد أيام حياتك. هذا إذا افترضنا أن ما تنبأ به الأطباء عن موتك صحيح.

– لو أنك كنت مكاني فهل كنت تتحمل مرور الأيام؟

– لا أستطيع إجابتك لأنني لا أحب دائماً أن أعرف ماذا يخبئه لي القدر.

– حسناً، أشكرك إذ استمعت إليَّ. أرجوك الا تخبر أحداً بقصتي إذا ما انتهت حياتي. ولكن كلا، قل ما تشاء فلن يكون هناك ما يضيرني بعد موتي... لن أفعل شيئاً الليلة، فلست أريد أن يتهمك أحد بقتلي... أرجو أن أراك في الفندق بعد العشاء. أخذ "ساترثويت" بعد انصراف الرجل يفكر فيما قد يحدث، لكنه نهض آخر الأمر وانطلق نحو الربوة التي يعلوها القصر لينحدر من جانبها إلى الفندق. لكنه توقف فجأة أمام القصر وأخذ ينظر إلى نوافذه المغلقة، ويتخيل تلك المغنية أو الراقصة التي قد تكون بداخله بعيدة عن حياة المجد والشهرة التي تركتها. تغلب عليه حب الاستطلاع ليجد نفسه يتسلق كومة أحجار تحت إحدى النوافذ ثم يضغط على مصراع النافذة، وكأنه يجربه، فإذا بالمصراع يفتح تحت ضغطه، وكادت

تصعقه الدهشة إذ رأى سيدة متشحة بالسواد جامدة النظرات تنظر إليه دون حراك. غلبه الارتباك ولم يعرف اللغة التي يعتذر بها، وأخذ يتراجع وهو يتمتم بكلمات لا معنى لها. ثم جاءته المفاجأة الثانية حين سمع السيدة تقول له آمرة باللغة الإنجليزية أن يتقدم منها. عاد "**ساترثويت**" ليقول بلهجة اعتذار صادقة:

– أعتذر عمّا فعلته، إنه حب الاستطلاع الذي دفعني إلى الضغط على هذه النافذة، لكني لم أكن لأتوقع أن تفتح. والحقيقة أنني كثيراً ما تخيلت أشياء عمًّا في القصر. أطلقت السيدة ضحكة عذبة وقالت:

– إذن تفضل بالدخول لترى بنفسك. دخل "**ساترثويت**" وهو يشعر بالسرور. فوجد نفسه في حجرة فاخرة الأثاث لكن التراب متراكم على كل ما فيها. وصحبته المرأة إلى بهو كبير انطلقت منه إلى حجرة أخرى في مؤخرة القصر تطل على البحر. وما إن جلس "**ساترثويت**" حتى ذهبت السيدة إلى باب الحجرة وأصدرت أوامرها بالإسبانية لإحدى خادماتها وعادت لتجلس أمامه. شعر بشيخوخته أمام أنوثتها المتفجرة وحيويتها الفائقة وقوة شخصيتها. كانت طويلة القوام خمرية اللون رائعة الجمال رغم إشرافها على سن الأربعين. شعر بمتعة غامضة في وجودها. لكنه مع هذه المتعة شعر بشيء من الرهبة، ذلك لأنها كانت ذات شخصية مسيطرة. قالت:

– يسعدني حضورك، فإنني محتاجة إلى شخص أتبادل معه الحديث الليلة. وأنت تبدو ممن يطمئن الإنسان إلى التحدث معه.

– هل تقيمين هنا؟

– نعم.

– إن القصر يبدو مغلقًا على الدوام، أو هكذا يبدو لي.

– ذلك لأنني أستخدم الجانب الخلفي فقط.

– وهل القصر ملك لك... أقصد منذ وقت طويل؟

– نعم، منذ اثنتين وعشرين سنة، وقد أقمت فيه عامًا كاملاً قبل هذا.

– إنها مدة طويلة جداً.

– ماذا تقصد، أتقصد العام أو الاثنين والعشرين عامًا؟

– هذا شيء نسبي يتوقف على...

– ... على نوع الحياة التي يعيشها المرء. إنهما فترتان مختلفتان تمامًا، ولا أعرف إذا كان العام أطول من الاثنين والعشرين عامًا... لكنني على وشك أن أقول لك عن أسراري... لا بأس، فإن الحياة تكون مضجرة إذا عاش الإنسان ينتظر شيئًا بلا نتيجة. ابتسم السيد "**ساترثويت**" وقال ليستدرجها:

– لكن يبدو أنك ممن لا يكتفون بالتفرج على الحياة والانتظار، بل يبدو عليك أنك تحركين أدوار الآخرين في مسرحية الحياة. ولابد أن في حياتك كثيرًا من التجارب وربما المآسي. ضاقت عيناها وهي تتأمل السقف ثم قالت بشرود:

– لو كنت من أهل هذه المنطقة لسمعت بأمر السباح الإنجليزي الذي قفز من هنا قفزة الموت أمام عيني زوجته الصغيرة التي شاهدته وهو يغرق.

– لقد سمعت بحدوث هذه المأساة.

– ذلك الشاب كان زوجي. جاء إلى هنا واشترى القصر، وبعد سنة واحدة مات غرقًا، جرفته الأمواج إلى الصخور الصلبة حتى مزقت جسده. فوجئ "**ساترثويت**" بما قالته. ولم يعرف ماذا يقول، بينما تابعت المرأة قولها: – هل هناك أقسى من هذه المسألة: فتاة مضى على زواجها سنة واحدة فإذا بها تشهد مصرع زوجها الحبيب في أبشع صورة؟

– هذا مريع، نعم، إنها مأساة مفجعة حقًا. ولكنه فوجئ بالمرأة تطلق ضحكة عالية وتقول:

– لكن هناك صورة أكثر فجيعة من هذه الصورة، صورة الزوجة الشابة وهي واقفة فوق المرتفع تدعو الله أن يغرق زوجها.

– يا إلهي!... إنك لا تقصدين أنك...

– نعم، هذا ما قصدته. لقد كنت أتضرع إلى الله أن يموت. كان الناس يظنونني أتضرع لنجاته، في حين أنني كنت أتمنى موته بكل كياني. وبلغت

سعادتي أقصى حدودها حين تحقق موته وأنه لن يستطيع العودة لتعذيبي. غمغم "**ساترثويت**" بتعاطف:

- يا طفلتي البائسة.

- كنت صغيرة حتى تحملت ما تحملته، ولم تكن لي تجربة أو خبرة تساعدني على تحمل مثل هذه المأساة، ظننته شابًا رائعًا كما بدا لي أول مرة رأيته فيها، وشعرت بالضجر عندما تزوجني. لكنني فوجئت بوحشيته وحيوانيته. كان يسعد لعذابي وألمي رغم كل ما كنت أفعله لأنال رضاه. كان يبتكر الأساليب ليفزعني ويفكر في أقرب الطرق.. ليشقيني. حتى أنني ظننته مجنونًا. لكنني كنت تحت رحمته هنا، ورغم أنني كنت حاملاً فقد عذبني حتى فقدت طفلي وأنا أتمنى الموت كي يريحني من العذاب. وأخيرًا جاءت النهاية. فقد تحدته بعض الفتيات أن يقفز ليثبت براعته، وبسبب غروره قام بالقفزة التي كانت نهايته فيها. وخيل إلى "**ساترثويت**" فجأة أنها ارتدت صبية في التاسعة عشرة من عمرها. وأردفت تقول:

- من فرط فرحي لم أكن لأصدق أنه مات، لكنها كانت حقيقة. فامتلكت القصر ليؤمنني من الفقر حيث لا أحد يعولني. وهكذا عشت بلا عذاب ولا شقاء، وكانت سعادتي أن أفكر في أيام المستقبل بلا آلام أو تعذيب. لكنني بعد فترة لم أعد أقنع بذلك، وبدأت أفكر في طفلي الذي فقدته، وتمنيت أن يكون لي طفل يملأ حياتي.. ولكن كيف؟ إنني لا أعرف ما حدث بعد ذلك، ذات ليلة وصل مصادفة إلى حديقة القصر شاب إنجليزي رآني، وحسبني فتاة إسبانية من قرية قريبة، وقد تظاهرت أنني كذلك على سبيل التسلية وزعمت له أن القصر ملك لسيدة إنجليزية ثرية سافرت إلى مكان بعيد. وعندما بدأ في مطارحتي الغرام استجبت له وتظاهرنا معًا بأن القصر ملك لنا وأن الليلة ليلة زفافنا، وتسللنا إلى داخل القصر من النافذة نفسها التي دفعتها أنت منذ قليل وقضينا ليلة مليئة بالإثارة والغرام. وتوقفت لحظة حتى يستوعب "**ساترثويت**" مشاعرها ثم أردفت:

– كان كل شيء جميلاً وأجمل ما فيه أنه لم يكن يبدو حقيقيًا. كان شابًا إنجليزيًا عاديًا جاء هنا في رحلة قصيرة. وقد قمنا بتمثيل الزوج والزوجة حتى النهاية. هل تفهم؟ وفي صباح اليوم التالي عاد إلى الحديقة دون أن يخطر له بالتأكيد أنني أقيم في القصر، رأيته من الداخل لكنني لم أخرج إليه رغم أنه كان قد طلب مني أن ألتقي به في الحديقة مرة أخرى في اليوم التالي، لكنني لم أكن أريد تكرار اللقاء لأنه كان يبدو قلقًا من أجلي بسبب ما فعله معي في الليلة السابقة ولم أكن أريد أن أسبب له ضيقًا. وتوقفت مرة أخرى ثم استطردت:

– ولم يعد بعد ذلك، رحل عن الجزيرة، لكنني أنجبت منه طفلاً جميلاً بعد تسعة أشهر كنت خلالها أسعد مخلوقة في الدنيا، ثم ازدادت سعادتي عندما ولدته وحملته بين ذراعي، وتمنيت لو أنني عرفت اسم ذلك الشاب الإنجليزي حتى أطلق اسمه على ولدي، ذلك أنني كنت أشكره من أعماق قلبي... لقد أعطاني الطفل الذي تمنيت.

– هل مازال الطفل حيًا إلى اليوم؟

– نعم، واسمه "**جون**"، وهو الآن شاب جميل في العشرين من عمره على وشك أن يصبح مهندس مناجم، ولقد قلت له حالما كبر إن والده قد مات قبل مولده بفترة قصيرة. ظهرت الدهشة على وجه "**ساترثويت**" من هذه القصة لكنه شعر أيضًا بأن لها فصولاً لم تنته بعد فقال:

– ألم تفكري في الزواج طوال هذه المدة؟

– كلا، كان لديَّ ولدي... ولكن الحياة لا تستمر على وتيرة واحدة. ولعلك لا تصدقني إذا قلت لك إنني لم أشعر بعاطفة ما نحو والد "**جون**" عندما قضينا تلك الليلة معًا في القصر، لم أكن لأعرف عندئذ ما هو الحب الحقيقي، ولقد توقعت أن يكون الطفل أكثر شبهًا بي لكنه كان يشبه أباه تمامًا، وهكذا عرفت والده عن طريقه وتعلمت أن أحب ذلك الأب الذي لم أعرفه سوى ليلة واحدة، ولقد أصبحت أحبه الآن حبًا جمًا. قد أكون واهمة، ولكني أحب ذلك الرجل. إنه

ليس شبحًا ولكنه لحم ودم، وسوف أعرفه حالما أراه مهما مر من سنوات، أحبه حبًّا شديداً وساظل على حبه حتى أموت... هل تظن أنني مجنونة لقولي هذا؟

– كلا، كلا يا عزيزتي.

– هل تقدر مشاعري حقيقة؟

– نعم، نعم، لكن هناك بقية للقصة.

– نعم، هناك شيء آخر ويبدو أنك بارع في استقراء النفس البشرية، لكنني أفضل ألا أخبرك بهذا الشيء لمصلحتك. قال السيد "**ساترثويت**" ببطء:

– حدث شيء لم تكوني تتوقعين حدوثه. أليس كذلك؟ هل تخشين أن أكون شريكًا لك لو عرفت؟

– نعم.

– إنك تفكرين في الانتحار، أليس كذلك؟

– أوه، ولكن كيف عرفت، كيف عرفت؟

– لكن هذا يزيد عجبي، إنك تفيضين حيوية وحبًّا للحياة فلماذا تفكرين في الانتحار؟

– لأنقذ ابني، إنه لا يعرف أنه غير شرعي. ولو عرف فسوف تتحطم حياته تمامًا لأنه شديد الاعتزاز بشخصيته. ولقد تقدم لخطبة فتاة وسوف يأتي إلى هنا ليعرف كل شيء عن والده وعن عائلته حتى يستطيع أن يخبر عائلة الفتاة، فلو اكتشف الحقيقة فسوف تتركه الفتاة لتتحطم حياته في الشراب والضياع... أوه، لا تقل شيئًا فأنا أعرف ولدي أكثر منك، وهو لن يتحمل أبداً أن يعيش متى اكتشف الناس أنه ابن غير شرعي. وتوقفت لحظة قبل أن تقول وقد امتلأت عيناها بالعزم:

– ولكن لو وقع حادث يقضي على حياتي فسوف ينسى الناس كل شيء في غمرة الحادث ولن يشك ابني في شيء. هذه هي الطريقة التي تنقذ الموقف، لكن ما أنا محتاجة إليه هو بعض الشجاعة لأقفز في الهوة السحيقة وأتحمل عذاب الموت لحظة. أرجوك... لا تحاول أن تثنيني عن عزمي فقد اتخذت قراري. حياتي هي

ملكي وسوف أضحي بها من أجل ابني.

– هل أنت واثقة بأن ما تفعلينه هو الصواب؟

– ماذا تقصد؟!

– إن حياة أي شخص قد تكون نافعة لشخص آخر دون أن يعرف، بل قد تكون السبب في إنقاذ حياة شخص آخر دون عمد. لو حدث أن جاء إلى الصخرة شخص يريد أن يلقي بنفسه لينتحر فوجد شخصًا آخر ولذلك فشل في تحقيق هدفه وعاد إلى الحياة مرة أخرى، فإن الرجل الثاني يكون قد أنقذ حياة الرجل الأول دون أن يدري. وهكذا فإن مجرد وجود الرجل الثاني كان سببًا في إنقاذ حياة إنسان من الموت. وأنت مثلاً، ألا يمكن أن ينقذ وجودك في مكان ما حياة بشرية أخرى؟ كأن يراك جواد جامح يجري بسرعة، فينحرف عن طفل راقد كان على وشك أن يدوسه بحوافره، وهكذا ينمو الطفل ليصبح مخترعًا مشهورًا أو طبيبًا عبقريًّا يكتشف علاجًا لمرض لم يستطع الطب أن يعالجه حتى الآن. حدقت السيدة إلى وجهه في دهشة وقالت:

– إنك رجل مدهش. لم يخطر في بالي مطلقًا ما تقول... ولكن ماذا تريد مني أن أفعل؟

– أريدك أن تعدي بألا تقدمي على شيء لمدة أربع وعشرين ساعة فقط.

– حسنًا، لن أفعل شيئًا.

– ثم شيء آخر، اتركي مصراع النافذة الذي دفعته أنا هذا المساء مفتوحًا كما وجدته، وأن تكوني في انتظار شخص ما. نظرت إليه بعجب. لكنها أومأت موافقة. فنهض "**ساترثويت**" لينصرف. وحين دخل الفندق كان الظلام قد انتشر، ورأى في مكان قصي من الشرفة رجلاً يعرفه يجلس وحيدًا، فاقترب منه في حرص وهو يشعر بأن حياة شخصين تتوقف على هذا اللقاء. قال:

– لقد قضيت وقتًا طويلاً وأنا جالس عند تلك الصخرة. قال "**أنتوني كوسيدين**" بتصميم:

– سوف أذهب للتنزه هناك بعد العشاء، وأرجوك ألا تتدخل، فهذه هي ثالث مرة وأريد أن تكون الأخيرة.. ثم إن تدخلك إذا حدث فلن يجدي.

– إنني لا أتدخل في حياة الغير أبداً، لكن أحيانًا ترغمني الأحداث أو حب الاستطلاع على أشياء لم أكن أريدها.. كما حدث الليلة. وصمت برهة، ثم قال:

– في طريقي إلى هنا تطلعت إلى نوافذ ذلك القصر المنعزل ودفعني حب الاستطلاع لأن أدفع مصراع إحدى النوافذ.

– هل فعلت ذلك؟ لا شك في أنك وجدت المصراع مغلقًا؟

– كلا وجدته مفتوحًا، مصراع النافذة الثالثة في الناحية اليسرى من القصر.

صاح "**أنتوني كوسيدين**" في عجب:

– يا للغرابة! إنها نفس النافذة التي... وسكت فجأة. لكن "**ساترثويت**" كان قد لمح بريقًا أضاء عينيه في تلك اللحظة. ثم نهض إلى حجرته مطمئنًا. اتجه "**ساترثويت**" في صباح اليوم التالي إلى القصر المنعزل واستقبله البستاني في الحديقة بوردة جميلة ثبتها في سترته. وفجأة فتح باب جانبي وخرجت منه السيدة التي تحدث إليها بالأمس. اتجهت نظراتها نحوه وعندما رأته اتجهت إليه بخطوات رشيقة تفيض سعادة وبهجة. ووضعت يدها على ذراعه وقبلته بحب واعتراف بالجميل وقالت بصوت منفعل:

– ما أشد سعادتي، كيف عرفت؟ إنك ساحر غريب!... سوف نذهب إلى القنصل لنتزوج اليوم، وعندما يحضر ولدنا "**جون**" فسوف نقول له إننا انفصلنا قبل أن يولد إلى أن جمع القصر بيننا مرة أخرى. إن "**جون**" لن يسأل عن سبب خصامنا طوال هذه السنوات. ما أشد فرحتي! لقد فرح "**أنتوني**" فرحًا عظيمًا عندما عرف أن له ابنًا، لم أكن لأظن أنه سيفرح إلى هذا الحد. من كان يصدق أننا سوف ننال كل هذه السعادة في النهاية؟

– سوف تقدمين له خدمة رائعة لو أنك ملأت حياته بالبهجة في خلال الأشهر القليلة التي بقيت له. ظهرت الدهشة في عينيها وقالت بعزم:

– لن أتركه يموت بعد كل هذا الانتظار، بعد كل هذه السنوات. هذا محال. لابد من أن أطباءه مخطئون. هناك أطباء يفقدون الأمل في حياة مرضاهم لكنهم يبقون أحياء.

– نعم، أعرف حالات بالوصف الذي تقولين. وأنا أعتقد أن حبك له سيمد في سنوات عمره. وانطلق "**ساترثويت**" في طريقه إلى المرتفع الصخري ليجد على المقعد الذي اعتاد أن يجلس عليه رجلاً سرعان ما عرف أنه السيد "**كوين**" الذي عرفه دائمًا، ساخرًا، مكتئبًا. وقد نهض وحياه قائلاً:

– هل كنت تتوقع رؤيتي؟

– نعم.

– يبدو عليك أنك قمت بدور من قبل العناية الإلهية مرة أخرى على مسرح الحياة؟

– وكأنك لا تعرف تفاصيل ما حدث؟

– الحقيقة أنني أتيت لأقوم بمهمة خاصة.

– لرجل مات... غرق هنا منذ اثنين وعشرين عامًا. مهمة لمن؟

– أعرفه... ولكني لا أفهم ماذا تقصد.

– افرض، رغم كل شيء أن ذلك الرجل الذي مات كان مغرمًا بزوجته إلى أقصى حد، لكنه لم يستطع أن يحقق أحلامها، وكان هذا العجز يجعله حاقداً على نفسه وعليها، ومن ثم أخذ يعذبها تنفيسًا للعذاب الذي يعانيه وبسبب حبه لها.

– أنا أعرف حالات كهذه لكنها نادرة.

– وتعرف أيضًا أن الإنسان – في أحيان كثيرة – يندم على ما فعله ويريد أن يعوض من يحب بأي ثمن.

– لكنه مات...

– مات؟ ماذا تعني أنه مات؟ لم يحدث سوى أنه انتقل من هذه الحياة إلى حياة

أخرى، وليس من شك في أننا نؤمن بتلك الحياة الأخرى بعد الموت. وما يدريك أن النفس في تلك الحياة الأخرى لا تكون لها نفس الأحاسيس والتمنيات. فإذا كانت الرغبات قوية بما يكفي فقد يوجد من يحققها. ساد السكون لحظات قبل أن يقول "**ساترثويت**" وهو ينهض:

– إنني عائد إلى الفندق، هل أنت قادم معي؟

– كلا، إنني سأعود من حيث أتيت. والتفت "**ساترثويت**" وراءه بعد خطوات ليشاهد السيد "**كوين**" وهو يبتعد إلى حافة المرتفع الصخري.

وجه من الماضي

أهم الشخصيات :

"**ساترثويت**" : صديق السيد "**كوين**" وهو رجل ثرثار يتسلى بالفرجة على الحياة

"**هارلي كوين**" زائر الليل، وهو شخص لا يراه أحد إلا حين يختار هو

الليدي "**باربارا سترانلي**" : بارونة ثرية مزواجة تزوجت أربع مرات

"**مارجوري**" : ابنة الليدي "**باربارا**" من زوجها الأسبق "**تشارلز**"

"**بياتريس**" : أخت الليدي "**باربارا**"

"**كاسون**" : محضِّرة الأرواح

السيدة "**لويد**" : وسيطة روحية لطرد الأرواح

"**أليس كلايتون**" : وصيفة السيدة "**باربارا**" ، والسيدة "**بياتريس**"

"**مارسيا كين**" : صديقة "**مارجوري**"

"**رولي فافاسور**" : ابن عم "**مارجوري**"

"**نويل مارتون**" : شاب كاتب وحبيب "**مارجوري**"

"**بيمبو**" : زميل الليدي "**سترانلي**" في لعب التنس

وجه من الماضي

قالت الليدي "**ستراتلي**" تخاطب السيد "**ساترثويت**" وهما جالسان على الشاطئ في مصيف:

– لشد ما أحس بالقلق على ابنتي "**مارجوري**". إن بلوغ "**مارجوري**" سن الشباب يجعلني أشعر بشيخوختي.

– إن من يراك لا يصدق أن ابنتك قد كبرت. سرت لمجاملته، لكن هذا كان حقيقيًا، فرغم سنواتها الخمسين كانت تحتفظ بحيويتها، ولابد من أن ذلك كان بفضل بيوت التجميل. وتابع هو قائلاً:

– ولكن ما الذي يقلقك؟ ماذا حدث؟

– إنك لم ترها، إنها ابنتي من زوجي الأسبق "**تشارلز**"... إن "**مارجوري**" أصبحت ترى وتسمع أشياء عجيبة، أشباحًا وخيالات... إنها كما تعرف من الطراز القديم الجاد الذي لا يرحب بالحفلات ولا السهرات الصاخبة، بل تفضل ركوب الخيل والصيد في قصرنا في "**إنجلترا**". إن أشد ما يقلقني هو أن يصيبها الجنون. والحقيقة أن القصر الذي نملكه ويسمى "**أبوت ميد**" كان قد تهدم تمامًا في سنة 1836 وقد كان مسكونًا بالأشباح. لكن أجدادي أعادوا بناءه على نفس الطراز الفيكتوري القديم الذي يرضي أي شبح بأن "يسكنه". وابتسمت الليدي "**ستراتلي**" على فكاهتها وأردفت:

– ظننت أنك تستطيع مساعدتنا في هذه المشكلة.. خاصة أنك عائد إلى "**إنجلترا**" غدًا، أرجوك ألا ترفض فأنت تعرف الكثير عن الأشباح، بالإضافة إلى معرفتك لكثير من الناس. أرجوك أن تقبل... أوه. هذا هو "**بيمبو**".. زميلي في لعب التنس. وانطلقت الليدي "**ستراتلي**" نحو شاب كان متجهًا نحوها وتساءل "**ساترثويت**" ما إذا كان "**بيمبو**" سيصبح خامس أزواجها! وفي القطار دهش "**ساترثويت**" لرؤية السيد "**كوين**" في المقصورة نفسها وسره هذا وقال:

– مصادفة رائعة يا عزيزي السيد "**كوين**". إنك عائد إلى "**إنجلترا**" كما أعتقد؟

– نعم، في مهمة خاصة.

– وأنا أيضًا عائد في مهمة خاصة. هل تعرف الليدي "**سترانلي**"؟ كلا؟ إنها سيدة تحمل لقبًا قديمًا ورثته عن أجدادها، وهي أيضًا "**بارونة**" بالوراثة.

– هل ستخبرني بتاريخ الأسرة العريق يا سيد "**ساترثويت**"؟ أرجو أن يكون مسليًا.

– نعم، إن الليدي "**سترانلي**" هذه سيدة رائعة تبدو في سن الشباب على الرغم من أنها تقترب من الخمسين، فهي مازالت تحتفظ بلمسة جمال. لقد كنت أعرفها وكذلك أعرف أختها "**بياتريس**" و"**باربارا**" – وقد كانتا فقيرتين في ذلك الوقت الذي كنت فيه أنا شابًّا أفيض بالحيوية. ولقد كان يحول بينهما وبين حمل اللقب وجود أشخاص كثيرين أحق منهما به، وقد كان اللقب وصاحب الأملاك كلها عندئذ هو ابن عم والدهما اللورد "**سترانلي**". وتشاء الأقدار أن يموت أخواه وابن عمه ثم تحدث مأساة الباخرة "**بوراليا**". هل تذكر مأساة غرق تلك الباخرة؟ لقد تحطمت وغرقت قريبًا من شاطئ "**نيوزيلاندا**"، وقد غرقت إحدى الأختين وهي "**بياتريس**". أما "**باربارا**" الأخت الصغرى فقد نجت. وبعد عدة أشهر توفي اللورد "**سترانلي**" العجوز فكانت "**باربارا**" الوريثة الوحيدة للثروة واللقب. وما إن امتلكت كل ذلك حتى انطلقت تتمتع بحياتها تمامًا. تزوجت أربع مرات، وأظن أنها في سبيلها للزواج بالخامس. إنني ذاهب كي أبحث فيما وراء ابنتها "**مارجوري**" من أشباح وخيالات، سأذهب إلى القصر لمساعدة الفتاة في محنتها، ألا تأتي معي؟

– لا أظن أنني أستطيع. لكن أليس قصر "**أبوت ميد**" في إقليم "**ويلشير**"؟... نعم... سوف أكون بالقرب منك في فندق "**بلز وموتلي**"، لاشك في أنك تعرفه؛ لأننا التقينا فيه من قبل وتستطيع أن تجدني هناك في خلال

أسبوع أو عشرة أيام.

*****

قال السيد "**ساترثويت**" برقة لـ "**مارجوري**":

– ثقي يا "**مارجوري**" بأنني لن أسخر من مخاوفك أو شكوكك. كانت "**مارجوري**" فتاة طويلة القامة سوداء الشعر مليئة بالعزم والتصميم، وقد بدت عليها مخايل الاتزان والحكمة لكن هذا لن يمنع "**ساترثويت**" من أن يتذكر أن أفراداً في أسرتها أصيبوا بالجنون، ولعلها ورثت بعض هذه الصفات. قالت:

– أرجو أن أتخلص ممن تدعى "**كاسون**" محضرة الأرواح فإنني لا أحب هذا أبداً. لكنها امرأة صلبة الرأي وتصر على أن تأتي بوسيطة روحية لتخلصني من الأصوات والأشباح التي أراها.

– أخبريني بالأمر بالتفصيل. منذ متى بدأت تسمعين هذه الأصوات الخفية؟

– منذ شهرين، أحيانًا تكون ضعيفة وأحيانًا واضحة، ولكن الكلمات لم تتغير.

ما هذه الكلمات؟

– "أعيدي ما لا يخصك، أعطيني ما اغتصبته". وعندما أضيء الحجرة لا أجد أحداً وعندما انهارت أعصابي طلبت إلى "**كلايتون**" – وصيفة أمي – أن تنام معي في الحجرة نفسها.

– ورغم ذلك كنت تسمعين الأصوات كالعادة؟

– نعم، وهذا ما يثير رعبي، ذلك لأن الوصيفة لا تسمع ما أسمع. وقد نصحتني بأن أستشير طبيبًا، لكنها الآن تلتمس لي العذر بعد الذي حدث ليلة الأمس.

– وماذا حدث ليلة الأمس؟

– إنه شيء لا يعرفه أحد بعد. بعد أن قضيت اليوم بطوله في الصيد، استغرقت

في نوم عميق من فرط التعب. رأيت حلمًا فظيعًا، حلمت أنني أهوي على سور من الحديد المدبب، واخترق أحد قضبان السور عنقي، ثم سمعت ذلك الصوت يردد نفس الكلمات "أعيدي ما اغتصبته وإلا فسوف أقتلك". وصرخت فزعًا، وحين استيقظت لم أجد شيئًا، واستيقظت "**كلايتون**" من نومها وهي في الغرفة المجاورة، فهرعت إليّ وأحست بشيء ما يحك بها وهو في طريقه إلى خارج الحجرة، وهي تقول إن هذا الشيء ليس مخلوقًا آدميًا. حدق إليها "**ساترثويت**" بدهشة، ولفت نظره ضمادة تخفي جرحًا في عنقها، وحين رأت التساؤل في نظرته قالت:

– نعم، إنه أثر القضيب المدبب الذي وقعت فوقه في أثناء الحلم. إذن فلم يكن الأمر خيالات.

– هل هناك من يكرهك أو يضمر لك الحقد؟

– كلا بالتأكيد، ولماذا يفعل أحدهم هذا؟

– هل كان هناك ضيوف يقيمون بالقصر في الفترة الأخيرة؟

– "**مارسيا كين**"، صديقة عزيزة لي، تهوى الصيد وركوب الجياد مثلي. وهي لا تزال تقيم معي منذ شهرين، بالإضافة إلى ابن عمي "**رولي فافاسور**" الذي يمضي أيامًا بأكملها هنا بين الحين والآخر. ثم ضيوف عطلة الأسبوع كالمعتاد. طلب "**ساترثويت**" أن يرى الوصيفة "**كلايتون**" وقال:

– أظن أنها وصيفة في القصر منذ وقت طويل؟

– نعم، كانت وصيفة أمي وخالتي "**بياتريس**" في شبابها، وهذا ما حمل أمي على الاحتفاظ بها رغم استخدامها وصيفة فرنسية أخرى. و"**كلايتون**" الآن تقوم بالتطريز وأعمال خفيفة أخرى. وبعد دقائق كان "**ساترثويت**" يتحدث إلى الوصيفة "**كلايتون**" التي كانت نحيلة الجسم ذات شعر أشيب يبدو عليها الوقار والاتزان. قالت ردًا على سؤاله:

– كلا يا سيدي، لم أسمع بأشباح في هذا القصر قط، وقد كنت أعتقد أن ماتقوله الآنسة "**مارجوري**" مجرد خيالات حتى كانت ليلة الأمس، حين شعرت

بشيء يلمسني في الظلام في أثناء خروجه، شيء غير بشري مطلقًا. ثم ذلك الجرح في عنقها، هل من المعقول أن تكون قد فعلت هذا بنفسها؟ دفع هذا السؤال "**ساترثويت**" لأن يطرحه على نفسه. لقد سمع بوجود حالات لأشخاص كهؤلاء يرتكبون مثل هذه الحماقات، واستطردت "**كلايتون**":

– إنه جرح بسيط سوف يشفى بسرعة، وليس مثل هذا الجرح الذي أصبت به في جبهتي منذ أربعين عامًا ولازالت آثاره واضحة حتى الآن. قالت "**مارجوري**" مفسرة أنها أصيبت به عند احتراق الباخرة "**بوراليا**"، عندما سقط على رأسها قضيب من الحديد. قال السيد "**ساترثويت**":

– ولكن ما رأيك فيما يحدث يا "**كلايتون**"، أقصد الأصوات التي تسمعها "**مارجوري**"؟

– أفضل الا اقول شيئًا عن رايي، فانا أعتقد ان ظلمًا حاق بشخص ما في هذا القصر، وحتى يسترد هذا الشخص حقه المغتصب فلن ينعم القصر بالسكينة. هبط "**ساترثويت**" إلى الطابق الأرضي وهو غير مقتنع برأي "**كلايتون**"، وتذكر أن مايحدث لم يبدأ إلا منذ شهرين فقط – منذ حضور "**مارسيا كين**" للإقامة هنا، وأيضًا منذ أن أكثر ابن عمها "**رولي فافاسور**" من حضوره. ومن ثم عزم على أن يجمع معلومات عن هذين الشخصين. وربما تكون المسألة برمتها ليست إلا مزاحًا ثقيلاً. وشاهد "**مارجوري**" تفتح الخطابات التي أتى بها ساعي البريد. قالت له:

– انظر هذه الرسالة. إنها من والدتي وهي تقول فيها شيئًا عجيبًا. قرأ "**ساترثويت**" الرسالة التي كانت تقول:

"عزيزتي "**مارجوري**"، إن السيد "**ساترثويت**" يقيم معك الآن في القصر، فهو متصل بمن يبحثون في الأمور الغامضة وباستطاعته الاستعانة بهم في الكشف عن مصدر تلك الأصوات التي تسمعينها. كنت أرجو أن أكون بجوارك لكن صحتي ليست على ما يرام هذه الأيام ربما بسبب سوء الطعام في الفندق، ذلك لأن الطبيب يقول لي إنني أقاسي من تسمم بطيء. أشكرك على هدية الشوكولاتة التي

أرسلتها إليّ، على العموم أنا على ما يرام و"**بيمبو**" يقول إن رياضة التنس سوف تعيد إليّ صحتي" وما إن أتم "**ساترثويت**" القراءة حتى سأل:

ـ هل أرسلت إليها حقًا علبة شوكولاتة؟

ـ كلا، وهذا هو ما يثير دهشتي، لا شك في أن شخصًا آخر فعل ذلك. وجمع "**ساترثويت**" بين التسمم البطيء الذي تعانيه الليدي "**سترانلي**" والشوكولاتة التي أرسلها إليها شخص مجهول. انتبه من استغراقه لفتاة طويلة سمراء اللون قدمتها له "**مارجوري**" على أنها "**مارسيا كين**"، التي قالت بشيء من السخرية:

ـ هل حضرت للقبض على شبح "**مارجوري**"؟ إننا جميعًا نريد أن نراه، هذا هو "**رولي**" قد أتى. ومن سيارة توقفت أمام القصر نزل شاب طويل هتف يقول:

ـ أهلاً يا "**مارجوري**"، أهلاً يا "**مارسيا**"، لقد عدت لكما بالمختص بالقبض على الشبح، هذه هي السيدة "**كاسون**" قد أتت بالسيدة "**لويد**" الوسيطة الروحية لطرد الشبح. انحنت السيدة "**لويد**" تحيي الحاضرين. لكن "**مارجوري**" بدا عليها عدم الارتياح. بل إنها نظرت في حنق إلى "**رولي**" ثم قالت:

ـ هيا بنا نتناول طعام الغداء. وعندما انتهوا منه قالت الوسيطة الروحية وهي تتشمم الهواء:

ـ أحس بأن في القصر شيئًا ليس على ما يرام. أما السيدة "**كاسون**" فقد قالت بشرود:

ـ أليس ما نقوله رائعًا يا عزيزتي "**مارجوري**"؟

*****

جرت جلسة تحضير الأرواح في حجرة المكتبة. وبعد أن ساد الصمت قالت الوسيطة الروحية إنها مستعدة ثم أردفت:

ـ إننا الآن ستة أشخاص، ويفضل أن نكون سبعة. كان من رأي "**رولي**" أن يحضر أحد الخدم، لكن "**مارجوري**" استدعت الوصيفة "**كلايتون**" وفي تلك

اللحظة بدا الاستياء واضحًا على وجه "**رولي**" الذي قال:

– ولماذا "**كلايتون**" على وجه الخصوص؟

– إنك لا تحب "**كلايتون**".

– هي التي لا تحبني، على كل حال فإنني لا أعترض على وجودها. أسدلت الستائر، وساد الصمت مرة أخرى، إلى أن سمع الحاضرون دقات متتابعة، وإذا بروح تتحدث عن طريق الوسيطة الروحية، قالت:

– أنا روح من الهنود الحمر وإلى جواري روح تريد أن تتحدث في إلحاح، تريد الروح أن توصل رسالة للآنسة "**مارجوري**". وبعد لحظات صمت سمع الحاضرون صوتًا نسائيًا ناعمًا يسأل:

– هل "**مارجوري**" حاضرة؟ أجاب "**رولي فافاسور**":

– نعم، من التي تطلبها؟

– أنا خالتها "**بياتريس**"... أنا "**بياتريس**" التي غرقت في حادث الباخرة "**بوراليا**" وعندي رسالة أريد أن تسمعها ابنة أختي "أعيدي ما اغتصبته". قالت "**مارجوري**" باستسلام:

– لا أفهم شيئًا، ماذا تقصدين، هل أنت حقًّا خالتي "**بياتريس**"؟ أسرعت السيدة "**كاسون**" تقول:

– لا يجب أن تشكي في شخصية الروح، فالأرواح لا تحب هذا. طرأ ببال "**ساترثويت**" خاطر سريع فقال:

– هل تذكرين السيد "**بوتاسيتي**"؟ سمع الجميع صوت ضحكة تلتها الكلمات التالية:

– آه، "**بوتاسيتي**". نعم بالتأكيد. وذهل السيد "**ساترثويت**" فإن معنى "**بوتاسيتي**" "القارب المقلوب" وقد استخدم هذا التعبير فقط عندما كان هو و"**بياتريس**" و"**باربارا**" في نفس المصيف منذ أربعين عامًا وحدث أن خرج صديق إيطالي إلى البحر وانقلب بزورقه فأطلقوا عليه ذلك الاسم. إن معنى ذلك أن الروح

حقيقية فلا أحد هنا يعرف هذا السر سواه. وبعد لحظات أفاقت الوسيطة الروحية وغمر الضوء الحجرة ليلحظ السيد "**ساترثويت**" أن وجه "**مارجوري**" شاحب ومضطرب. وحين أصبح معها في حجرتها قال لها:

– أريدك أن تجيبي عن سؤال يا آنسة "**مارجوري**"، لو أن والدتك وأنت توفيتما فمن الذي سيؤول إليه اللقب والأملاك؟

– "**رولي فافاسور**"، ذلك لكونه ابن عم والدتي مباشرة.

– قلت إنه يتردد هذه الأيام على القصر كثيراً، فهل هو يحبك؟

– إنه عرض عليّ الزواج منذ ثلاثة أسابيع لكنني لم أقبل.

– هل تحبين شخصاً غيره؟ تضرج وجهها بحمرة الخجل وأجابت:

– سوف أتزوج الكاتب "**نويل مارتون**"، إن أمي غير موافقة، ولكن "**نويل مارتون**" ليس به من عيب فهو رزين رياضي ويجيد ركوب الخيل. وعندئذ جاء أحد الخدم برسالة ما إن فتحتها "**مارجوري**" حتى صاحت:

– يا للعجب، إن والدتي سوف تصل إلى هنا غداً.

– إذن فلم يعد لبقائي فائدة، وسوف أعود اليوم إلى "**لندن**".

*****

شعر السيد "**ساترثويت**" في طريق العودة بحمل وقد انزاح عن كتفيه، فقد أعفاه رجوع الليدي "**سترانلي**" من مسؤولية "**مارجوري**". لكن حب الاستطلاع كان يدفعه إلى معرفة ما يحدث في قصر "**أبوت ميد**". وقد حدث ما كان يتوقعه فقد قرأ في صحيفته اليومية بعد ذلك بأيام خبرا يقول إن الليدي "**سترانلي**" قد ماتت في بانيو حمامها، وقد أثبت الفحص الطبي أنها ماتت غرقًا، وكان الرأي أن نوبة إغماء أصابتها في أثناء الاستحمام فغرقت في ماء البانيو. لكن هذا التفسير لم يقنع السيد "**ساترثويت**" فهرع إلى لقاء السيد "**كوين**" أولاً قال له بانفعال:

– إنني أحتاج إلى مساعدتك فلديّ إحساس غامض بأن حياة "**مارجوري**"

معرضة للخطر، خاصة بعد وفاة أمها، وهي فتاة هادئة رزينة لابد لنا أن نحميها.

– يجدر بك أن تخبرني بالأمر برمته. أخبره "**ساترثويت**" بالقصة فقال السيد "**كوين**":

– إن واجبك أن تكتشف السر الذي يحيط بالمسالة كلها. فأنت الذي تعرفت إلى المقيمين بالقصر.

– إنني أعرف الشقيقتين "**بياتريس**" و"**باربارا**" منذ ما يقرب من أربعين عامًا، ولقد أمضينا أيامًا ممتعة في مصيف "**برايتون**"، وهناك أطلقنا على صديق إيطالي لنا اسم "**بوتاسيتي**" ثم إنني أتذكر جيداً وصيفة لهما شابة تدعى "**أليس**" وكانت تتسم بالجمال والرقة، دعاني جمالها لأن أقبلها في أحد الممرات حتى كادت إحدى الخادمات ترانا.. يا لها من أيام! لكن ألا تحضر معي إلى القصر لتساعدني على اكتشاف الغموض؟

– كلا، لديَّ مهمة خاصة وعليك أنت أن تذهب إلى هناك فوراً.

وفي القصر جلس "**ساترثويت**" مع "**مارجوري**" في حجرة المكتبة وما إن استقرا حتى بدأت تقول:

– أشكر لك حضورك يا سيد "**ساترثويت**". إنني لست مطمئنة لما حدث لأمي، أعتقد أن أحداً تعمد إغراقها في البانيو، ومن قتلها سوف يقتلني أنا أيضًا، ومن ثم فإنني أكتب وصيتي من الآن. ها هي! لقد انصرف كل من "**رولي فافاسور**" و"**مارسيا كين**"، ولسوف يكون اللقب وبعض ممتلكاتي من نصيب "**رولي**"، لكن أموالي التي ورثتها عن أبي سوف أوصي بها كلها لحبيبي "**نويل**". إن "**كلايتون**" قد وقعت كشاهدة أولى، وأطلب إليك أن توقع كشاهد ثان. تناول "**ساترثويت**" القلم ليوقع على الوصية، لكنه توقف فجأة كأنما أصابته صاعقة، ذلك أنه قرأ اسم "**أليس كلايتون**" كاملاً وأعاده اسمها إلى المصيف منذ أربعين عامًا، وإلى الوصيفة الجميلة التي قبلها في الممر. وفجأة أدرك كل شيء، واستغرق في أفكاره حتى نبهه صوت "**مارجوري**" وهي تقول:

– ماذا ألم بك يا سيد "**ساترثويت**"؟

– لا شيء، لكنني اكتشفت الغموض الآن، أرجوك أن تعدي نفسك لمفاجأة، إن الوصيفة الموجودة الآن باسم "**كلايتون**" ليست هي "**كلايتون**"، فقد ماتت "**كلايتون**" الأصلية في كارثة الباخرة "**بوراليا**". حدقت "**مارجوري**" إلى وجهه وقالت بصوت مذهول:

– إذن فمن هي "**كلايتون**" الموجودة معي؟

– إنها خالتك "**بياتريس**"، الأخت الكبرى لأمك. لقد قلت لي إنها أصيبت في حادث الباخرة بوقوع قضيب حديد على رأسها وترك ندبة على جبهتها. أعتقد أن هذه الإصابة أفقدتها الذاكرة، وانتهزت والدتك هذه الفرصة لكي...

– تقصد لكي تستولي على اللقب والأملاك؟ هل هذا ما تقصده؟

– نعم، إن أمك كما عرفتها تفعل ذلك، لأنها كانت تحب نفسها فقط. كانت "**بياتريس**" هي الوريثة الشرعية، فهي الأخت الكبرى، وذلك بعد وفاة العم اللورد "**سترانلي**". ولكي تغتصب منها أمك كل شيء، اللقب والأملاك، ادعت أن الفتاة المصابة التي فقدت صوابها وذاكرتها هي وصيفتها "**أليس كلايتون**" وليست أختها، وعندما أفاقت الأخت لم تعرف لها اسماً سوى ما قالوه لها، "**كلايتون**"، ولكن مع مرور الأعوام بدأت ذاكرتها تعود إليها، لكن يبدو أن عودة الذاكرة اقترنت باضطراب في عقلها. صرخت "**مارجوري**" بفزع وقالت:

– ولهذا أقدمت خالتي على قتل أمي، وأرادت أن تقتلني أنا أيضاً؟

– هذا هو المرجح، فإن اضطراب عقلها يجعلها تلجأ إلى تلك التصرفات الغريبة. إفزاعك بالأصوات وما إلى ذلك، حتى تسترد اللقب والأملاك التي اغتصبتها منها والدتك.

– لكن "**كلايتون**" تبدو أكبر من أمي سنًّا بسنوات عديدة، رغم أن فارق السن بينهما لم يكن يتعدى عامين اثنين؟

– هذا هو تأثير المال الوفير! فقد حافظت أمك على جمالها وحيويتها بفضل

مالها، أما "**بياتريس**"... هيا بنا نذهب إليها. وفي غرفة "**بياتريس**" الخاصة وجداها جالسة بلا حراك في مقعد كبير وبين يديها شغل الإبرة. كان وجهًا ساكنًا فارقته الحياة. بعد أن فحصها "**ساترثويت**" قال باسى:

– ماتت بالسكتة القلبية. ربما كان الخير في هذه النهاية.

جريمة لم تتم

أهم الشخصيات :

"**هارلي كوين**" :صديق السيد "**كوين**" وهو رجل ثرثار يتسلى بالفرجة على الحياة

"**ساترثويت**" :زائر الليل، وهو شخص لا يراه أحد إلا حين يختار هو

"**فيليب أيستني**" : يعمل بمصنع للزجاج. صديق "**جيليان**"

"**جيليان وست**" : فتاة جميلة تهوى الموسيقى والغناء

"**تشارل برنز**" : موظف في شركة لشحن السفن. خطيب "**جيليان**"

"**ماسترز**" : سائق سيارة السيد "**ساترثويت**"

جريمة لم تتم

جلس السيد "**ساترثويت**" في مقصورته في دار الأوبرا بمفرده في تلك الليلة؛ ذلك لأن "**الكونتيسة**" التي كان قد دعاها اعتذرت عن عدم تلبية دعوته لأن طفليها أصيبا بالحمى. لكن هذا لم يقلل من استمتاعه بالغناء والرقص، وفي فترة الاستراحة أخذ يدور بنظراته من خلال منظار الأوبرا في الحاضرين، إلى أن وقع بصره على السيد "**كوين**"، الذي لم يلبث أن جاء بعد أن أشار إليه. قال له في إصرار:

– لابد لك من أن تشاركني مقصورتي.. هل برفقتك أحد؟

– كلا إنني بمفردي. وأخذ كلاهما يرقبان جمهور الحاضرين، إلى أن قال السيد "**ساترثويت**" ملاحظًا فجأة:

– انظر أليس رأس هذه المرأة يدل على أنها الجمال نفسه؟ كانت هناك فتاة جالسة في الصالة تحتهما مباشرة لم يستطيعا رؤية وجهها، لكن شعرها كان يدعو إلى الإعجاب فوق رقبتها المرمرية. قال "**ساترثويت**" بتقدير:

– إنه رأس إغريقي، لقد جذبت انتباهي فوراً، لابد لنا أن نرى وجهها إن آجلاً أو عاجلاً، فإنني لا أعتقد أن وجهها سيكون ملائمًا لرقبتها وشعرها، ولو حدث ذلك لكان صدفة نادرة. واستمر البرنامج، وانفعل السيد "**ساترثويت**" بالموسيقى كما هي إلى أن انتهى الفصل الأول، وضج الحاضرون بالتصفيق، وقال "**ساترثويت**" معلقًا:

– إن صوت البطل يشبه صوت المغني الشهير "**كاروسو**". نعم إنه صوت ينقصه بعض التمرين، لكن ذلك لا يقلل من روعته. قال السيد "**كوين**":

– لقد حضرت غناءه في قاعة "**ألبرت**".

وعند نهاية العرض انحنى البطل "**يواشبيم**" يحيي الجمهور الذي كان يصفق

بجنون، وبينما كان الجميع ينصرفون تتبع "**ساترثويت**" ببصره الفتاة ذات الشعر الذهبي التي كانت قد استدارت لتوها، فتقطعت أنفاس السيد "**ساترثويت**" لفرط جمالها، كان وجهًا من تلك الوجوه التي تصنع التاريخ. تحركت الفتاة بصحبة رفيقها، في حين كان كل من يسيرون إلى جوارها ينظرون إليها بإعجاب. قال "**ساترثويت**" لنفسه "إنه جمال صاف، ليس سحراً ولا جاذبية، ولكنه جمال صاف في شكل الوجه والأنف واستدارة الفك". ثم قال بصوت مسموع للسيد "**كوين**":

- لم أكن لأعرف أن هناك من تشبه نساء التاريخ، من يشبهن "**هيلين**" و"**كليوباترا**". وخرجا معًا لرؤية الفتاة، ونجحا في ذلك، فقد التقيا بها على سلم الدار. شاهدا الشاب الذي في صحبتها يتحدث في حماس في حين كانت الفتاة تنصت إلى ما يقول. قدر "**ساترثويت**" أنهما لا ينتميان إلى طبقته، فهما أكثر فقراً من أن ينتميا إلى الطبقة الأرستقراطية. وسرعان ما انضم إلى الفتاة والشاب شخص ثالث، شاب آخر توحي هيئته بأنه موظف في مكان ما. بدا الموقف متوتراً بين ثلاثتهم، فقد كان القادم الجديد يمسك بربطة عنقه بعصبية، والفتاة الجميلة تنظر إليه بهدوء، بينما كان رفيقها الأول يصيح بغضب. قال السيد "**كوين**" بصوت خافت وهما يمران بهم:

- القصة المعتادة.

- نعم. كلبان يتناحران على عظمة. لقد كانت القصة هكذا على الدوام. هيا بنا إلى سيارتي فهناك رذاذ مطر ولابد من أن تدعني أصحبك إلى مكان ما.

- هذا كرم منك، لكنني أفضل أن أذهب في طريقي بمفردي. وإذا حدث شيء فسوف يكون عليك أن تنصرف. شكراً لك، طبت مساء. هانحن مرة أخرى نشاهد معًا مسرحية جديدة... وأسرع بالانصراف بحيث لم يترك لـ "**ساترثويت**" فرصة للاعتراض. وأخذ يتساءل بينه وبين نفسه أية مسرحية يشير إليها السيد

"**كوين**"؟ هل هي الأوبرا، أم مسرحية أخرى؟ كان سائقه "**ماسترز**" معتاداً الانتظار في شارع جانبي، ولما كان "**ساترثويت**" يكره أن ينتظر دور سيارته في الوقوف أمام دار الأوبرا فقد انطلق إلى حيث كانت السيارة واقفة، وقبل أن ينحرف في الشارع الجانبي شاهد الفتاة ورفيقها والرجل الثالث يقتربون منه، ثم ارتفع صوت أحد الرجلين يقول شيئاً باحتجاج، وسرعان ما تبودلت الكلمات وانفجر الشجار إلى أن ظهر رجل الشرطة. وفي اللحظة التالية كان السيد "**ساترثويت**" يقف إلى جوار الفتاة المذعورة الخائفة إلى جوار الحائط. قال لها:

– اسمحي لي. لا يجب أن تظلي هنا. وجذبها من ذراعها وهي تنظر خلفها بتردد إلى أن قال:

– يجب ألا تشتركي في هذا الأمر، فربما يستجوبك رجال الشرطة، وأنا واثق بأن أيًّا من صديقيك لا يريد ذلك. نظرت إليه الفتاة بتردد، ثم دخلت السيارة التي كان "**ماسترز**" قد فتح بابها، وذكرت عنوانها في حي "**تشالسي**". وطوال الرحلة لم يبد على الفتاة أنها تريد الكلام، ولم يرغب "**ساترثويت**" في أن يتطفل على أفكارها، إلى أن قالت:

– كنت أرجو ألا يكون الناس بهذا الحمق... لم يكن الأمر يحتاج إلى هذا كله فلقد كنت أنا والسيد "**أيستني**" صديقين منذ وقت طويل –منذ أن جئت إلى "**لندن**" – ولقد تجشم متاعب كبيرة من أجل أن يسمع غنائي وقدمني لكثير من الناس، إنه مجنون بالموسيقى، ولقد كان رقيقاً إذ اصطحبني معه الليلة، فإنني واثقة بأن ثمن التذاكر باهظ بالنسبة إليه. ثم جاء السيد "**برونز**" وتحدث إلينا برقة ودماثة، وأنا واثقة بأن "**أيستني**" تضايق من ذلك ولا أعرف السبب، فالحرية مكفولة للجميع. ثم إن السيد "**برونز**" شخص هادئ رقيق وقد انضم إلينا ونحن في الطريق إلى مترو الأنفاق ولم يقل أكثر من كلمتين إلا وكان "**فيليب**" – أقصد "**أيستني**" – قد تشاجر معه. وأنا لا أحب ذلك.

– هل هذا صحيح؟ أحست بشيء من الفخر بأن رجلين تشاجرا بسببها، ثم قالت:

– أرجو ألا يكون قد آذاه. ولم يعرف " **ساترثويت** " أيًّا منهما تعني، إلى أن أدركت هي ذلك فأردفت:

– أقصد.. أرجو ألا يكون السيد "**أيستني**" قد ألحق الأذى بالسيد "**برنز**".

– هل لديك تليفون؟ حسنًا. سوف أكتشف بالضبط ما حدث وأخبرك بالتليفون. أشرق وجه الفتاة وشكرته. وأردفت قائلة:

– اسمي "**جيليان وست**". واستمر السيد "**ساترثويت**" في سيارته عائدًا إلى منزله وهو يفكر: "هذا هو كل شيء، وجه جميل واستدارة فك جميلة". لكنه أوفى بوعده لها. وفي يوم الأحد من الأسبوع التالي ذهب "**ساترثويت**" إلى حدائق "**كيو**" ليستمتع بمرأى الزهور، وهناك تذكر قصة غرامه منذ سنوات عديدة عندما طلب إلى فتاة أن تقبله زوجًا في هذه الحديقة، لكنها أخبرته بأنها تفضله صديقًا لأن قلبها كان مع شخص آخر، وعندئذ أغلق "**ساترثويت**" فمه على كلمات كان يود أن يقولها لها، وسرعان ما ألقى بصداقتها وراء ظهره. وفي هذه الحديقة نفسها رأى "**جيليان وست**" وشابًّا وسيمًا يجلسان إلى إحدى الموائد عرفها في الحال، تضرج وجه الفتاة بالحمرة، وتحدثت إلى رفيقها، وسرعان ما كان الجميع يتصافحون. وقبل أن يتناول الشاي معهما. قال السيد "**برنز**":

– لشد ما أنا ممتن لك يا سيدي لعنايتك بـ "**جيليان**" في تلك الليلة، لقد أخبرتني بكل شيء. شعر "**ساترثويت**" بالزهو والاهتمام. ومس قلبه بساطتهما وإخلاصهما، وكان هذا شيئًا غير عادي عنده. وسرعان ما كان يسمع أخبارًا بقرب خطبة "**شارلي برنز**" إلى "**جيليان**". وأردف الشاب:

– في الحقيقة يا سيدي لقد تم هذا بعد ظهر اليوم فقط، أليس كذلك يا "**جيليان**"؟ كان "**برنز**" موظفًا في شركة سفن للشحن يتقاضى مرتبًا معقولاً، وكان الاثنان ينتويان الزواج سريعًا. وقال "**ساترثويت**" لنفسه: "شاب عادي صادق لا يشعل قلوب العذارى. لكن الفتاة تحبه". ثم قال بصوت مسموع:

– وماذا عن السيد "**أيستني**" ؟ وفي اللحظة التالية ظهر الضيق على وجه "**تشارل برنز**" والتوتر على وجه "**جيليان**"، بل إنها بدت أكثر من متوترة، بدت خائفة. قالت بصوت خفيض:

– إنني لا أحبه.. لقد فعل الكثير من أجلي، شجعني على الغناء، لكنني كنت أعرف أن صوتي لن يوصلني إلى شيء، فإنه ليس من الدرجة الأولى... وتوقفت فجأة. فقال "**برنز**" :

– ولقد كانت لك متاعبك أيضًا، فإن أية فتاة تحتاج إلى شخص يعتني بها، لقد صادفت كثيراً من المتاعب يا سيد "**ساترثويت**"، فهي تتمتع بجمال أخاذ، والجمال يؤدي إلى المتاعب. وتخيل "**ساترثويت**" هذه المتاعب، إلى أن قال "**تشارل برنز**" :

– إن من شاهد هذا الضال "**أيستني**" يعرف أنه مهتز الأعصاب، ولقد كانت "**جيليان**" ستعاني متاعب معه لو أنني لم أتدخل للعناية بها. قالت الفتاة ببطء وباهتمام:

– إن "**فيليب**" على ما يرام، وهو يعتني بي وأنا أهتم به كصديق لكن ليس أكثر من هذا. ولا أعرف كيف سيتلقى نبأ خطبتي إلى "**تشارل**"، وأخشى أن يصبح... وهنا تدخل "**ساترثويت**" قائلاً:

– لو كان بوسعي أن أساعدك بأي طريقة فقولي لي. وترك "**ساترثويت**" صديقيه الجديدين بعد أن وعدهما بأن يتناول الشاي مع "**جيليان**" يوم الخميس التالي. وفي ذلك اليوم شعر "**ساترثويت**" بالترقب والتوقع قبل الزيارة، وفكر في نفسه قائلاً: "إنني رجل مسن. لكنني لم أتقدم في العمر بحيث لا أهتز لوجه جميل". وهز رأسه وهو يتوقع أحداثًا غامضة. كانت "**جيليان**" بمفردها. فإن "**تشارل برنز**" كان منتظراً حضوره فيما بعد. وبدا لـ "**ساترثويت**" أن السعادة ظاهرة عليها، واعترفت هي بذلك قائلة:

– لقد كنت أخشى أن أخبر "**فيليب**" بخطبتنا، لكنني لم أكن على حق في خوفي. إنه تضايق قليلاً، لكنه كان رقيقًا جدًّا. انظر ما أرسله إليَّ هذا الصباح.. إنها هدية زفاف.. أليس الراديو رائعًا! إننا نحب الموسيقى إلى حد العبادة، ولما كنت أستمع معه إلى مقطوعة بعينها، فقد أهداني هذا لأسمع فيه هذه المقطوعات.

– لابد لك أن تفخري بصديقك، فقد تلقى الضربة كرجل رياضي حقيقي.

أومأت "**جيليان**" برأسها، ورأى الدموع تترقرق في عينيها. وأردفت:

– لقد طلب إليَّ شيئًا واحداً، إن هذه الليلة هي ذكرى مرور سنة كاملة على أول لقاء لنا. طلب إليَّ أن أبقى في المنزل في هدوء هذا المساء، وأنصت إلى البرنامج الموسيقي ولا أخرج مع "**تشارلي**" إلى أي مكان، ولقد وعدته بذلك بعد أن هزني طلبه، وسوف أفكر فيه بالامتنان والتقدير. أومأ "**ساترثويت**" برأسه، لكنه كان متحيراً؛ ذلك لأنه لم يكن يتوقع أن يكون "**فيليب أيستني**" بهذه الرقة والمشاعر ولابد أن يكون قد أخفى شيئًا آخر، شعر "**ساترثويت**" بخيبة أمل؛ لأنه لم يكن ليتوقع الخير على الدوام مثل "**جيليان**"، ثم إن المشاعر الطيبة لم تكن في أخلاق هذا الجيل. وغنت له "**جيليان**"، فتأكد من أن صوتها من الدرجة الثانية وأن النجاح لم يكن ليصادفها بسهولة، وبينما كان يصافحها قبل أن ينصرف لاحظ فوق منضدة إلى جوار الحائط كرة زجاجية كبيرة تعكس الأضواء في كل اتجاه، وحين لاحظت "**جيليان**" نظراته قالت:

– إنها هدية زفاف أخرى من "**فيليب**".. إنها جميلة كما أعتقد، وهو يعمل في مصنع زجاج أو شيء كهذا.

– إنها شيء جميل يفخر به صانعو الزجاج في "**مورانو**". وانصرف "**ساترثويت**" وهو مهتم بـ "**فيليب أيستني**" ذي المواهب المتعددة. وعلى الرغم من ذلك فضلت "**جيليان**" عليه صديقها "**تشارل برنز**" –يا له من عالم عجيب! خطر

لـ "**ساترثويت**" أن لقاءه بالسيد "**كوين**" لم يكن حافلاً في تلك الليلة بسبب موضوع "**جيليان وست**" . وذهب إلى المطعم الذي اعتادا أن يلتقيا فيه لكنه لم يجده هناك . أخذ ينتقل بين الموائد في المكان المزدحم حتى فوجئ بـ "**فيليب أيستني**" يجلس إلى إحداها. جلس في مواجهة الشاب وهو يشعر بأن الأحداث تتوالى بحكمة ما، وأن له ضلعًا في قصة "**جيليان وست**"، وتذكر ما قاله له السيد "**كوين**" في تلك الليلة عندما ذكر أن هناك مسرحية ستحدث، مسرحية سيلعب فيها دوراً، وليس له أن يتخلف عن هذا الدور. جلس أمام "**فيليب أيستني**" . وسرعان ما كانا يتبادلان الحديث؛ لأن "**أيستني**" كان مستعداً للثرثرة لأي إنسان، فما بالك بالسيد "**ساترثويت**" المستمع المتعاطف. تحدثا عن كل شيء، عن الحرب، والمتفجرات، والغازات السامة، ذلك أن . "**أيستني**" قام بصنع هذه الأشياء في زمن الحرب، وعرف "**ساترثويت**" منه معلومات قيمة. لكن كان هناك غاز واحد لم يستخدم من قبل؛ لأن الهدنة حالت دون استخدامه، غاز لفحة منه تحمل الموت. وبعد قليل حول "**ساترثويت**" موضوع الحديث إلى الموسيقى، فاشرق وجه "**أيستني**" وأخذ يتحدث عنها بشغف، إلى أن قال:

– إنك تعرف "**كاروسو**" بالتأكيد. إنه يستطيع أن يغني أمام كأس نبيذ ويسكره بصوته. – لقد كنت أظن على الدوام أن هذه أسطورة.

– لكنها حقيقية تمامًا كما أعتقد. إنه أمر ممكن وهي مسألة ذبذبة في الهواء. ودخلا في التفاصيل إذ كان الموضوع يثيره، وشعر "**ساترثويت**" بأنه يتحدث مع رجل له عقل غير عادي. عقل لابد أن يسمى بعبقري، لكنه لا يعرف الاتجاه الذي يصب فيه ذكاءه. وفي اللحظة التالية خطر بباله "**تشارل برنز**" و"**جيليان وست**" . ثم نظر إلى ساعته ونهض لينصرف، في حين قال "**فيليب أيستني**" :

– إنني خجل من نفسي فقد تشعب بنا الحديث هنا وهناك، لكنني سعيد بهذه الفرصة. فقد كنت محتاجًا إلى من أتكلم معه هذا المساء. فصافحه "**ساترثويت**" وهو يقول:

– إنني سعدت بلقائك، ولقد كانت محادثتنا مهمة جداً، وعلمتني الكثير.

خرج "**ساترثويت**" من المطعم وأخذ يسير في الشارع الدافئ، إلى أن خطر له خاطر غريب، إنه لم يكن بمفرده، فقد كان هناك شخص آخر يسير بجواره في الشارع المظلم، وخيل إلى ذهنه أن السيد "**كوين**" هو الذي يسير إلى جواره، لكن أحداً في الحقيقة لم يكن هناك. لكن فكرة وجود السيد "**كوين**" ألحت عليه. هناك إلحاح من نوع ما ربما هو إحساس بقرب وقوع كارثة، إن أمامه شيئًا لابد من أن يقوم به؛ لأن أمرًا خطيرًا سيحدث، وعليه أن يحول دون وقوع هذا الشيء. كان إحساساً ملحًا، وخطر له أن يسأل صورة السيد "**كوين**" الماثلة أمام مخيلته، لكنه تلقى الإجابة المعتادة التي كان يتلقاها على كل أسئلته السابقة "إن خيوط القضية كلها بين أصابعك". خيوط القضية؟ أية قضية؟ هل هناك خطر يهدد أحداً؟ وتمثلت أمام ناظريه صورة "**جيليان وست**" تجلس بمفردها تستمع إلى الراديو. واشترى "**ساترثويت**" جريدة المساء من البائع ونظر إلى برنامج الإذاعة. كانت هناك إذاعة لموسيقى لـ "**يواشبيم**". وسرعان ما كان "**ساترثويت**" يطوي الصحيفة، ذلك لأن ما كانت تسمعه "**جيليان وست**" جعل الصورة أكثر وضوحًا وهي جالسة هناك بمفردها. يا له من طلب غريب ذلك الذي سألها إياه "**فيليب أيستني**". إن ذلك الطلب لا يتفق مع أخلاق ذلك الرجل، فهو لم يكن شخصًا شاعريًا وعاطفيًا، بل كان رجلاً سريع الانفعال له خطورته. ثم هذا اللقاء بينه وبين "**فيليب أيستني**" الليلة. هل هو مصادفة؟ أم هو جزء من ذلك النسيج المتداخل الذي شعر "**ساترثويت**" بوجوده هذا المساء؟ عاد بذاكرته إلى الوراء. لابد أن يكون هناك شيء ما في حديث "**أيستني**"، مفتاح لشيء ما، وإلا فلماذا هذا الشعور الملح؟ ثم ما الذي تحدثا عنه؟ الغناء، وصناعة أسلحة الحرب، ثم "**كاروسو**". نعم "**كاروسو**".. إن صوت "**يواشبيم**" يشبه صوت "**كاروسو**" تمامًا. إن "**جيليان**" تستمع إليه الآن، صوت قوي يتردد في أرجاء الحجرة، صوت يكسر الزجاج! وفي هذه اللحظة رأى المارة "**ساترثويت**" وكأنما فقد عقله. فتح الصحيفة بعنف مرة

أخرى، وألقى بنظرة سريعة إلى برنامج الإذاعة، وبدأ يعدو بكل قوته وكأنه يهرب بحياته. وفي نهاية الشارع وجد سيارة أجرة قفز إليها، وذكر للسائق العنوان وأمره أن يسرع؛ لأن الموضوع موضوع حياة أو موت، وحين رأى السائق مظاهر ثرائه فعل كل ما في وسعه. ودارت في مخيلة "**ساترثويت**" بعض معارف علمية في المدرسة واستخدمها "**أيستني**" هذه الليلة.. الذبذبة.. الموجات... إلخ. إن إذاعة "**يواشبيم**" في الساعة العاشرة وخمس وأربعين دقيقة، الآن موسيقى "**فاوست**" أولاً ثم أغنية الراعي التي عند نهايتها... ماذا سيحدث؟ وعاد إلى مخيلته مرة أخرى الذبذبة – النغمات وأنصاف النغمات. إن "**أيستني**" يعرف كل شيء وهو عبقري فذ... لو أنه فقط وصل إلى "**جيليان**" في الوقت المناسب! وصلت السيارة الأجرة إلى بيت "**جيليان**"، وقفز "**ساترثويت**" درجات السلم وكأنه شاب صغير ليستمع عند بابها إلى أغنية الراعي التي كانت مألوفة لديه. إذن لقد وصل في الوقت المناسب... اندفع داخلاً إلى حجرة الجلوس حيث كانت "**جيليان**" جالسة في مقعد وثير إلى جوار المدفأة. ولابد من أنها ظنته مجنونًا فقد أمسك بها بعنف وهو يطلق صيحات غير مفهومة، وأخذ يجرها حتى أصبحا يقفان فوق درجات السلم. ومع نغمة مرتفعة من المغني، أطلقها بكل قوة حنجرته، نغمة يفتخر بها أي مغن آخر، مع هذه النغمة كان هناك صوت خافت آخر.. صوت زجاج يكسر. وفي اللحظة التالية كانت ثمة قطة تندفع من الباب المفتوح... فأمسك "**ساترثويت**" بـ"**جيليان**" حتى لا تتحرك وهو يقول بارتباك:

– كلا... كلا. إنها مميتة فلا رائحة ولا شيء يحذرك. مجرد لفحة هواء وينتهي كل شيء... لا أحد يعرف كم هي مميتة هذه اللفحة. فلم يجربها أحد من قبل مطلقًا! كان يردد ما سمعه من "**فيليب أيستني**" على مائدة العشاء هذه الليلة، لكن "**جيليان**" كانت تحدق إليه دون فهم.

*****

أخرج "**فيليب أيستني**" ساعته ونظر إليها ليجدها الحادية عشرة والنصف. لقد كان –طوال الساعات الماضية – يذرع شاطئ نهر "**التيمز**" جيئة وذهابًا. لكنه حين استدار وجد نفسه في مواجهة "**ساترثويت**" مباشرة. قال ضاحكًا:

– هذا غريب. لابد أن الأقدار ترتب لقاءنا مصادفة هذه الليلة.

– هل تسميها أقدارًا؟

– نعم.

– لقد أتيت فورًا من عند "**جيليان وست**".

– نعم؟

– ولقد أخرجنا من شقتها قطة ميتة. وهنا ساد الصمت لحظة، قبل أن يقول "**أيستني**" وقد فقد رباطة جأشه:

– من أنت؟ سرد عليه "**ساترثويت**" الأحداث التي حدثت حتى الآن، واختتم حديثه بقوله:

– وهكذا ترى أنني وصلت في الوقت المناسب، هل لديك ما تقوله؟ كان يتوقع أن ينفجر الشاب أو يبرر موقفه، لكن "**فيليب أيستني**" هز رأسه بالرفض، ثم استدار وسار في هدوء. ظل "**ساترثويت**" يتبعه ببصره حتى ابتلعه الظلام. ورغمًا عنه شعر "**ساترثويت**" بالشفقة نحو الشاب؛ لأنه لم يكن شابًا عاديًا، بل فنانًا عبقريًا. ثم أفاق وبدأ يسير في الاتجاه الذي سار فيه "**أيستني**"، إلى أن التقى بعد قليل وسط الضباب بشرطي سأله:

– هل سمعت صوت رشاش ماء؟

– كلا... وأخذ الشرطي يتطلع إلى الماء بصعوبة ثم قال بضيق:

– حالة انتحار أخرى. إنهم لا يكفون عن الانتحار.

– لابد من أن لديهم أسبابهم.

– معظمها بسبب المال... وأحيانًا النساء وهم ليسوا دائمًا مخطئين، لكن

بعض النساء يثرن كثيراً من المتاعب. قال "**ساترثويت**" موافقًا بصوت خافت:

– نعم بعض النساء. وعندما انصرف الشرطي جلس على مقعد والضباب يحيط به وأخذ يفكر في "**هيلين طروادة**" و"**كليوباترا**"، ولم يتمالك أن ذهب يتساءل هل هناك امرأة بمثل هذا الجمال لا تحف بها النعمة أو النقمة؟!

- 116 -

لوحة الميت

أهم الشخصيات :

"

هارلي كوين" : زائر الليل، وهو شخص لا يراه أحد إلا حين يختار هو

"**ساترثويت**" :صديق السيد "**كوين**" وهو رجل ثرثار يتسلى بالفرجة على الحياة

"**فرانك بريستو**" : فنان جديد يعرض لوحاته في المعرض

السيد "**كوب**" : مدير المعرض

العقيد "**مونكتون**" : صديق "**ساترثويت**"

الليدي "**ألكسي تشارنلي**" : زوجة اللورد "**ريجي**"

اللورد "**ريجي تشارنلي**" : ثري يسكن في قصره. مات منتحراً

الآنسة "**أسباسيا جلين**" : ممثلة مشهورة

"**هوجو تشارنلي**" : شقيق اللورد "**ريجي**"

"**مونكا فورد**" : صديقة اللورد "**ريجي**"

لوحة الميت

مشى السيد "**ساترثويت**" متمهلاً في شارع "**بوند**" وهو يستمتع بضوء الشمس في طريقه إلى معرض "**هاركستر**" الذي يعرض الصور الفنية، لكي يشاهد رسوم الفنان الجديد "**فرانك بريستو**". وبينما هو على عتبة المعرض حياه أحد المشرفين قائلاً:

ـ كنا نعرف أنك لابد أن تأتي يا سيد "**ساترثويت**"، فلدينا فنان جديد سيروقك جداً. سار "**ساترثويت**" إلى قاعة العرض الواسعة وقد علقت اللوحات على جدرانها، وأخذ في إعجاب يتأمل اللمسات الفنية التي ظهرت بوضوح في كل لوحة على حدة. توقف أمام لوحة تصور جسر "**وستمنستر**" وقد احتشدت عليه السيارات والمارة ومختلف أنواع المركبات. وقد أطلق الفنان على اللوحة اسم "بيت النمل" ثم مضى إلى اللوحات الأخرى حتى وصل إلى لوحة وجد نفسه يكاد يشهق أمامها وقد تسمر في مكانه. كان اسمها (موت المهرج "**هارلي كوين**") خلفيتها شرفة كبيرة ذات بلاط من اللونين الأبيض والأسود، ووسط الشرفة جثة مهرج ميت في ملابس حمراء وسوداء، وقد تمدد ذراعاه إلى جواره، وفي الجزء الخلفي جدار الشرفة الجانبي وفيه نافذة زجاجية، ووراء النافذة شخص ينظر بهدوء إلى "المهرج الميت". كان أغرب ما في اللوحة هو التشابه الواضح بين وجه الشخص الذي ينظر من خلف النافذة وبين وجه المهرج الميت، وكأنما أراد الرسام أن يرمز لروح الميت حيث تقف وترقب الجسد بعد أن انفصلت عنه. لكن ما أثار انفعال "**ساترثويت**" هو أنه كان يعرف وجه المهرج الميت، ذلك لأن الوجه كان كبير الشبه بوجه ذلك الرجل الخفي، السيد "**كوين**"، الذي كان يظهر له عندما تكون هناك أحداث. قال لنفسه بعجب: لست مخطئًا مطلقًا. فما معنى ذلك؟ ذلك أنه كان واثقًا بتجاربه السابقة بأن رؤيته للسيد "**كوين**" لابد من أن تخفي وراءها سببًا ما. فضلاً على أنه كان قد فطن إلى أن الشرفة التي في اللوحة هي ذاتها الشرفة الكبيرة

في قصر "تشارنلي" . باللعجب! وطاف ببقية اللوحات. ثم ذهب إلى مدير المعرض قال له:

– أريد أن أشتري اللوحة رقم 39 إذا لم يكن قد اشتراها أحد قبلي. قال المدير السيد "كوب" بعد مراجعة الدفتر:

– أوه، كلا لم يشترها أحد بعد يا سيد "ساترثويت"، لقد أحسنت الاختيار، سوف يتضاعف ثمنها في خلال أعوام قليلة.

– هذا ما أسمعه منك باستمرار يا سيد "كوب".

– ألم أكن صادقًا في كل ما قلت؟

– نعم، نعم، أعترف بذلك، ساكتب لك شيكًا بثمنها.

– لن تندم على شرائها فإن الفنان "بريستو" سيخلد التاريخ اسمه...

– ألا يزال في سن الشباب؟

– في السادسة أو السابعة والعشرين.

– هل لي أن ألتقي به؟ لعله يقبل دعوتي له لتناول العشاء الليلة.

– سآتيك بعنوانه، ولابد أنه سيسر بهذه الدعوة لأن صيتك ذائع كمشجع للفنانين... ولكن ها هو قد حضر... سوف أقدمه إليك فوراً. ونهض واقفًا واخذ يقدم السيد "ساترثويت" إلى الفنان الشاب ذي الجسم الضخم والوجه الحالم. قال "ساترثويت":

– لقد اشتريت لوحتك الرائعة "موت المهرج".

– لن تخسر كثيراً بشرائها يا سيدي، إنها رائعة على الرغم من أنني بذلك أمدح نفسي.

– بل هي الحقيقة يا سيد "بريستو"، ولمساتك الفنية استرعت انتباهي، وأرجوك أن تشرفني بقبول دعوتي لك إلى العشاء الليلة إذا لم يكن هناك عائق.

– الواقع أنه ليس لديَّ ارتباط الليلة، ويسرني أن أقبل دعوتك.

– حسنًا، سانتظرك في الساعة الثامنة، هذه بطاقتي عليها عنوان منزلي. فشكره

الفنان. وانصرف "**ساترثويت**" وهو يقول لنفسه: "إنه شاب فذ ولا يعرف قدر نفسه". وصل "**فرانك بريستو**" في الثامنة تمامًا فوجد عند "**ساترثويت**" مدعواً آخر هو العقيد "**مونكتون**". وذهبوا لتناول العشاء فوراً، وكان هناك مقعد خالٍ لشخص رابع، قال "**ساترثويت**" مفسراً:

– إنني أتوقع قدوم صديق قد يحضر في أية لحظة هو السيد "**كوين**"، والآن ياسيد "**بريستو**" لقد اهتممت بلوحتك لأنني أعرف غرفة الشرفة في قصر "**تشارنلي**" الذي ذهبت إليه بضع مرات في الماضي. إن قصر "**تشارنلي**" كان يملؤني بالغموض والسحر، ولكنني لم أره منذ أن وقعت فيه تلك المأساة، وأعتقد أنه أصبح الآن بيت أشباح. قال "**مونكتون**":

– إن هناك شبحين رئيسيين، أحدهما لـ "**تشارلز الأول**" وهو يسير في الشرفة ورأسه تحت ذراعه، ولا أعرف السبب في ذلك، ثم شبح السيدة الباكية بوعائها الفضي. وهذان الشبحان يظهران بعد موت أي شخص من عائلة "**تشارنلي**". قال "**ساترثويت**" بسرعة:

– لقد كانت بالتأكيد عائلة منحوسة الحظ، فلقد مات منها أربعة ممن يحملون اللقب ميتة مأساوية، وكان آخرهم اللورد "**تشارنلي**" الذي انتحر. قال "**مونكتون**" بأسى:

– إنني كنت هناك عندما انتحر. فقال "**ساترثويت**":

– كان ذلك منذ أربعة عشر عامًا. وقد أغلق المنزل منذ ذلك الحين. قال "**مونكتون**":

– إنني لا أدهش لذلك. فقد كانت صدمة عنيفة بالنسبة إلى زوجته الشابة. كان اللورد "**تشارنلي**" قد تزوجها منذ شهر واحد، وكانا قد عادا لتوهما من رحلة شهر العسل وأقاما حفلة تنكرية كبيرة ليحتفلا بمناسبة عودتهما إلى منزلهما. وحالما بدأ الضيوف يصلون أغلق "**تشارنلي**" حجرة المكتبة على نفسه وأطلق النار. إن ذلك لم يكن شيئًا عاديًا، أليس كذلك؟ نعم كان شيئًا مفزعًا بالنسبة إلى

"**ألكسي تشارنلي**" التي كانت من أكثر الفتيات جمالاً وحيوية وهي في مقتبل العمر. أما الآن فهم يقولون إنها أصبحت تشبه شبحًا جامداً. إنني لم أرها منذ أعوام عديدة وأعتقد أنها تعيش في الخارج معظم الوقت. قال "**ساترثويت**" متسائلاً:

– وماذا عن الصبي؟

– إنه يدرس في كلية "**أيتون**"، ولا أعرف ماذا سيفعل عندما يشب عن الطوق، لكنني لا أظن أنه سيعيد فتح القصر. قال الفنان "**بريستو**":

– إن القصر يصلح كي يكون حديقة عامة لجماهير الناس. قال "**مونكتون**" وهو يوجه إليه نظرة غاضبة:

– كلا... كلا إنك لا تقصد هذا بالتأكيد. ولم تكن لترسم تلك اللوحة لو أنك اعتقدت ذلك. أخذهما السيد "**ساترثويت**" إلى حجرة مكتبته حيث أطلعهما على بعض صور التقطها، كان من بينها صور لغرفة الشرفة في قصر "**تشارنلي**"، قال:

– هذه الصورة التقطتها من الزاوية نفسها التي رسمت أنت منها لوحتك ياسيد "**بريستو**"، انظر إلى هذه السجادة الرائعة، من المؤسف أن الصورة الفوتوغرافية لا تظهر الألوان بوضوح.

– أتذكر هذه السجادة، كانت ألوانها مشتعلة وجميلة وكأنها قطعة من اللهب، لكنها رغم ذلك بدت غير ملائمة للمكان، وكان حجمها الصغير غير مناسب للحجرة الكبيرة المربعة، إنها تفسد المنظر العام للحجرة حيث لا توجد سجادة غيرها، وهي تبدو كبقعة دم ضخمة.

– ربما كانت السجادة هي التي أعطتك فكرة اللوحة؟

– ربما، إنها توحي بالمأساة التي وقعت في الحجرة المجاورة لها. قال "**مونكتون**":

– تقصد قاعة الاستقبال، نعم إنها هي الحجرة المسكونة، وفيها مكان اختباء في نهايتها خلف لوح خشب بجوار المدفأة. ويقول الناس إن "**تشارلز الأول**" قد

اختفى هناك ذات مرة. لقد حدثت فيها مبارزتان، وفيها أطلق اللورد "**ريجي تشارنلي**" النار على نفسه. وأخذ "**مونكتون**" الصورة الفوتوغرافية من يد "**بريستو**" وأردف:

– إنها سجادة من بخارى وهي تساوي ألفي جنيه. وعندما كنت في القصر كانت في قاعة الاستقبال، وليس في حجرة الشرفة. قال "**ساترثويت**" وهو ينظر إلى المقعد الخالي إلى جواره:

– إنني أتساءل متى نقلت السجادة من قاعة الاستقبال إلى غرفة الشرفة. وهنا سأل السيد "**بريستو**" قائلاً:

– لماذا أطلق اللورد "**تشارنلي**" النار على نفسه؟ قال "**مونكتون**" بطريقة غامضة:

– لم يعرف أحد السبب قط. قال "**ساترثويت**" ببطء:

– أظن أنه انتحر. قال العقيد "**مونكتون**" في دهشة شديدة:

– انتحر؟ لقد كان انتحارا بالتأكيد يا صديقي. ولقد كنت في المنزل عندئذ بنفسي.

– في بعض الأحيان يرى المرء الأمور بطريقة مختلفة عمًّا كان يراها عند وقوعها.

– هراء ولهو فارغ، كيف يمكنك أن تنظر إلى الأمور بطريقة أفضل عندما يكون تذكرك لها غامضًا بعد وقوعها بزمن طويل؟ قال السيد "**بريستو**" الفنان:

– أعرف ما تقصد يا سيد "**ساترثويت**"، إنها مسألة نسبية. قال العقيد "**مونكتون**" بلهجة عنيفة:

– كان الأمر انتحارا، ولقد رأيت ما حدث بنفسي. لقد تم الحادث بطريقة غير متوقعة قط، كان "**تشارنلي**" على ما يرام تمامًا ذلك اليوم، وكان هناك مدعوون كثيرون لحضور الحفل في ذلك اليوم، ولم يكن يخطر في بال أحد أن يطلق إنسان النار على نفسه، وعندما بدأ الزوار يتوافدون على قصره، كان هذا عملاً لا يتسم

بحاسة الذوق التي كان "**اللورد**" يتميز بها. كنا نقف، ثلاثة أو أربعة منا، عند قمة الدرج، عندما رأيناه يتجه إلى قاعة الاستقبال. وقد قالت إحدى الفتيات التي كانت واقفة معنا، إن سحنته - لم تكن تستطيع أن ترى وجهه من حيث كنا نقف- كانت منقلبة وإن عينيه كانتا شاردتين، لكنه بالتأكيد بدا لنا محني القامة وكأنه يحمل هموم الدنيا فوق كتفيه. ثم صاحت إحدى المربيات تناديه لأنها كانت تحمل رسالة من سيدتها. ولكنه لم ينتبه لها، ودخل إلى قاعة الاستقبال وأغلق الباب خلفه بعنف ثم سمعنا المفتاح وهو يدور في القفل. وبعد ذلك بدقيقة واحدة سمعنا الطلقة النارية. ولقد هرعنا نهبط إلى البهو، وحاولنا دخول قاعة الاستقبال من الباب الذي يفصل بينها وبين حجرة الشرفة، لكنه كان مغلقًا أيضًا، وفي النهاية اضطررنا إلى كسر الباب. ووجدنا اللورد "**تشارنلي**" ملقى على الأرض ميتًا والمسدس إلى جوار يده اليمنى. والآن هل يمكن أن يكون هذا سوى انتحار؟ هل يمكن أن يكون حادثًا؟ كلا بالتأكيد ليس هناك سوى احتمال واحد، أن يكون في الأمر جريمة، لكن هل هناك جريمة بلا مجرم لابد من أنكم تعترفون بذلك. قال "**ساترثويت**" مقترحًا:

- يحتمل أن يكون القاتل قد هرب.

- هذا مستحيل لأن قاعة الاستقبال لم يكن لها سوى بابين، أحدهما يفتح على البهو والآخر يفتح على حجرة الشرفة، ولقد كان هذان البابان مغلقين من الداخل، ومفتاحاهما في قفليهما.

- وماذا عن النافذة؟

- كانت مغلقة، والشيش مغلقًا بالمزلاج تمامًا، إنني لا أؤمن بمسألة الأرواح والأشباح، لكن هذه الحجرة يحيط بها الغموض على وجه الخصوص، فألواح حوائطها بها آثار لثقوب رصاصات كثيرة، نتيجة لتلك الجرائم التي تمت فيها، ثم هناك بقعة غريبة على الأرض تعود دائمًا رغم تغيير أخشاب الأرضية. وأعتقد أنه سيكون هناك الآن بقعة دم "**تشارنلي**" المسكين.

– هل نزف دم كثير من جثة "**تشارنلي**" ؟

– قليل جداً، قليل بشكل غير عادي كما قال الطبيب.

– أين أطلق النار على نفسه؟ هل أطلق الرصاص على رأسه؟

– كلا، على قلبه. وهنا تدخل الفنان "**بريستو**" في الحديث قائلاً:

– إن هذا ليس مكانًا سهلاً للانتحار، فمن الصعب أن يعرف الإنسان مكان قلبه بالضبط، ولو أنني كنت مكانه لما انتحرت بهذه الطريقة. هز "**ساترثويت**" رأسه مقتنعًا بما سمع، وهو يشعر بأنه سيصل إلى شيء ما، لكنه لم يكن يعرف ماهو. في حين استطرد العقيد "**مونكتون**" قائلاً:

– إن قصر "**تشارنلي**" غامض، وعلى الرغم من أنني لم أر شيئًا غير عادي إلا أن الخدم يقولون إنهم شاهدوا السيدة ذات الوعاء الفضي. أرجو أن تكون مقتنعًا بذلك يا سيد "**ساترثويت**".

– ظاهر الأمر يوحي بإمكانية الانتحار، لكن لو نظرنا بعين فاحصة لوجدنا أنه ليس هناك ما يدفع رجلاً تزوج حديثًا إلى الانتحار، شاب ثري وسعيد يحتفل بعودته إلى منزله.. إنه لأمر غريب لكن ليس هناك مهرب من الحقائق.

– أظن أن هناك قصة ما خلف الموضوع كله. إن هناك بالتأكيد شائعات كثيرة، وانت تعرف ما يقوله الناس في مثل هذه الأحوال. قال السيد "**بريستو**" ملاحظًا:

– إنها قصة غامضة تصلح للنشر. أليس كذلك؟ ليس هناك من استفاد من موت الرجل. قال السيد "**ساترثويت**":

– لم يستفد أحد سوى طفل لم يولد بعد. أطلق العقيد "**مونكتون**" ضحكة حادة ثم قال:

– لقد كانت ضربة قوية للمسكين "**هوجو تشارنلي**" فحين عرف أن الليدي "**تشارنلي**" ستلد طفلاً اضطر في حنق إلى أن ينتظر ليرى ما إذا كانت بنتا أم صبيًا. ولقد كان الانتظار ثقيلاً أيضًا على الدائنين وعندما جاء الصبي أصاب الجميع بخيبة أمل. سأل "**بريستو**":

– هل اشتد الحزن على الأرملة؟

– يا لها من طفلة مسكينة. إنني لن أنساها أبدًا، لم تبك أو تنتحب بل تجمدت تمامًا... ثم أغلقت القصر بعد ذلك بوقت قصير، ولا أظن أنه فتح بعد ذلك.

– إذن فنحن أمام انتحار بلا دافع، إذن فلابد من أن يكون هناك رجل أو امرأة خلف الموضوع واحتمال المرأة أكثر لأن الأرملة لم تتزوج مرة أخرى. إنني أكره كل النساء. ارتسمت ابتسامة يسيرة على وجه "**ساترثويت**"، وعندما لمحها "**بريستو**" قال بحنق:

– إنك تبتسم، لكنني أكرههن فعلاً، فيما عدا واحدة فقط كانت مثيرة لاهتمامي إلى حد ما. قال "**ساترثويت**":

– ظننت أنه لابد أن تكون هناك امرأة من هذا النوع.

– ليس بالأسلوب الذي تقصده.. لقد التقيت بها مصادفة في قطار قادم من الشمال، ولقد كنا في المقصورة بمفردنا، ولا أعرف كيف بدأنا الحديث. إنني لا أعرف اسمها، ولا أتوقع أن ألتقي بها ثانية. لم تكن امرأة حقيقية تمامًا. كانت ظل شبح... وتخيل "**ساترثويت**" تمامًا الصورة التي رسمها "**بريستو**"، الذي تابع قائلاً:

– أظن أن شيئًا مخيفًا حدث لها أحالها جامدة شاحبة كالظل. أعتقد أن المرء يفعل ذلك كي يهرب من شيء، لكنه بعد فترة لن يستطيع أن يعود لنفسه مرة أخرى.

– هل هذا هو ما حدث لها؟

– لا أعرف، فإنها لم تخبرني بشيء، إنني أخمن فقط. وهنا دخل رئيس الخدم يعلن حضور زائرة لديها أمر ملح واسمها الآنسة "**أسباسيا جلين**". نهض "**ساترثويت**" في دهشة لأنه لم يتوقع قدوم هذه الزائرة قط. من في "**لندن**" لم يكن يعرفها؟ لقد أثارت إعجاب "**لندن**" كلها على أنها "المرأة ذات الوشاح".

الوشاح الذي مثلت به شخصيات عديدة بإتقان رائع أثار الإعجاب. مثلت دور الراهبة، والفلاحة، وشخصيات أخرى عديدة، كان "**ساترثويت**" يحترمها كفنانة، لكنه لم يتعرف إليها من قبل. فمهما يكن فإنه اعتذر لصديقيه وخرج للقائها. كانت الآنسة "**جلين**" تجلس في مقعد يتوسط الحجرة، ولأول وهلة أحس بشعور النفور منها فقد كان في شخصيتها شيء قاسٍ جريء غلاب. قالت بصوت ساحر:

– لابد أن تغفر لي هذه الزيارة غير المتوقعة يا سيد "**ساترثويت**". لن أقول لك إنني كنت أتمنى التعرف إليك منذ وقت طويل، لكنني مسرورة بهذه الزيارة، أما عن سبب زيارتي فهو أن هناك شيئًا أريده ولابد لي من الحصول عليه.

– أي سبب دعاك إلى الحضور لابد من أن يكون سببًا أقابله بالترحيب.

– سوف أطرق الموضوع مباشرة. لقد كنت في معرض "**هاركستر**" اليوم ورأيت لوحة لا أستطيع أن أعيش دونها. أردت أن أشتريها لكنك قد اشتريتها قبلي. إنني أريد الحصول عليها بأي ثمن، ولقد أحضرت معي دفتر شيكاتي. إن كل الناس يقولون عنك إنك طيب إلى أقصى حد، وسوف تكون طيبًا معي كذلك. لم يشعر السيد "**ساترثويت**" بميل إلى الاستجابة لأسلوبها. فإنه رغم مظهره وسلوكه الذي يتسم بالشهامة كان رزينًا له عين نافذة. لم ير في المرأة التي أمامه شابة تريد إرضاء نزوة وإنما شابة أنانية تريد أن تستحوذ على شيء وهو لا يعرف السبب في هذا. قرر ألا يعطيها اللوحة أبدًا، وأسرع يبحث عن سبب يقنعها به دون أن يكون فظًا. فقال:

– إنني واثق بأن كل إنسان يفعل ما تطلبينه منه بكل سرور.

– هل ستعطيني اللوحة إذن؟

– أخشى أن يكون ذلك مستحيلاً. فلقد اشتريتها كي تكون هدية مني لسيدة.

– أوه ولكن بالتأكيد.. وهنا دق جرس التليفون إلى جواره، فرفع السماعة ليسمع صوتًا نسائيًا يقول له:

– أنا الليدي "**تشارنلي**"، "**ألكسي تشارنلي**"، أرجو أن تتذكرني يا سيد "**ساترثويت**" فإننا لم نلتق منذ سنوات.

– نعم أتذكرك يا عزيزتي الليدي "**تشارنلي**".

– هناك شيء أريده منك، لقد كنت في معرض "**هارشستر**" اليوم وأعجبتني لوحة "**كوين**" الميت، ولابد من أنك لاحظت أنها تمثل حجرة الشرفة في قصر "**تشارنلي**". اسمع يا سيد "**ساترثويت**"، إنني أريد هذه اللوحة، هل يمكن أن تبيعها لي؟

– إن هذا يشبه المعجزة. فلقد اشتريتها كي أقدمها هدية لك، لكنني أطلب منك شيئًا واحدًا يا عزيزتي، هو أن تحضري إلى هنا فوراً.

– بالتأكيد يا سيد "**ساترثويت**"، إنني ممتنة لك. وضع "**ساترثويت**" السماعة واستدار نحو "**أسباسيا جلين**" التي قالت بغضب:

– هل كانت هديتك لها هي اللوحة التي أقصدها؟

– نعم، والسيدة التي كنت سأهديها لها سوف تأتي إلى هنا في خلال بضع دقائق. قالت "**أسباسيا جلين**":

– إذن فسوف تمنحني فرصة إقناعها بأن تعطيني اللوحة؟

– نعم، سأمنحك فرصة إقناعها. ها هو في صميم دراما إنسانية مثيرة. لقد ساوره انفعال شديد عندما ألفى نفسه يمثل دوراً رائداً... ولم يلبث أن دخل معها إلى حيث كان ضيفاه. وقال:

– دعيني يا آنسة "**جلين**" أقدم لك صديقًا عزيزاً عليَّ، العقيد "**مونكتون**". هذا هو السيد "**بريستو**" الذي رسم اللوحة التي أعجبت بها. لكنه في اللحظة التالية لاحظ وجود رجل في المقعد الرابع. وهنا قال السيد "**كوين**":

– أظن أنك كنت تنتظرني في هذا المساء وفي خلال غيبتك القصيرة قدمت نفسي إلى أصدقائك، ويسعدني أن أقضي بعض الوقت معكم. وقبل أن يقول "**ساترثويت**" شيئًا توهم أن "**أسباسيا جلين**" فوجئت برؤية السيد "**كوين**". قدم

"**ساترثويت**" كلاً منهما إلى الآخر، في حين قال "**بريستو**" الفنان بدهشة:

– لقد زالت حيرتي الآن. ألا تلاحظ يا سيد "**كوين**" الشبه الواضح بين "**هارلي كوين**" في لوحتي –الرجل الذي ينظر من النافذة – والسيد "**ساترثويت**"؟ ولم يكن وهمًا هذه المرة حين سمع "**ساترثويت**" "**أسباسيا جلين**" تشهق بصوت مكتوم وقال بلهجة انتصار:

– لقد قلت لكم إنني أتوقع صديقًا هذا المساء، والسيد "**كوين**" شخص له خاصية غريبة، فهو يستكشف الأشياء الغامضة بحاسته النادرة. قال السيد "**كوين**":

– إن هذا إطراء يسعدني، لكن المسألة في الحقيقة هي أننا لا نفسر ما نراه التفسير الصحيح دائمًا. والتفتت "**أسباسيا جلين**" إلى السيد "**بريستو**" وسألته:

– أريد أن أعرف ما الذي وضع فكرة اللوحة في رأسك؟

– إنني لا أعرف بالضبط. لقد سيطرت على خيالي حجرة الشرفة الواسعة، ثم ما سمعته عن قصة اللورد "**تشارنلي**" الذي انتحر. افرضي أنك مت وأن روحك مازالت حية؟ أليس ذلك غريبًا، ربما وقفت روحك في الشرفة تنظر من النافذة إلى جسدك الميت وسوف ترين عندئذ كل شيء.

– ما الذي تقصده برؤية كل شيء؟ عندئذ فتح الباب ودخل رئيس الخدم يعلن قدوم الليدي "**تشارنلي**". فخرج "**ساترثويت**" ليكتشف أنها قد تغيرت تمامًا وأصبحت امرأة جامدة، جميلة، شاحبة باردة، وقالت مغمغمة عندما قدمها السيد "**ساترثويت**" إلى ضيوفه ورمقت الآنسة "**جلين**" بنظرة:

– إنني آسفة ولكن لابد أنني رأيتك من قبل، أليس كذلك؟ قال السيد "**ساترثويت**":

– لابد أنك رأيتها على خشبة المسرح فهذه هي الآنسة "**أسباسيا جلين**" ياليدي "**تشارنلي**".

– أهلاً بك. وها هو السيد "**بريستو**" الذي التقيت به من قبل في أحد

القطارات. وأخذ السيد "**ساترثويت**" يرقبها، لكنه لم يلحظ أنها تعرفت إلى السيد "**هارلي كوين**" . وضع لها مقعداً وقال:

- إنه اجتماع غير عادي ألبته، وهو يتركز حول هذه اللوحة وأعتقد أننا لو أردنا فسوف نوضح أموراً كثيرة، ذلك لأنني والسيد "**كوين**" نعتقد أنه بالنظر إلى الأحداث الماضية كما كانت فعلاً وليس كما ظهرت من قبل، فإننا نستطيع أن نستكشف غموضها. قالت ليدي "**تشارنلي**" :

- نستكشف غوامض أحداث حدثت في الماضي؟

- إنني أتكلم عن انتحار زوجك يا ليدي "**تشارنلي**" . أعرف أنها سوف تؤذي..

- كلا إنها لم تعد تجرحني. لم يعد يجرحني شيء.. وتذكر "**ساترثويت**" كلمات "**فرانك بريستو**" : "لم تكن حقيقية بل كانت ظل شبح" ثم قال بصوت مسموع:

- يا عزيزتي، إنك تخيفينني. فأنت تشبهين السيدة الباكية ذات الوعاء الفضي. وهنا سمعوا صوت كوب يتكسر، كانت "**أسباسيا جلين**" قد أسقطت كوبها وحاولت أن تعتذر لكن "**ساترثويت**" هون عليها ثم قال وهو يحس بأنهم يقتربون من شيء ما:

- دعونا نعد بذاكرتنا إلى أربعة عشر عامًا مضت عندما قتل اللورد "**تشارنلي**" نفسه، ولأي أسباب؟ لا أحد يعرف. تدخل "**فرانك بريستو**" في الحديث قائلاً:

- إن الليدي "**تشارنلي**" تعرف الأسباب. قالت الليدي "**تشارنلي**" بتردد وبصوت هادئ:

- نعم إنني أعرفها، ولأنني أعرفها فلن أعود إلى قصر "**تشارنلي**" ، وعندما يطلب إلى ابني "**ديك**" أن أفتح القصر مرة أخرى لنعيش هناك سأقول له إن ذلك غير ممكن. سوف أقول لكم السر الآن؛ لأنه لم يعد يهمني شيء. لقد وجدت خطابًا بين أوراقه وقد أحرقته. قال السيد "**كوين**" :

– أي خطاب؟

– خطاب من فتاة... خطاب من فتاة بائسة كانت مربية في ملجإ ما. وقد طارحها الغرام في أثناء فترة خطبته لي قبل زواجنا مباشرة... نعم، وكانت تحمل منه طفلاً أيضًا. كتبت تقول له هذا وكانت على وشك أن تطلعني على الأمر. ومن ثم فقد أطلق النار على نفسه. نظرت حواليها وكأنها أتمت ترديد درس حفظته. وقال العقيد "**مونكتون**":

– إذن فقد كان هذا هو الأمر. إن هذا يكشف السر. قال "**ساترثويت**":

– أحقًّا؟ إنه لا يكشف السر أبدًا. وهو لا يفسر لماذا رسم السيد "**بريستو**" الصورة؟

– ماذا تقصد؟

– نعم أعرف أن كلامي غير مفهوم، لكن اللوحة هي مركز الأمر برمته، ولقد اجتمعنا هنا حولها. إن الصورة كان لابد لها أن ترسم. هذا ما أقصده. أقصد تأثير حجرة الشرفة في الفنان هذا هو الأمر، روح الرجل الميت تقف خارج النافذة لينظر من خلالها إلى جسده الميت على أرضية الحجرة. قال العقيد "**مونكتون**":

– وهو الشيء الذي لا يمكن أن يفعله لأن الجثة كانت في قاعة الاستقبال.

– افرض أنها لم تكن هناك، افرض أنها كانت حيث تخيلها السيد "**بريستو**" بالضبط فوق أرضية حجرة الشرفة.

– إنك تقول لغوا فارغا، فلو أنها كانت هناك لما وجدناها في قاعة الاستقبال.

– إلا إذا حملها أحدهم إلى هناك.

– وفي تلك الحالة فإننا لم نكن لنرى اللورد "**تشارنلي**" يدخل إلى قاعة الاستقبال.

– إنك لم تر وجهه، أليس كذلك؟ ما أقصده هو أنك رأيت رجلاً يدخل حجرة الاستقبال في ملابس تنكرية كما أظن، فظننته اللورد "**تشارنلي**"؛ لأن الفتاة التي صاحت نادته على أنه اللورد "**تشارنلي**".

– وأيضًا لأننا عندما كسرنا الباب بعد ذلك بدقائق وجدنا لورد "**تشارنلي**" ميتًا داخل الحجرة، إنك لا تستطيع أن تهرب من هذه الحقيقة يا "**ساترثويت**" .

– كلا، إلا إذا كان هناك مكان للاختفاء من نوع ما. قال "**فرانك بريستو**" :

– لقد سمعتك تقول إن هناك مكانا للاختباء خلف أحد ألواح الحجرة يا سيادة العقيد "**مونكتون**" . وهنا صاح "**ساترثويت**" قائلاً:

– لنفرض أن أحداً أطلق النار على اللورد "**تشارنلي**" ، فقتله في حجرة الشرفة، ثم – وبمساعدة شخص آخر – سحبت الجثة إلى قاعة الاستقبال. أرقداها هناك ووضعا المسدس إلى جوار يده اليمنى. لابد أن يوحي ذلك بأن اللورد "**تشارنلي**" قد انتحر. وعندئذ يمر الرجل ذو الملابس التنكرية في البهو متجهًا إلى قاعة الاستقبال في اللحظة التي ينادي فيها عليه شخص باسم اللورد "**تشارنلي**" من فوق قمة السلم وذلك حتى يوحي للحاضرين أنه اللورد "**تشارنلي**" فعلاً. يدخل ذلك الرجل الحجرة ويغلق البابين من الداخل ثم يطلق طلقة نارية في جدار الحجرة الخشبي، وحيث إن في الحجرة ثقوبًا بفعل الرصاص من قبل فلن يلاحظ أحد وجود الطلقة الإضافية وعندئذ يختفي في مكانه السري حتى تحطموا أنتم الأبواب ويندفع جمهور الحاضرين إلى الداخل، ويبدو بالتأكيد عندئذ أن اللورد "**تشارنلي**" قد انتحر، فلا يتاح لأحد أن يفكر في نظرية أخرى. قال العقيد "**مونكتون**" :

– لا أعتقد أن هذه النظرية متماسكة فقد نسيت أن اللورد "**تشارنلي**" كان لديه الدافع للانتحار.

– هناك من يعثر عليه فيما بعد، خطاب كتبته ممثلة مغمورة حاقدة كانت تريد في يوم من الأيام أن تصبح زوجة اللورد "**تشارنلي**" .

– هل تقصد...؟

– اقصد الفتاة المتآمرة مع "**هوجو تشارنلي**" ... إننا نعرف جميعًا يا "**مونكتون**" أن الرجل كان شريرًا ولقد ظن أنه سوف يرث اللقب حتمًا. يا ليدي

"**تشارنلي**"، ما أسم تلك الفتاة التي كتبت ذلك الخطاب؟

– "**مونكا فورد**".

– هل كان اسم الفتاة التي صاحت منادية اللورد "**تشارنلي**" من فوق قمة السلم هو "**مونكا فورد**" يا "**مونكتون**"؟

– نعم أعتقد ذلك. قالت الليدي "**تشارنلي**":

– إن هذا مستحيل، فقد ذهبت إليها لأكلمها في الأمر. قالت لي إن كل شيء حقيقي ولا أعتقد أنها كانت تدعي حدوث ذلك كله طوال الوقت. نظر "**ساترثويت**" إلى "**أسباسيا جلين**" ثم قال بهدوء:

– أعتقد أنها استطاعت أن تتظاهر بالأمر؛ لأنها كانت تتمتع بموهبة تمثيلية حقيقية. قال "**فرانك بريستو**":

– هناك عقبة لم نتغلب عليها بعد، لابد أن يكون هناك دم فوق أرضية حجرة الشرفة، ولم يكونا ليستطيعا مسح الدم في عجلة. قال "**ساترثويت**" معترفًا:

– كلا... لكن هناك شيئًا واحداً كانا يستطيعان عمله، شيء لا يستغرق ثانية وحدة أو اثنتين، إن أحداً لم ير سجادة بخارى في غرفة الشرفة قبل تلك الليلة.

– أعتقد أنك على حق، لكن ذلك لا يمنع أنه كان عليها أثر دم مسح في وقت ما.

– نعم، في منتصف الليل، فإن امرأة تحمل قدراً ووعاء تستطيع أن تهبط السلم وتمسح بقع الدم بسهولة تامة.

– لكن افرض أن أحداً رآها.

– لن يكون لذلك أهمية. لقد قلت إنها امرأة تحمل وعاءً وقدرًا، لكنني لو كنت قد قلت إنها شبح السيدة الباكية ذات الوعاء الفضي فإنها لم تكن لتثير دمعة أحد. إن ذلك ما فعلته أنت يا "**أسباسيا جلين**"، اليس كذلك؟ إنهم يطلقون عليك اسم المرأة ذات الوشاح، لكنك في تلك الليلة قمت بدور السيدة الباكية ذات الوعاء الفضي. وهذا هو السبب في أنك أسقطت كوبك الآن. لقد ملأك

الخوف عندما رأيت اللوحة، فقد كنت تشكين في أن أحداً كان يعرف. مدت الليدي "**تشارنلي**" يدها مشيرة إلى "**أسباسيا جلين**" بالاتهام ثم قالت:

– أنت "**مونك افورد**" إنني اتذكرك الآن جيداً. نهضت "**أسباسيا جلين**" وهي تصيح ووقفت في مواجهة السيد "**كوين**" ترتجف. قالت:

– إذن لقد كنت على حق، كان هناك شخص يعرف. لم أخدع بتلك الحيلة، هذا الادعاء بأنكم تكتشفون غموض الموضوع. لقد كنت هناك يا سيد "**كوين**". ولقد كنت هناك خارج النافذة تنظر إلى الداخل، لقد رأيت ما فعلناه أنا و"**هوجو تشارنلي**". كنت أعرف أن شخصًا ما ينظر إلينا، شخصا ما يراقبنا. ظننت لحظة أنني رأيت وجهًا في النافذة، وجهًا كان يرعبني طوال هذه السنوات ثم رأيت تلك اللوحة وأنت تنظر إليها من النافذة وعرفت وجهك لقد كنت تعرف السر طوال هذه السنوات فلماذا كسرت الصمت الآن؟ هذا هو ما أريد أن أعرفه. قال السيد "**كوين**":

– ربما لكي يرقد الموتى في سلام. وفجأة اندفعت "**أسباسيا جلين**" نحو الباب ثم قالت في صوت حاقد غاضب:

– افعلوا ما تشاؤون، أعرف أن هناك شهوداً على كلامي هذا، لكنني لا أهتم، لقد أحببت "**هوجو تشارنلي**" وساعدته في تلك الخطة الرهيبة. لكنه أبعدني عنه بعد ذلك، لقد مات في العام الماضي. تستطيعون أن تضعوا الشرطة في أعقابي إذا أحببتم، لكنهم لن يستطيعوا العثور عليّ، فإنني ممثلة عظيمة كما تعرفون. واصطفق الباب خلفها في عنف، في حين صاحت الليدي "**تشارنلي**" وهي تبكي:

– أوه يا زوجي العزيز. إنني أستطيع الآن العودة إلى قصر "**تشارنلي**" وأعيش مع ابني "**ديك**" هناك. أستطيع أن أقول له الآن إن أباه كان أعظم وأروع رجل في العالم. قال العقيد "**مونكتون**":

– دعيني أصحبك إلى منزلك يا ليدي "**تشارنلي**" لنناقش الأمر معًا. وعندما مرت بالسيد "**ساترثويت**" قبلته برقة وقالت:

– إنه من الرائع أن أعود للحياة مرة أخرى بعد هذا الموت الطويل. أشكرك ياسيد "**ساترثويت**". انصرفت من الحجرة و"**فرانك بريستو**" يتبعها بنظراته ثم قال في غموض:

– إنها مخلوقة رائعة، لكنها لم تعد مثيرة للاهتمام كما كانت من قبل.

– إنك تتكلم بروح الفنان.

– أظن أنني سأقابل بجفاء لو ذهبت مرة أخرى إلى قصر "**تشارنلي**". وأنا لا أحب أن أذهب إلى مكان لا يرحب بي فيه.

– يا عزيزي الشاب، لو أنك أقللت من التفكير في تأثيرك في الناس لأصبحت أكثر سعادة، وعليك أيضًا أن تتخلص من الفكرة التي تسيطر عليك بأن عراقة الأصل هي العامل الوحيد في عصرنا هذا. إنك شاب عبقري ووسيم وعليك أن تقول هذا لنفسك عشرات المرات في اليوم قبل أن تأوي إلى فراشك، وبعد ثلاثة أشهر اذهب إلى الليدي "**تشارنلي**". إنني رجل عجوز ولي تجارب في هذا العلم. ابتسم "**فرانك بريستو**" ابتسامة عريضة وقال:

– إني ممتن لك، ولابد لي أن أنصرف الآن. أشكرك على كل ما سمعته من أشياء غريبة هذه الليلة. ونظر حواليه ليلقي التحية على شخص آخر لكنه ذهل وهو يقول:

– إن صديقك قد ذهب، لكنني لم أره وهو ينصرف. إنه طائر غريب، أليس كذلك؟

– إنه يأتي ويذهب فجأة تمامًا، هذه هي إحدى ميزاته. إننا لا نراه وهو يأتي أو وهو يهبط، مثل "**هارلي كوين**" (المهرج)، إنه لا يُرى. وضحك "**ساترثويت**" بقوة من فكاهته.

حبل المشنقة

أهم الشخصيات :

"**هارلي كوين**" :زائر الليل، وهو شخص لا يراه أحد إلا حين يختار هو

"**ساترثويت**" : صديق السيد "**كوين**" وهو رجل ثرثار يتسلى بالفرجة على الحياة

"**دافيد كيلي**" : صاحب القصر. رجل ذكي. ولكنه ضعيف الشخصية

"**مادج كيلي**" : ابنة صاحب القصر

"**جيرارد أنسلي**" : أحد المدعوين. وزوج "**مابل**"

"**دوريس**" : صديقة "**مادج**"

"**روجر جراهام**" : خطيب "**مادج كيلي**" . ووالدته السيدة "**جراهام**"

"**ونكفيلد**" : مفتش الشرطة

حبل المشنقة

جلس السيد "**ساترثويت**" باسترخاء مع بقية المدعوين في قصر الداعي في الريف الإنجليزي. وأخذ يرقب الشباب من المدعوين وقد نوموا أحدهم تنويمًا مغنطيسيًا يسألونه أسئلة شخصية. كانت "**مادج كيلي**" قد حدثته بالتليفون منذ قليل تدعوه لقضاء بضعة أيام في قصر والدها لكنه اعتذر؛ لأنه كان يفكر في العودة إلى "**لندن**". وفجأة انتبه للوسيط المنوم يقول:

– لديَّ رسالة إلى السيد "**ساترثويت**"... السيد "**كوين**" يطلب إليه أن يتوجه إلى قصر "**لايدل**"، إلى "**مادج كيلي**". هرع "**ساترثويت**" وقد تملكه الذهول إلى التليفون ليتصل بـ"**مادج كيلي**" ويقول لها:

– يا عزيزتي "**مادج**"، لقد غيرت رأيي وقررت أن أقبل دعوتك، سوف أكون عندكم قبل العشاء. انتابه الانفعال بسبب ذلك الرجل الغامض "**هارلي كوين**"، وكيف أنه في هذه المرة اختار الوسيط المنوم ليبلغه الرسالة، لابد أن أحداثًا خطيرة سوف تقع في قصر "**مادج كيلي**"، ولابد أن له دورًا في هذه الأحداث المهمة وإلا لما طلب إليه السيد "**كوين**" أن يذهب إلى هناك. كان القصر كبيرًا فخمًا يملكه السيد "**دافيد كيلي**"، وهو هادئ ذو شخصية ضعيفة، ولا ينظر إليه الآخرون إلا على أنه جزء من أثاث القصر. ورغم ضعف شخصيته فقد كان خارق الذكاء والعبقرية حتى أنه ألف كتابًا في الرياضيات أثار به موجة إعجاب شديد. لكنه لم يكن كهؤلاء النوابغ الذين يلتف الناس حولهم حبًّا لهم: فالخدم لا يكترثون به، والضيوف لا يأبهون بأن يلقوا عليه التحية عند وصولهم. أما ابنته "**مادج**" فكانت شيئًا آخر، فهي على جانب كبير من الجمال، جمة النشاط، لها جاذبية خاصة. وقد استقبلت السيد "**ساترثويت**" قائلة وهي تفيض سعادة:

– يسرني أنك غيرت رأيك وحضرت، خاصة في مثل هذا الوقت.

– أوه، يجب أن يكون حادثًا سعيدًا على وشك أن يقع.

– نعم، فقد وصل فارس أحلامي.

– هل لي أن أسأل عن ذلك الشاب السعيد الحظ؟ أرجو أن يكون جديراً بك.

– ثق بأننا سنكون سعيدين، فلنا الهوايات نفسها، وآراؤنا متفقة في كثير من النواحي. وكنا منذ زمن طويل نخطط لحياتنا معاً.

– حسناً، لكن أي إنسان في العادة لا يستطيع استكشاف كنه شخص آخر، وهذا ما يضيف إلى الحياة جمالها. أطلقت "**مادج**" ضحكة مبتهجة وهي تصحبه إلى حجرته وقالت:

– على أية حال سوف أستمتع بالمغامرة معه. كان المدعوون قد اصطفوا حول مائدة العشاء حين هبط السيد "**ساترثويت**" إليهم وسمع "**مادج**" تقول دون كلفة:

– أوه، أسرع يا سيد "**ساترثويت**"، لقد كدنا نموت جوعاً. تقدم "**ساترثويت**" نحوها ليجد في صحبتها سيدة طويلة القامة رمادية الشعر ذات شخصية قوية وصوت واضح قالت له:

– كيف حالك يا سيد "**ساترثويت**"؟ تقدم "**ساترثويت**" لمصافحتها. لكنه فوجئ بالسيد "**كيلي**" يحييه فقال له:

– آسف يا سيد "**كيلي**" فإنني لم ألحظك.

– لا تكترث. فإن أحداً لا يلحظني عادة! ومضى العشاء على أحسن ما يرام، فالجميع يضحكون ويتسامرون. ووجد "**ساترثويت**" نفسه يجلس بين "**مادج**" وبين فتاة ذات شعر أسود قصيرة القامة صلبة الملامح عرف أن اسمها "**دوريس**"، أما على الناحية الأخرى من "**مادج**" فكان هناك شاب شديد الشبه بالسيدة ذات الشعر الرمادي حتى خيل إليه أنه ابنها وإلى جوار الشاب جلست فتاة، وحبس "**ساترثويت**" أنفاسه بفعل جمالها الأخاذ. كانت صورة للجمال مضافاً إليها غموض محبب يغري المرء دون أن يدري. وكانت الفتاة تصغي إلى "**دافيد كيلي**" لكن كان يبدو عليها أنها غائبة عن المكان، بدت لـ "**ساترثويت**" أكثر رقة ونعومة من أية فتاة رآها في حياته، جميلة القسمات، رائعة التكوين، وحين التقت نظراتها بنظراته آمن بأنها أكثر من فاتنة، كانت ساحرة بكل ما تحمل الكلمة من معنى،

كانت مثل تلك اللوحات التي يتخيلها الشعراء، تجمع بين المادية والروحانية. لكنها في نفس الوقت -ولدهشته- شعر نحوها بالشفقة والرثاء. ووجد نفسه يشبهها بطائر مكسور الجناح. استدار إلى "**مادج**" وسألها:

- من هذه السيدة التي إلى جوار والدك؟

- تقصد السيدة "**جراهام**؟ كلا، لابد أنك تقصد "**مابل**" ألا تعرفها؟ "**مابل أنسلي**"، من أسرة "**جلادسلي**" وهي منحوسة الحظ. أدهشته هذه الكلمات لكنه تذكر حقًّا أن شقيق هذه الفتاة انتحر، وغرقت لها أخت أخرى، وتوفي أخ ثالث في كارثة زلزال. نعم إنها عائلة منحوسة ولا شك. و"**مابل**" هذه هي الأخت الصغرى. مرت دقائق أفاق فيها من تأملاته وهو يشعر بيد "**مادج كيلي**" تضغط على يده تحت المائدة وسمعها تهمس له بإيماءة من رأسها:

- هذا هو. أجابها السيد "**ساترثويت**" بإيماءة من فهم ما تقصده، هذا هو إذن الخطيب "**جراهام**" الذي وقع عليه اختيارها، إنه ممتاز من ناحية المظهر فهو وسيم رقيق يتصرف بتلقائية محببة، لاشك في أنه سيكون الزوج المناسب لـ "**مادج**". انصرفت السيدات أولاً من قاعة الطعام، واستطاع "**ساترثويت**" أن يقترب من "**جراهام**" ويتحدث إليه. وعلى الرغم من اكتشافه الصفات التي تخيلها فيه إلا أنه لاحظ أن يد الشاب تهتز وهو يرفع الكأس إلى شفتيه، ثم لاحظ أيضًا شرود ذهنه وتشتت فكره. وقال "**ساترثويت**" لنفسه: "ترى ما الذي يشغل فكره بهذه الصورة؟". صعد "**ساترثويت**" إلى حجرته ليأتي بأقراص الهضم التي اعتاد أن يتناولها بعد كل وجبة، وفي أثناء هبوطه وسيره في الممر المؤدي إلى حجرة الصالون تسمرت قدماه أمام حجرة كتب عليها "حجرة الشرفة" وحيث كان الباب مواربًا وأشعة القمر تتسلل إلى الحجرة فقد استطاع "**ساترثويت**" أن يرى عند النافذة سيدة جالسة تميل بجسدها قليلاً وتعزف على أوتار قيثارة نغمات حالمة، ومع النغمات تصاعد صوتها الرقيق، وكان الصوت وملابسها الزرقاء الشفافة يحيلان ماحولها إلى شيء يشبه السحر. تقدم في الحجرة حتى اقترب منها ورأى وجهها لكنها لم تفزع. فقال:

– أرجو ألا أكون قد أفزعتك.

– كلا، تفضل بالجلوس. وجلس إلى جوارها على مقعد خشبي فقالت:

– هذه فعلاً ليلة ساحرة، ألا توافقني.. لقد طلبوا مني أن أحضر معي قيثارتي لأعزف عليها وبينما كنت أمر بهذه الحجرة، بهرني ضوء القمر وشعرت برغبة أن أكون وحدي، في الظلام وفي ضوء القمر.

– أرجو ألا أكون قد أفسدت هذا الجو عليك.

– كلا، كلا إن الهدوء العجيب يزيد من سحر الليلة ولقد التقيت في الغابة قبل حضوري إلى هنا برجل نحيل طويل القامة أسمر الوجه يشبه المهرج (**هارلي كوين**). أصغى "**ساترثويت**" إليها بدهشة وقال:

– آه!! هل حدثته؟

– كلا، لأنه اختفى بين الأشجار. إنه رجل عجيب. عرف "**ساترثويت**" من تقصد، إلا أنه لم يجد شيئًا يقوله سوى:

– إن الإنسان عندما يحس بالكآبة يجب أن ينفرد بنفسه..

– حقًّا، لكنني الآن على العكس أريد الانفراد بنفسي لأنني أشعر بالسعادة. كانت تتكلم في هدوء بصوتها العذب، لكن طريقتها كانت توحي بأن مفهومها عن السعادة يختلف عن مفهوم "**مادج كيلي**" مثلاً، لابد أن سعادة "**مابل أنسلي**" خليط من النشوة والمتعة. قال بحرص:

– لم أكن لأعرف أنه يمكن أن يكون المرء سعيداً إلى هذا الحد.

– نعم، ولا أنا. لكنني سأصبح أسعد شخص في الوجود بعد أيام، سوف أصبح كشخص عاش سنوات في كهف مظلم حافل بالأخطار ثم وجد نفسه خارج الكهف يطل على مدينة الأحلام التي طالما حلم بها سنوات طويلة.

– إن أشياء كثيرة تبدو رائعة قبل أن نصل إليها، وأقبح الأشياء قد تبدو رائعة ونحن نتطلع إليها من بعيد ونتمناها. توقف "**ساترثويت**" حين سمع وقع خطوات خلفه، والتفت ليرى رجلاً يوحي وجهه بالغباء، إنه نفس الرجل الذي لم يكترث له في أثناء العشاء. قال الرجل:

– إنهم ينتظرونك يا "**مابل**". نهضت "**مابل**" واقفة وقد اختفت كل علامات السعادة من وجهها وقالت:

– سوف آتي يا "**جيرارد**"، كنت أتحدث إلى السيد "**ساترثويت**". وتبعها "**ساترثويت**" وهي تسير إلى جوار زوجها "**جيرارد**" الذي بدت على وجهه أمارات الشوق والحرمان واليأس، مما دعا "**ساترثويت**" لأن يقول: "يا له من بائس، إنه مفتون بزوجته محروم منها في نفس الوقت". وفي حجرة الصالون، جلست "**مابل**" تتوسط المدعوين وبدأت تغني بصوتها العذب في صحبة نغمات قيثارتها والمدعوون يرددون المقطع الأخير من الأغنية. وبينما كان "**ساترثويت**" يفكر في أن يطلب منها أن تغني أغنيته المفضلة قطعت "**مابل**" غناءها وبدأت تغني هذه الأغنية فعلاً وهي تبتسم له.. أغنية "يا حمامتي الجميلة..". وانفض الجمع، وقدمت "**مادج**" إلى الجميع الكأس الأخيرة. في حين كان والدها "**دافيد كيلي**" يدق بأصابعه على القيثارة محاولاً أن يخرج منها لحنًا ما وهو شارد الذهن. وتبادل الجميع تحيات المساء وبدؤوا ينصرفون إلى حجراتهم وهم يتحدثون في وقت واحد. وأخيراً انصرف "**جيرارد**"، زوج "**مابل أنسلي**" تاركًا الآخرين خلفه. وخارج حجرة الصالون حيا "**ساترثويت**" والدة الشاب "**جراهام**" خطيب "**مادج**". وكان للطابق العلوي درجان، درج قريب والآخر في نهاية الممشى، وصعدت السيدة "**جراهام**" وابنها إلى حجرتيهما في الطابق العلوي متخذين الدرج القريب وهو نفس الدرج الذي سبقهما إليه "**جيرارد أنسلي**". قالت "**مادج**" مخاطبة "**مابل**":

– من الأفضل أن تأخذي قيثارتك من حجرة الصالون يا "**مابل**" خشية أن تنسيها عند رحيلك غداً، خاصة أنك تنوين الرحيل في ساعة مبكرة. وسمع "**ساترثويت**" الفتاة "**دوريس**" التي جلست إلى جواره على العشاء وهي تقول له:

– هيا بنا يا عزيزي، لقد حان وقت النوم. أمسكت "**مادج**" ذراعه الأخرى وسار ثلاثتهم نحو السلم الذي في نهاية الممشى وضحكات "**دوريس**" ترتفع مقهقهة. وفي نهاية الممشى وقفوا برهة في انتظار "**دافيد كيلي**" الذي لحق بهم

وهو يطفئ الأنوار واحداً بعد الآخر ويتقدم نحوهم. وفي النهاية صعد الأربعة إلى حجرات نومهم. وفي صبيحة اليوم التالي، بينما كان "**ساترثويت**" يستعد للهبوط إلى قاعة الطعام لتناول الإفطار جاءته "**مادج**" بوجه ممتقع وجسدها كله ينتفض قالت:

– أوه، يا سيد "**ساترثويت**"، يا له من أمر مريع.

– ماذا حدث يا عزيزتي؟

– شنقت "**مابل أنسلي**" نفسها الليلة الماضية في باب غرفتها، يا للفظاعة! هدأ "**ساترثويت**" من فزعها وانهيارها ثم أسرع يهبط الدرج إلى الطابق الأول حيث وجد السيد "**دافيد كيلي**" متوتراً عصبياً. ثم قال له:

– لقد اتصلت بمركز الشرطة بالتليفون يا سيد "**ساترثويت**"، قال الطبيب الذي فحصها الآن إنها ماتت، لابد أن شقاءها دفع بها إلى الانتحار.

– نعم، نعم، هذا ما يبدو، لابد أن الأمر كذلك.. هل يمكن أن أراها؟

– أوه، بالتأكيد، لقد نسيت أنك تهتم بمثل هذه الأمور الغامضة. صعدا معًا درجات السلم القريب وهناك في بداية الدور الثاني كانت حجرة "**روجر جراهام**" وفي مواجهتها حجرة والدته السيدة "**جراهام**"، أما باب الحجرة الثانية فكان مواربًا تخرج منه سحابة دخان خفيفة. ساورت الدهشة عقل "**ساترثويت**" فلم يكن يخطر ببال أحد أن السيدة "**جراهام**" يمكن أن تدخن في الصباح الباكر حتى يملأ الدخان الحجرة وينساب منها إلى الخارج. تقدم مع "**دافيد كيلي**" في الممشى حتى الباب الأخير وفتحه "**كيلي**" ودخل وخلفه "**ساترثويت**". كانت حجرة واسعة توحي بأنها حجرة رجل وفي جدارها الأيسر باب أوسط يفضي إلى حجرة ملحقة. ومن أعلى الباب الثاني لهذه الحجرة كان هناك حبل يتدلى، أما فوق الفراش فقد رقدت جثة "**مابل أنسلي**" هامدة بلا حياة يدعو منظرها للرهبة. لبث "**ساترثويت**" لحظات يتأمل المرأة التي كانت قبل بضع ساعات تفيض بالحياة والحيوية والجمال، كانت لا تزال ترتدي ثوبها الأزرق الجميل. ثم تطلع إلى الحبل المدلى من الباب، ثم تحولت نظراته إلى الباب الأوسط وقال لـ "**دافيد كيلي**":

– هل كان هذا الباب الأوسط مفتوحًا؟

– نعم، هذا ما قالته الخادمة.

– ألم يسمع زوجها "**جيرارد**" شيئًا في أثناء نومه في هذه الحجرة المجاورة لحجرتها؟

– قال إنه لم يسمع شيئًا.

– هذا عجيب. أين هو الآن؟

– في الطابق الأول مع الطبيب. هبطا إلى الطابق الأول ليجدا المفتش "**ونكفيلد**"، الذي يعرفه "**ساترثويت**" من قبل، في طريقه مع الطبيب إلى حجرة القتيلة. وبعد فترة عاد المفتش وطلب إلى جميع المدعوين أن يلتقوا به في حجرة الصالون. كانت "**دوريس**" تمسح دموع عينيها بخوف، أما "**مادج**" فقد تمالكت أعصابها، وكذلك كانت السيدة "**جراهام**" برزانتها وهدوئها على نقيض ابنها "**روجر**" الذي بدا عليه التوتر والاضطراب، أما "**دافيد كيلي**" فكان مهملاً كما هي عادته. وبالنسبة إلى "**جيرارد أنسلي**" فكان الزوج الحزين الذي انتحى ركنًا في الحجرة وقد بدا عليه الشرود والذهول. وعلى الرغم من الهدوء البادي على "**ساترثويت**" إلا أن الانفعال كان يعتمل في داخله، وهو يعرف أن عليه دوراً يجب أن يؤديه في هذه المأساة. دخل المفتش والطبيب ثم أغلق باب الحجرة وقال:

– سوف أبدأ بالتحدث إلى السيد "**أنسلي**"، زوج القتيلة، أرجوك يا سيد "**أنسلي**" أن تخبرني إن كنت قد سمعت زوجتك تهدد بالانتحار. كاد "**ساترثويت**" يتكلم إلا أنه آثر الصمت، في حين أجاب "**أنسلي**" بصوت متردد:

– كلا، لم أسمعها تهدد بالانتحار.

– هل عرفت أنها تعسة في حياتها لسبب ما؟

– كلا، لم أعرف أنها كانت تعسة.

– ألم تشكُ إليك شعوراً بالكآبة والانقباض والتوتر؟

– كلا.

– هل يمكنك أن تصف لنا أحداث ليلة الأمس؟

– توجهنا جميعًا إلى حجراتنا للنوم، وقد استغرقت في النوم فلم أحس بشيء ولم أسمع شيئًا، ولم أستيقظ إلا على صراخ الخادمة في الصباح، فاسرعت إلى الحجرة المجاورة لأجد زوجتي... لأجدها..

– نعم، لا داعي لوصف ما رأيت، لكن أين رأيت زوجتك لآخر مرة ليلة الأمس؟

– هنا في حجرة الصالون.

– هنا؟

– نعم، لقد كنت أنا أول من انصرف إلى حجرته، وتركت الجميع يتبادلون الحديث قبل انصرافهم.

– ألم تر زوجتك بعد ذلك؟ هل حييتها تحية المساء عندما دخلت إلى فراشها؟

– يبدو أنني كنت مستغرقًا في النوم عندما وصلت إلى حجرتها.

– لكنها صعدت بعدك فورًا، أليس كذلك يا سيد "**كيلي**"؟ توجه بسؤاله إلى "**دافيد كيلي**" الذي أومأ موافقًا، لكن "**أنسلي**" أصر على قوله:

– لم تكن زوجتي قد وصلت إلى حجرتها رغم مرور نصف ساعة على وصولي إلى حجرتي. توجه المفتش إلى السيدة "**جراهام**" بالسؤال التالي:

– هل دخلت القتيل حجرتك لتتبادل معك الحديث قبل أن تأوي إلى حجرتها يا سيدة "**جراهام**"؟ ترددت السيدة "**جراهام**" لحظة قبل أن تقول:

– كلا، لقد دخلت حجرتي واغلقت الباب من الداخل فلم أسمع شيئًا. عاد المفتش إلى السيد "**أنسلي**" يسأله قائلاً:

– وأنت يا سيدي، تقول إنك لم تر شيئًا ولم تسمع شيئًا، هل كان الباب الأوسط الذي يفصل بين حجرتك وحجرة زوجتك القتيل مفتوحًا؟

– أظن ذلك. ولكن في استطاعة زوجتي ان تدخل حجرتها من الباب الآخر الذي يفتح على الممشى مباشرة.

– وحتى لو دخلت من الممشى فيجب ان تكون قد سمعت أصواتًا معينة، صوت حشرجة أو ألم أو احتضار؟

– كلا، كلا، لم أسمع شيئًا. وهنا لم يستطع "**ساترثويت**" أن يصمت أكثر من ذلك، فقال:

– آسف يا سيدي المفتش، أرى أنك تتجه في طريق خاطئ، ذلك أن "**مابل أنسلي**" لم تنتحر بل قتلت... أنا واثق بذلك. خيم الصمت على الحاضرين... إلى أن قال المفتش:

– وما الذي يدعوك إلى هذه الثقة؟

– شعوري الخاص.

– لكن يجب أن يكون هناك مفهوم أكثر من مجرد الشعور. قال "**ساترثويت**" لنفسه: "بالتأكيد، هناك رسالة "**كوين**" الخفية لي للحضور إلى هنا". لكنه قال بصوت مسموع:

– عندما كنت أتحدث مع القتيلة قالت لي إنها سعيدة جدًّا، وإنها سوف تصبح في خلال أيام قليلة أسعد مخلوق في الوجود. فكيف لها أن تنتحر بعد ذلك؟ ثم إنها قد عادت إلى حجرة الصالون لتأتي بقيثارتها حتى لا تنساها عندما تغادر القصر في ساعة مبكرة من الصباح... هل هذا سلوك امرأة تقصد أن تنتحر في نفس الليلة؟

– كلا بالتأكيد. ولكن يا سيد "**كيلي**"، هل أخذت القتيلة قيثارتها معها إلى حجرة نومها؟ أجاب "**دافيد كيلي**" بعد تفكير:

– نعم، أظن ذلك، لقد صعدت الدرج وهي تحمل القيثارة في يدها. أعتقد أنني رأيتها تحملها وهي تنعطف في منحنى السلم قبل أن أطفئ الأنوار. صاحت "**مادج**" وهي تشير إلى منضدة قريبة:

– يا للعجب، لكن القيثارة مازالت هنا في حجرة الصالون، على هذه المائدة! ضغط المفتش على الجرس يستدعي أحد الخدم وهو يقول:

– هذا غريب... أرجو أن ترسلوا إلينا الخادمة المخصصة لتنظيف الصالون. وحين جاءت الخادمة كانت واثقة بإجابتها، إن أول شيء رأته في حجرة الصالون عندما جاءت لترتيبها في الصباح هي القيثارة. صرف المفتش الخادمة وقد ظهرت

عليه أمارات الحيرة، وطلب أن ينفرد بالسيد "**ساترثويت**"، وأمر الآخرين الا يبارحوا القصر. قال "**ساترثويت**" بعد أن انصرف الآخرون وأغلق الباب عليهما:

– إنني متأكد يا سيدي المفتش أن خيوط القضية قد باتت بين أصابعك.

– إنك على حق يا سيد "**ساترثويت**"، فهذه السيدة لم تنتحر وإنما قتلها أحدهم. إن هناك بعض الظواهر التي أثارت ريبة الطبيب. وبعد الفحص الدقيق تكشف لنا أن الحبل الذي وجدناه حول عنق القتيل ليس هو الحبل الذي خنقت به. لقد خنقها حبل آخر أقل سمكًا بكثير، وبعد أن تم خنقها أحيطت رقبتها بالحبل الآخر المطل من باب حجرتها كي يبدو الأمر على أنه انتحار.

– ولكن من الذي...؟

– هذه هي المعضلة. فمن هو القاتل؟ ما رأيك في الزوج الذي كان نائمًا في الحجرة المجاورة لها، هذا الزوج الذي لم يلق على زوجته تحية المساء والذي لم يسمع أو يحس بشيء؟ أظن أن الشكوك تتجه نحوه، ويجدر بنا أن نعرف كيف كانت الحياة الزوجية تسير بينه وبينها. هل يمكنك أن تساعدنا يا سيد "**ساترثويت**"؟

– أرجوك يا سيدي المفتش ألا تزج بي...

– إن هذه ليست أول جريمة يكتنفها الغموض وتساعد على حل لغزها، تلك موهبة معروفة عنك. شعر "**ساترثويت**" بالزهو فقال:

– سوف افعل ما في وسعي يا سيدي المفتش. هل يمكن أن يكون القاتل "**جيرارد أنسلي**"، الزوج البائس الحزين المحروم؟ لقد كان يحبها من شغاف قلبه، وكان هذا الحب يشقيه، والشقاء في الحب يدفع المحب اليائس إلى أعمال يائسة. لكن هناك حقيقة أخرى، ماذا عن وصف "**مابل**" لنفسها بأنها كإنسان ظل في كهف مظلم سنوات وسوف يخرج إلى النور والسعادة والبهجة. فإذا كان "**أنسلي**" صادقًا فيما قال من أن زوجته لم تعد إلى حجرة نومها بعد مضي نصف ساعة على وصوله هو لحجرته، فكيف يكون ذلك و"**دافيد كيلي**" رآها تصعد إلى الطابق الثاني بعد أن انصرف الجميع من الصالون. إن هذا الطابق به حجرتان أخريان: حجرة السيدة "**جراهام**"، وحجرة ابنها "**روجر جراهام**". لكن السيدة "**جراهام**"

أنكرت أن "**مابل**" دخلت حجرتها للتحدث إليها. إذن ليس هناك سوى "**روجر**". لكن "**روجر**" واقع في غرام "**مادج كيلي**" وسوف تعلن خطبتهما قريبًا. وفجأة تذكر "**ساترثويت**" سحب الدخان التي كانت تتسرب من حجرة السيدة "**جراهام**"، وتساءل عن سبب ذلك وهرع إلى حجرة السيدة "**جراهام**" ليجدها خالية، فأغلق الباب من الداخل. دار بنظراته في أنحاء الحجرة فجذبت المدفأة انتباهه. وجد كومة رماد تدل على أن أوراقا قد أحرقت حديثًا. راح يعبث في الرماد حتى عثر على قصاصات لم تحترق تمامًا. تناولها برفق وقرأ فيها عبارات متناثرة تقول:

"لا يمكن للحياة أن تصبح أكثر جمالاً وروعة مما هي الآن يا عزيزي "**روجر**".. إنني لم أكن أعلم.. لقد كانت حياتي بأكملها كابوسًا مزعجًا حتى التقيت بك يا"**روجر**" أظن أن "**جيرارد**" قد فهم كل شيء... إنني آسفة، فماذا في إمكاني أن أصنع... ليس في هذه الحياة شيء حقيقي سواك. سوف نسعد بالحياة معًا في القريب".

"ماذا تنوي أن تخبره به في قصر "**لايدل**" يا "**روجر**"؟ إن ما كتبته غامض... لكنني لا أخشى شيئًا". وضع "**ساترثويت**" هذه القصاصات بعناية في ظرف التقطه من فوق منضدة الكتابة ثم تقدم نحو الباب وفتحه ليجد نفسه في مواجهة السيدة "**جراهام**". ولما كان الهجوم هو أفضل وسيلة للدفاع فإنه قال:

– كنت أنقب في حجرتك يا سيدة "**جراهام**" ولقد عثرت على رسائل لم تحترق تمامًا. ظهر الفزع على وجه المرأة. لكنها استردت رباطة جأشها، في حين أردف "**ساترثويت**":

– خطابات غرامية موجهة من السيدة "**أنسلي**" إلى ابنك "**روجر**". ترددت السيدة "**جراهام**" لحظة قبل أن تقول:

– هذه حقيقة تمنيت لو يمكنني إنكارها، ومن ثم فقد رأيت من الأفضل أن أحرقها.

– ولماذا؟

– لأن ابني سوف يتزوج "**مادج كيلي**" قريبًا، ولو عرف أحد بأمر هذه الخطابات بعد انتحار المسكينة "**مابل**" فسوف تثير فضيحة لا داعي لها.

– ولماذا لم يقم ابنك بإحراقها؟ لم تتفوه بحرف. واستغل "**ساترثويت**" هذه الفرصة وتابع قائلاً:

– إنك أنت التي عثرت على هذه الخطابات في حجرته، فجئت بها إلى حجرتك لإحراقها. فما السبب يا سيدة "**جراهام**"؟ هل أنت خائفة من شيء؟

– إنني لا أخاف شيئًا يا سيد "**ساترثويت**"، فما الذي يخيفني؟

– أن يلقى القبض على ابنك بتهمة قتل "**مابل أنسلي**"؟ امتقع وجهها. فأسرع يقول:

– لقد سمعت "**مابل أنسلي**" تدخل حجرة ابنك في الليلة الماضية، وربما أخبرها بحبه لـ "**مادج كيلي**" وبنيته بالزواج بها، فثارت عليه وحدثت بينهما مشاجرة عنيفة.

– هذا غير صحيح. كان قائل هذه الكلمات هو "**روجر جراهام**" الذي دخل الحجرة دون أن يشعرا به... وقد قال:

– حسنًا يا أماه، لا تشغلي بالك، هيا بنا إلى حجرتي يا سيد "**ساترثويت**".

وما إن أصبحا داخل حجرة الشاب حتى أغلق "**روجر**" الباب وقال:

– اسمع يا سيدي إنك تشك في أنني قتلت "**مابل أنسلي**"، تشك في أنني قتلتها هنا ثم حملتها بعد ذلك إلى حجرتها وعلقتها من رقبتها في باب حجرتها بعد أن استغرق الجميع في النوم، أليس كذلك؟ حدق إليه "**ساترثويت**" بدهشة وقال:

– كلا، لا أظن ذلك.

– هذا رائع، ذلك لأنني لا أستطيع قتل "**مابل**"، فقد كنت مدلهًا في حبها أو هكذا خيل إليّ؛ لأنني في الحقيقة لا أعرف، هل كان حبًا أم وهمًا. لكنني أميل إلى "**مادج**" وكان هذا حالي منذ أمد بعيد، وسوف تكون خير زوجة لي أما "**مابل**" فهي من نوع مختلف تمامًا ولا أعرف ما أقول. هل كنت أخشاها هل كنت

أرزح تحت وطأة سحرها؟ أوما "**ساترثويت**" إيماءة من فهم، وتابع "**روجر**" قوله:

– وأردت أن أضع حداً لعلاقتي بـ "**مابل**" وقد كنت أنوي أن أنهي معها الأمر في الليلة الماضية.

– لكنك لم تفعل.

– كلا، وأقسم لك على هذا فإنني لم أشاهدها بعد أن حييتها تحية المساء في حجرة الصالون.

– إنني أصدقك. وانصرف من الحجرة وهو يؤكد لنفسه أن "**روجر جراهام**" ليس هو القاتل، لقد كان يريد أن يهرب منها لا أن يقتلها. لقد تحقق أخيراً أنه واقع تحت سحرها وقرر أن يتحرر من هذا السحر حتى يستطيع أن يتجه إلى "**مادج**" التي يحبها على أساس راسخ. هبط "**ساترثويت**" إلى حجرة الصالون ليجدها خالية، لكنه لاحظ وجود قيثارة "**مابل أنسلي**" على المنضدة، فتناولها وأخذ يداعب أوتارها بذهن شارد، رغم أنه لا يجيد العزف إلا أن أذنه أدركت وجود نغمة نشاز واضحة في الوتر الأول. وعلى الرغم من محاولته أن يضبط الوتر إلا أنه بقي على نشازه. وفجأة تقدمت منه "**دوريس**" ورمقته بنظرة عتاب قائلة:

– أوه، هذه قيثارة "**مابل أنسلي**" التعسة!

– هل يمكنك أن تضبطي هذا الوتر النشاز؟

– نعم، بالتأكيد. وتناولت منه القيثارة وما إن ضغطت على مفتاح ضبط الوتر حتى انقطع لدهشتها، وصاحت وهي تتفحصه:

– يا الله، إنه ليس الوتر المفروض أن يوضع في هذا المكان، إنه من نوع آخر وليس هذا مكانه. ولهذا انقطع تحت ضغطة خفيفة. يالغباء بعض الناس.

– نعم، يا لغبائهم حين يظنون أنهم عباقرة أفذاذ. نظرت إليه "**دوريس**" في تساؤل بسبب نبرة صوته الغريبة. لكن "**ساترثويت**" أخذ منها الوتر المقطوع واتجه إلى المكتبة حيث وجد السيد "**دافيد كيلي**". فقال له وهو يناوله الوتر:

– خذ هذا يا سيد "**كيلي**".

– ما هذا؟

– وتر مقطوع، ماذا فعلت بالوتر الأصلي يا سيد "**كيلي**"؟

– الوتر الأصلي؟

– نعم، ذلك الذي خنقت به "**مابل أنسلي**". لقد كنت ذكيًّا في ارتكاب هذه الجريمة، ارتكبتها بسرعة قصوى، في اللحظات التي كنت أسير فيها مع "**دوريس**" و"**مادج كيلي**" على السلم الآخر في نهاية الممشى، أليس كذلك؟ لقد رجعت "**مابل**" إلى حجرة الصالون لتأخذ قيثارتها، في حين كنت أنت قد انتزعت الوتر في أثناء مداعبتك للقيثارة عند انصرافنا من الحجرة. وفي اللحظة التي دخلت فيها "**مابل**" فاجأتها من الخلف وخنقتها بالوتر، ولا شك في أن حشرجتها قد ضاعت في رنين ضحكات "**دوريس**" المجلجلة ونحن في الممشى. وبعد ذلك خرجت لتطفئ الأنوار واحداً بعد الآخر ولحقت بنا، وبعد أن مرت بضع ساعات عدت إلى حجرة الصالون وحملت الجثة وعلقتها في باب حجرتها. ثم وضعت وترًا آخر في القيثارة. لكنك لم تكتشف أنك وضعت وترًا مختلفًا عن الوتر الأصلي. هذه هي الغلطة التي كشفت أمرك. لم يتفوه "**دافيد كيلي**" بحرف. فأردف "**ساترثويت**":

– لكن ما الدافع لارتكابك هذه الجريمة؟ وفجأة أطلق "**دافيد كيلي**" ضحكة رهيبة صعق لها "**ساترثويت**"، ثم قال:

– لقد كان الأمر يبدو بسيطًا جدًّا، هذا هو الدافع ثم هناك سبب آخر، إنه الناس الذين لا يكترثون بوجودي، ومن ثم أردت أن أسخر منهم جميعًا طالما لا يهتمون بأمري. وأطلق ضحكته المجنونة مرة أخرى، في حين كان المفتش "**ونكفيلد**" يدخل الحجرة.

استيقظ السيد "**ساترثويت**" في اليوم التالي في مقصورته بالقطار المتجه إلى "**لندن**" ليفاجأ برجل طويل القامة نحيل الجسد أسمر البشرة، فقال له بلادهشة:

– السيد "**كوين**"؟

– نعم.

– إنني أشعر بالخجل من نفسي إذ فشلت في مهمتي؛ لأنني لم أستطع إنقاذها.

ـ لكنك اكتشفت القاتل.

ـ نعم، هذا صحيح. فقد كان من الممكن أن يتهم أحد الموجودين بقتلها ومن ثم فقد أنقذته من الشنق ظلمًا. ولكن هذه المرأة الرائعة الجمال... الساحرة.

ـ هل الموت هو أسوأ ما يمكن أن يحدث للبشر؟

ـ لا أعرف.. ربما لا.

ـ لو أنها عاشت ألم يكن محتملاً أن تثير فضيحة تنغص عليها حياتها وحياة زوجها وحياة "**مادج كيلي**" و"**روجر جراهام**"؟

ـ نعم، هذا صحيح. ولكن... وحين رفع "**ساترثويت**" بصره لم يجد للسيد "**كوين**" أثرًا.

مجرم بلا جريمة

أهم الشخصيات:

"**هارلي كوين**" :زائر الليل، وهو شخص لا يراه أحد إلا حين يختار هو
"**ساترثويت**" :صديق السيد "**كوين**" وهو رجل ثرثار يتسلى بالفرجة على الحياة
الدوقة "**ليث**" : سيدة ثرية. صديقة "**ساترثويت**"
"**نوامي كارلتون سميث**" : قريبة الدوقة "**ليث**"
السيد "**توملنسون**" : قاض هندي متقاعد
السيد "**وايز**" : مخرج مسرحي
السيدة "**روزينانان**" : ممثلة مشهورة
السيد "**جود**" : زوج السيدة "**روزينا نان**"
"**جيرارد**" : مؤلف مسرحي. خطيب "**نوامي**"

مجرم بلا جريمة

كان السيد "**ساترثويت**" مغرمًا بالاختلاط بالأوساط الثرية، ليصادق ذوي الألقاب والثروات. ومن ثم فقد شعر بالسرور حين رجته الدوقة "**ليث**" أن يرافقها في رحلة الصيف إلى جزيرة "**كورسيكا**" . كانت متقدمة في العمر مثله، ترتدي ملابس سوداء ترصعها جواهر ثمينة ورثتها عن عائلتها. ولقد كانت هذه الجواهر مثبتة في ملابسها بكثرة حتى قال بعضهم متفكها إن خادمتها كانت تلقي بالمجوهرات عليها فتثبت كل قطعة في ملابسها كيفما اتفق. وعلى الرغم من ثرائها فقد كانت حريصة على إنفاق مالها. فهي تطلب إلى أصدقائها أن يصحبوها معهم في سياراتهم اقتصاداً لسيارتها، ثم إنها كانت تساوم في كل شيء تشتريه. لكن ماكان يخفي هذا العيب هو تبرعها بمبالغ ضخمة للجمعيات الخيرية فضلاً على أنها كانت تعامل مستأجريها بالرأفة. ولما كانت أسعار شاطئ "**الريفييرا**" مرتفعة فقد اقترحت على السيد "**ساترثويت**" قضاء فترة من الصيف في جزيرة "**كورسيكا**" حيث الأشياء رخيصة والأماكن السياحية وفيرة. جلست "**الدوقة**" في بهو الفندق المتواضع في الجزيرة مع "**ساترثويت**" بعد وصول السفينة بقليل وبعد أن تناولا الإفطار وشربا القهوة، رفعت منظارها إلى عينيها وأدارت نظرها في الجالسين، ثم هتفت قائلة:

– يا للسماء! إنني أدفع أي مبلغ إذا لم تكن من أراها الآن هي "**نوامي كارلتون سميث**"! واتجهت ببصرها إلى فتاة كانت جالسة وحدها بجوار النافذة وقد ارتدت ثوبًا قاتم اللون، وقد بدا شعرها متهدلاً بلا عناية. وقال "**ساترثويت**" متسائلاً:

– هل هي فنانة؟

– نعم، أو هذا ما تدعيه، فأنا أعرف أنها تحيا حياة فقر في مكان ما، لكن كبرياءها أعظم من كبرياء إبليس وغرورها وراثي كعائلة أمها التي كانت ابنة عمي مباشرة. إنها دائمًا تؤذي نفسها، فقد عقدت خطبتها على صعلوك ينتحل تأليف

المسرحيات وقرض الأشعار وما شابه هذا. ولما لم يجد من يشتري إنتاجه سرق مجوهرات من أشخاص لا أعرفهم وقبض عليه وحكم عليه بالسجن خمسة أعوام على ما أظن. لابد أنك تتذكر هذه القضية فقد كانت في الشتاء الماضي فقط.

- إني لا أذكرها فلم أكن في "**إنجلترا**". وعادت "**الدوقة**" إلى التحديق بمنظارها إلى اتجاه الفتاة ثم قالت:

- يبدو لي أن الفتاة تعاني متاعب جمة وهذا لا يرضيني أبداً. ونهضت واقفة واتجهت نحو الفتاة وربتت كتفها وقالت:

- "**نوامي**"، ألا تذكرينني؟ وقفت الفتاة دون حماس وقالت:

- أتذكرك يا "**دوقة**" ولقد رأيتك عند حضورك إلى هذا الفندق وخيل إليَّ أنك لن تعرفيني. كان صوتها فاتراً بطريقة ملحوظة. لكن "**الدوقة**" لم تعر ذلك التفاتاً وقالت:

- عندما تنتهين من تناول طعامك تعالي إلى الشرفة. وبعد لحظات انضمت إليها وجلست على مقعدها بفتور واستهتار، وعن قرب استطاع "**ساترثويت**" أن يتأملها، ورأى أنها لا تتمتع بالجمال لكن سماتها توحي بالذكاء، وإن خالطتها معالم الشقاء... قالت "**الدوقة**":

- حسناً يا "**نوامي**". كيف تسير حياتك؟

- أوه، لا أعرف، أتفرج على الدنيا فقط.

- هل ترسمين لوحات؟

- قليلاً.

- هل لي أن أرى بعضها؟ ابتسمت "**نوامي**" بفتور للهجة "**الدوقة**" الآمرة، لكنها أطاعت وعادت بعد لحظات ومعها مجموعة من لوحاتها الحديثة أخذت تعرضها وهي تقول:

- قولي رأيك في اللوحات على الرغم من أنني أعرفه مقدماً. قالت "**الدوقة**" وهي تتفقد اللوحة الأولى:

– ما هذا، هل هي معدولة أو مقلوبة؟ أما هذه فما أفظعها. وقال "**ساترثويت**" عندما رأى اللوحة الثالثة:

– هذه اللوحة تثير الرعدة في نفسي. ابتسمت "**نوامي**" وقالت:

– هذا مديح للوحة؛ لأن هذا هو ما قصدته منها فعلاً. كانت اللوحة تصور مجموعة من الفواكه الفاسدة تعبث فيها الديدان. أما الرسم فكان متقنًا يوحي بموهبة فنية حقيقية. فاندفع "**ساترثويت**" يقول:

– ما ثمن هذه اللوحة؟

– الواحدة بخمسة جنيهات، أي واحدة منها.

– إنني أريد لوحة الفواكه هذه بالذات.

– اختيارك في محله، فهي أفضلها جميعًا. قالت ذلك بلهجة مختلفة، لهجة توحي بالاحترام والتقدير لـ "**ساترثويت**" لما يتمتع به من ذوق. وقال هو:

– إنني واثق بأن هذه اللوحة سوف تساوي ثروة كاملة بعد سنوات معدودات، ذلك إذا رأيت أن أبيعها. تضاعف احترام الفتاة له كما أنبأت بذلك نظراتها. وقالت "**الدوقة**":

– لن أقتنع مطلقًا بأن هذا الأسلوب في الرسم هو نوع من الفن. إنني سأمكث بضعة أيام هنا يا "**نوامي**"، فهل تصحبينني لمشاهدة الجزيرة في سيارتك، هذا إذا كان لديك سيارة؟

– نعم، ولكنها سيارة صغيرة ذات مقعدين.

– إنها تصلح، فلابد أن يكون بها مقعد خلفي يستطيع السيد "**ساترثويت**" أن يجلس فيه. وارتعدت فرائص "**ساترثويت**" وهو يتذكر الطرق الجبلية الشاهقة الارتفاع. لكن الفتاة أسرعت تقول:

– إن السيارة لن تتحمل ثلاثة أشخاص فهي قديمة والطريق جبلي صاعد، تستطيعين يا "**دوقة**" أن تستأجري سيارة من المدينة.

– أستأجر سيارة. يا له من رأي. ترى من هذا السيد ذو الوجه الأسمر الذي

هناك؟ لقد رأيته قادمًا في سيارة كبيرة بأربعة مقاعد.

– السيد "**توملنسون**". وهو قاضٍ هندي متقاعد.

– يبدو إنسانًا لطيفًا مهذبًا. سوف أتعرف إليه فيما بعد. وفي المساء وجد "**ساترثويت**" "**الدوقة**" وقد ارتدت ثيابها السوداء المرصعة بالجوهرات الكبيرة تتحدث إلى صاحب السيارة في بهو الفندق. أشارت إليه أن يقترب قائلة:

– تعال يا سيد "**ساترثويت**"، إن السيد "**توملنسون**" يخبرني بأشياء عجيبة حقًّا. بالإضافة إلى أنه تطوع باصطحابنا في رحلة جبلية بسيارته صباح الغد. رمقها "**ساترثويت**" في أعجاب، في حين استطردت هي قائلة:

– هيا بنا نتناول طعام العشاء وسوف يجلس السيد "**توملنسون**" إلى جوارنا ويستأنف حديثه المشوق عن "**الهند**". وبعد العشاء انصرف السيد "**توملنسون**" وقالت "**الدوقة**" معلقة:

– يا له من رجل مهذب كريم!

– ويمتلك سيارة كريمة ذات أربعة مقاعد. سرت "**الدوقة**" لمداعبته، ثم قالت:

– سوف تنضم إلينا "**نوامي**" أيضًا بسيارتها. إن هذه الفتاة تحتاج إلى من يصحبها ليفرج من كربها ويخرجها عن أنانيتها، فهي لا تهتم إلا بنفسها.

– إن رأيي هو العكس، ويخيل إليَّ أنها مهتمة إلى أقصى حد بشيء معين، لكنها لا تعرف ماذا تفعل، ومن ثم يبدو عليها اليأس.

– أوه، لا تكن أحمق، دعك منها الآن ولنتكلم في ترتيبات رحلة الغد. بدأت الرحلة في صباح اليوم التالي، وقد تطوعت "**نوامي**" بأن تكون دليل الرحلة؛ لأنها كانت قد أمضت في الجزيرة بضعة أشهر وذهب "**ساترثويت**" إلى حيث كانت في سيارتها وسألها:

– هل أستطيع حقًّا أن أركب معك؟

– إن السيارة الأخرى ستكون أكثر راحة لك، بالإضافة إلى أن ركوب سيارتي خطر في هذا الطريق الوعر.

– ولكن طالما ستركبينها فلم لا أركبها أنا؟ نظرت إليه بتفحص وقالت:

– ولماذا تصر على أن تركب معي؟ وتساءل، هل يقول لها إن تصرفاتها وأسلوبها ونظرات عينيها، كل هذا يوحي بعزمها على الانتحار؟ وإنها قد تنتهز الفرصة لتنتحر بطريقة سيظنها الجميع مجرد حادث بالقضاء والقدر. كلا، إنه لن يقول هذا فقد تكون هذه مجرد خيالات. قال لينقذ الموقف:

– حسنًا، ربما سمحت لي بأن أصحبك في رحلة العودة؟ أطلقت "**نوامي**" ضحكة عجيبة وقالت:

– هذا إذا شاءت الأقدار أن نعودا

*****

بدأت الرحلة وسيارة "**نوامي**" في المقدمة، والسيارة الأخرى تتبعها بسرعة لتلحق بها في الطريق الصاعد طوال الوقت، وكلما ازدادوا صعوداً ازداد الهواء برودة. وفجاة أوقفت "**نوامي**" السيارة ونظرت خلفها ثم قالت:

– ها قد وصلنا إلى نهاية العالم واظن أن الطقس سيسوء بعد قليل. اتجه الجميع سيراً على الأقدام إلى قرية في قمة الجبل، قرية تتكون من عشرة أكواخ وفي مدخلها لوحة كتب عليها "**كوتي شيافيري**" قالت "**نوامي**" شارحة:

– هذا هو اسم القرية الرسمي لكنها تسمى (نهاية العالم). وسارت خطوات قليلة حتى لحق بها "**ساترثويت**" إذ كانت واقفة أمام حاجز جبلي ضخم، قالت:

– هذا هو نهاية الطريق الوحيد للقرية، وليس بعده شيء، ومن ثم فنحن في بداية شيء لا نعرف له نهاية. ففي مقدور الشخص في أي مكان من العالم أن يختار الاتجاه الذي يواصل التقدم فيه، لكن الإنسان هنا لا يستطيع إلا أن يعود من حيث جاء، ولهذا السبب سمى الأهالي هذه القرية (نهاية العالم). تنفس "**ساترثويت**" بعمق وقال:

– إنه مكان عجيب حقًا، يمكن لأي حادث أن يقع فيه، أو يلتقي فيه المرء بأي

إنسان. وتوقف فجأة عندما لمح رجلاً يجلس فوق صخرة متجهًا ببصره نحو البحر الذي بدا بعيداً جدًّا. لم يكن أحدهما قد لحظه من قبل وكأنه قد جاء من الهواء. وقبل أن يقول "**ساترثويت**" شيئًا التفت الرجل نحوهما فقال "**ساترثويت**" متلعثمًا بفعل المفاجأة:

– يا للعجب، إنه السيد "**كوين**"! أقدم إليك يا آنسة "**كارلتون**" السيد "**كوين**". إنه شخصية غريبة جدًّا، إنك تظهر في الوقت المناسب، أليس كذلك ياسيد "**كوين**"؟ صافحت "**نوامي**" السيد "**كوين**" وقالت له:

– إننا هنا في نزهة جبلية، ولكن يبدو أن البرد سوف يجعلنا جميعًا نتجمد. وقال "**ساترثويت**" وهو يرتعش:

– قد نستطيع أن نجد مكانًا يحمينا، الآنسة "**كارلتون سميث**" تقول إن هذا المكان يدعى "نهاية العالم".

– نعم، إنه اسم مناسب فعلاً، هل هذه هي سيارتك يا آنسة "**كارلتون**"؟

– نعم، سيارة قديمة صغيرة.

– إن قيادتها تحتاج إلى مهارة فأقل خطإٍ أو عدم استجابة في الفرامل قد يؤدي إلى كارثة؟ ثم انضموا إلى الدوقة والقاضي الهندي وقدم لهما "**ساترثويت**" صديقه السيد "**كوين**"، لكن الآنسة "**كارلتون**" انتحت به جانبًا وسألته:

– من يكون هذا الرجل؟

– لا أعرفه جيداً، لكننا منذ سنوات نلتقي مصادفة بين فترة وأخرى في مناسبات غريبة.

– لكنه من هؤلاء الأشخاص الذين ينفذون إلى داخل النفس البشرية.. إن له نظرات نفاذة...

– نعم، هذا صحيح يا آنسة "**كارلتون**"، نظراته تبعث على الرهبة فعلاً. أخذ الجليد يتساقط فجأة مما جعل الجميع يهرعون خلف السيد "**كوين**" الذي قال لهم إنه يعرف كوخًا حجريًّا في نهاية القرية وهو مخصص للسائحين الذين يفاجئهم

الثلج. وقال وهم يتجهون نحو الكوخ:

– إن صاحبة الكوخ تقدم القهوة فقط. فالمفروض أن يكون معكم طعامكم. كان الكوخ عبارة عن حجرة متوسطة الاتساع في أحد جوانبها نافذة صغيرة وفي الجانب الآخر مدفأة كبيرة تشع منها حرارة النيران. وكانت هناك امرأة كورسيكية تضع الحطب الجاف في المدفأة. أما في نهاية الكوخ فكان هناك ثلاثة سياح، رجلان وسيدة. وكانت السيدة طويلة القامة، ذهبية الشعر، أنيقة الملابس تبدو وكأنها سليلة إحدى العائلات العريقة، وإلى جوارها يجلس رجل أبيض الوجه رمادي الشعر يرتدي ملابس سوداء أنيقة ويضع على عينيه نظارة، أما إلى جوارها من الناحية الأخرى فقد جلس رجل ضئيل الجسم أصلع الرأس لا يكترث له أحد. تقدمت "**الدوقة**" إلى المنضدة الخشبية وهي تقول للجالسين:

– إنها عاصفة ثلجية عنيفة لا شك في أنكم فوجئتم بها مثلنا، لكن "**كورسيكا**" بوجه عام جزيرة رائعة. نهض الرجل الطويل لتجلس "**الدوقة**" في مقعده شاكرة بينما قالت السيدة الأرستقراطية:

– نعم، إنها جميلة حقًا، لقد أمضينا فيها أسبوعًا حتى الآن. استرعى صوت السيدة انتباه "**ساترثويت**" بشدة فعلى الرغم من بساطة ما قالته إلا أن الكلمات بدت وكأنها تنبض بالحياة وكأنها خرجت من شغاف قلبها. قال السيد "**ساترثويت**" للقاضي الهندي المتقاعد:

– إن هذا الرجل الطويل الأنيق هو السيد "**وايز**"، المخرج المسرحي. وفجأة قالت "**نوامي كارلتون سميث**" بصوت حاد:

– إن الجو خانق جداً هنا، سأنطلق إلى الهواء في الخارج. لكن السيد "**كوين**" اعترض طريقها قائلاً:

– ارجعي إلى مكانك. واستسلمت الفتاة للأمر وجلست بعيداً عن الآخرين في حين تقدم "**ساترثويت**" إلى المخرج وقال له:

– لعلك لا تذكرني، اسمي "**ساترثويت**". فصافحه السيد "**وايز**" بشدة وهو يقول:

– أتذكرك بالتأكيد يا صديقي العزيز، يا له من مكان للقاء. لا شك في أنك تعرف السيدة "**نان**". أصابت الدهشة "**ساترثويت**"... السيدة "**نان**"، الممثلة المشهورة، لاغرو إذن أن يكون صوتها رائعًا، أليست "**روزينا نان**" أشهر ممثلة في "**إنجلترا**"؟ قال السيد "**وايز**" يقدم الرجل الآخر:

– وهذا هو السيد "**جود**"، زوج السيدة "**نان**". كانت الممثلة قد تنقلت بين بضعة أزواج، ولابد من أن هذا هو الزوج الأخير. وكان السيد "**جود**" يقدم الطعام لزوجته باهتمام؛ لأنها كانت تحب ألوان الطعام الشهية. وهنا قال المخرج:

– إنها تعشق الطعام. وفي أحيان كثيرة أقدم لها أطعمة شهية كي أجعلها تؤدي دورها بأبرع مستوى ممكن. سمع الرجلان الممثلة وهي تقول لزوجها:

– أين الكافيار؟ أين هو؟

– إنه وراءك على المقعد. تناولته بسرور وابتهاج وقالت:

– أوه، يا عزيزي، لشد ما أنا كثيرة النسيان وشرود الذهن حتى أنني كثيراً ماأنسى أشيائي.

– نعم، نعم، نسيت مجموعة لآلئك في الحمام، وأخذنا بعد ذلك نتبادل المكالمات والبرقيات مع الفندق حتى وجدوها. قالت الممثلة بصوت حالم:

– لقد كانت اللآلئ مؤمنا عليها على أية حال. ولم يكن هناك سوى جوهرتي الأوبال الزمردية التي لم أؤمن عليها لسوء الحظ. وفجأة شعر السيد "**ساترثويت**" بأنه أقبل على مشاهدة جزء من مسرحيات الحياة، وأنه على وشك أن يقوم بدوره فيها مع السيد "**كوين**". وكانت كلمة "**أوبال**" هي ما شد انتباهه فقال متسائلاً:

– جوهرتك الأوبال يا سيدة "**نان**"؟

– هل جهزت الزبدة يا "**جود**"، نعم، جوهرتي الأوبال، لقد سرقها أحدهم، ولم أستردها بعد كما قد تعلم.

– أوه. ما هي حكاية الجوهرة يا سيدة "**نان**"؟

– حسنًا، إنني من مواليد شهر تشرين الأول (أكتوبر)، ومن الفأل الحسن أن

أتحلى بجوهرة أوبال، وهكذا اشتريت هذه الجوهرة على شكل القلب بعد صبر طويل وهي نادرة وجميلة، وقد سررت بها إلى أقصى حد. وتنهدت، في حين كان الجميع ينصتون إليها باستحسان. وأردفت:

– لكن شابًّا يدعى "**جيرارد**" سرقها مني، شاب يكتب المسرحيات. قال السيد "**وايز**" معلقًا:

– وهي مسرحيات جيدة، وكنت على وشك أن أقوم بإخراج إحداها قبل حادث السرقة. واستأنفت الممثلة سرد القصة قائلة:

– نعم، كانت مسرحية دوري فيها رائع، ولقد جاء هذا الشاب مؤلف المسرحية إلى حجرتي بالمسرح لنتكلم عنها، كان شابًّا لطيفًا خجولاً، تنم نظراته عن الشاعرية والخيال الجامح. يا له من بائس! كانت الجوهرة عندئذ في علبتها فوق منضدة الزينة، ولقد عرفت أنه كان خبيراً بالجواهر، فتناولها وفحصها في ضوء المصباح، ويبدو أنه لم يفطن إلى ما فعله وهو يضعها في جيب سترته، وحين اكتشفت اختفاءها بعد انصرافه أبلغت رجال الشرطة. ولقد أثارت الصحف ضجة كبيرة بسبب هذا الحادث، حتى أنها أصبحت دعاية هائلة بالمجان لي. وتوقفت لحظة ثم أردفت:

– ووجدوا علبة الجوهرة فارغة في مسكنه، وقد اتضح أنه كان يعاني الإفلاس، لكنه أيضًا وضع في حسابه في البنك مبلغًا كبيراً من المال. وقد ادعى أنه وضع العلبة في جيبه سهواً، وأن صديقًا له كسب مبلغًا طائلاً من اللعب على الجياد، ووضع هذا الصديق ما كسبه باسمه في البنك، لكنه لم يستطع ان يذكر اسم صديقه هذا أو يدلي بأية معلومات عنه، وهكذا حكم عليه بالسجن خمسة أعوام انقضى منها الآن ثمانية أشهر. أنهت قصتها. لكنها ما لبثت أن هتفت فجأة:

– أين علبة الدراق المحفوظ يا "**جود**"؟

– إنها في حقيبتك. تناولت الممثلة حقيبة حاجاتها وأفرغت ما فيها بحثًا عن علبة الدراق المحفوظ. وكان من ضمن الأشياء التي أفرغتها على المنضدة صندوق

هندي مسحور تناوله القاضي وأخذ يفحصه ثم قال:

– إنه من النوع المسحور، من أين لك به يا سيدة "**نان**"؟

– هدية أعطاني إياها أحد المعجبين، وأنا أحتفظ به دائمًا فوق منضدة زينتي في المسرح رغم أنه لا يغري بالنظر. ضحك القاضي وقال:

– ربما لا يكون جميلاً، لكني أتحدى إن كنت تعرفين سره، هل تحبين معرفته؟

قال الجميع بصوت واحد:

– نعم، نريد أن نرى. ضغط السيد "**توملنسون**" أحد المفتاحين الصغيرين في أعلى الصندوق وكأنهما حليتان، فانفتح الصندوق، ثم طلب من أحد المشاهدين أن يضع قطعة جبن مغلف في الصندوق، ثم أغلقه وضغط على المفتاح الآخر وعاد وفتح الصندوق فإذا بقطعة الجبن قد احتفت. سرت الدهشة بين الحاضرين، لكن السيد "**توملنسون**" أغلق الصندوق مرة ثانية، ثم قلبه وضغط على مفتاح جانبي ثالث أشبه بحلية منقوشة، ثم أعاد الصندوق إلى وضعه الصحيح وفتحه. شهق الجميع دهشة – إذ شاهدوا مع قطعة الجبن جوهرة أوبال زرقاء على هيئة قلب وصاحت الممثلة مصعوقة:

– جوهرتي! يا إلهي. يا رب السماوات! قال زوجها "**جود**" بصوت متوتر مضطرب:

– لابد أنك وضعتها هنا سهواً، وضغطت على المفتاح الآخر فاختفت داخل الصندوق بغير أن تعلمي. في هذه اللحظة نهضت "**نوامي كارلتون**" من مكانها البعيد وقالت في إعياء:

– هل تعرفين من يكون "**جيرارد**" بالنسبة إلي؟ إنه خطيبي وأملي وحياتي، وقد أقدمت أكثر من مرة على الانتحار بسبب ما حدث له. وما إن انتهت من كلماتها حتى اندفعت إلى خارج الكوخ وهي تشهق بالبكاء ولحق بها السيد "**ساترثويت**" والسيد "**كوين**" وكان الطقس قد اعتدل. قال السيد "**كوين**" وهو ينظر إلى السماء وقد صفت من السحب:

– حسنًا، أظن أنه حان وقت انصرافي الآن. نظرت إليه "**نوامي كارلتون**" بدهشة وقالت:

– لكن مازال خطيبي "**جيرارد**" في السجن؟

– لا شك في أنه سيطلق سراحه اليوم. وليس من شك أيضًا في أن الممثلة "**نان**" سوف تعوضه عمًّا ألحقته به من أذى، أدبيًّا وماديًّا. ابتعد السيد "**كوين**" وتساءل "**ساترثويت**" أين هو ذاهب. فقالت "**نوامي**":

– من حيث جاء على ما أعتقد.

– لكن ليس هناك طريق مفتوح، لقد قلت إننا في نهاية العالم. الآن هل تسمحين لي بالركوب معك. أشرق وجهها بالسرور وقالت:

– بالتأكيد فأنا الآن واثقة بأننا سوف نصل إلى الفندق دون حادث للسيارة.

المصير المحتوم

أهم الشخصيات :

"**هارلي كوين**" :زائر الليل، وهو شخص لا يراه أحد إلا حين يختار هو

"**ساترثويت**" : صديق السيد "**كوين**" وهو رجل ثرثار يتسلى بالفرجة على الحياة

السيد "**جون دنمان**" : رجل أعمال ثري

السيدة "**آنا دنمان**" : زوجة السيد "**جون**" روسية الأصل

"**مولي ستانويل**" : صديقة السيدة "**آنا**"

الليدي "**روشمير**" و"**كلود ويكام**" : يحبان الفن والموسيقى

"**خارسانوفا**" : راقصة باليه روسية

الأمير "**أورانوف**" (**سيرجيوس إيفانوفتش**)

المصير المحتوم

لم يعرف السيد "**ساترثويت**" ما الذي حمله على البقاء مع "**دنمان**" وزوجته. كان قد التقى بهما في "**بيارتز**"، وعلى الرغم من أن صحبتهما لم تكن مثيرة إلا أنه ظل في رفقتهما دون أن يعرف السبب. كان "**جون دنمان**" في حوالي الأربعين من عمره من ذوي الثراء، له احترامه في عالم الأعمال لكنه رغم ذلك لم يكن ذا خيال خارج ميدان عمله. ولم يجد السيد "**ساترثويت**" سببًا يدعو للذهاب إليهما سوى سبب بدا تافهًا أول وهلة وهو الفضول لرؤية حجرة في منزل العائلة بالذات وهي حجرة معيشة السيدة "**دنمان**". لم تكن تلك الحجرة تعبر عن شخصيتها، فلم يكن لها شخصية ما، ولم يلتق "**ساترثويت**" في حياته بامرأة لا يرتسم شيء على تعبيرات وجهها كهذه المرأة. كانت قد ولدت في "**روسيا**". والتقى بها هناك "**جون دنمان**" الذي كان يحارب إلى جانب الروس، ثم عاد بفتاته الروسية المفلسة بعد الحرب ضد موافقة عائلته، لكنه تزوجها على الرغم من أي اعتراض. لم تكن حجرة السيدة "**دنمان**" هذه فاخرة. كان أثاثها مصنوعا من خشب الزان الجيد، وكانت توحي بروح الخشونة أكثر من روح الرقة، لكن كان هناك شيء واحد لا يتفق مع باقي الحجرة، وهو حاجز "**بارفان**" صيني مصقول له لون وردي مصفر شاحب، كان شيئًا يرحب أي متحف بأن يضعه فيه، شيء نادر وجميل. لم يكن "**البارفان**" ينتمي إلى الأثاث الإنجليزي في خلفيته، كان ذوق عائلة "**دنمان**" رائعًا في كل ما يتصل بأثاث البيت. وعلى الرغم من تفاهة الأمر لم يستطع "**ساترثويت**" أن يستبعده من ذهنه. كان شيئًا محيرًا وبسببه كان يتردد على المنزل كثيرًا. هل كانت نزوة امرأة؟ لكن هذا التفسير لم يرضه لأن السيدة "**دنمان**" كانت من النوع الهادئ الذي لا يستسلم لنزوات. وصلت السيارة إلى قصر "**دنمان**"، واستقبله رئيس الخدم باحترام؛ لأن السيد والسيدة "**دنمان**" كانا في الخارج – يجريان بروفة على عرض ما – وأبلغه رئيس الخدم رسالتهما بأنهما يأملان أن يتصرف السيد "**ساترثويت**" في بيتهما "**آشميد**" وكأنه في بيته هو. خطا السيد "**ساترثويت**" إلى الحديقة يتطلع إلى الزهور، ثم تقدم في ممر في نهاية

جدار يتوسطه باب. كان الباب مفتوحًا فمر منه ليجد نفسه في ممر ضيق. نظر إلى يمينه ويساره ليجده ممرًا ظليلاً على جانبيه شجيرات قصيرة، وتذكر البطاقة الصغيرة التي كان "**دنمان**" قد طبعها باسمه لتحمل عنوان قصره "**آشميد**"، ممر "**هارلي كوين**". وغمغم "**ساترثويت**" لنفسه: "ممر "**هارلي كوين**"... يا للعجب!". واستدار في منحنى، ولم يدهش إذ رأى صديقه السيد "**هارلي كوين**" وصافحه بقوة وقال "**ساترثويت**":

– إذن فأنت هنا؟

– نعم إنني أكون في المنزل نفسه الذي تكون فيه .. هل يدهشك هذا؟

– كلا... فقط لأنك عادة لا تقيم في مكان واحد فترة طويلة. أليس كذلك؟

– إلا إذا كان ذلك ضروريًا. وسارا بصمت حتى قال "**ساترثويت**":

– وماذا عن هذا الممر؟

– إنه خاص بي.

– ظننت ذلك، وهناك اسم آخر أيضًا يطلقه عليه أهل المنطقة "ممر المحبين" هل تعرف ذلك؟

– بالتأكيد فهناك ممر محبين في كل قرية. وأحس السيد "**ساترثويت**" فجأة بتقدمه في السن وذلك بالمقارنة إلى ما حوله، فكل شيء أخضر يوحي بالحياة. سأل فجأة:

– أين ينتهي هذا الممر؟

– ينتهي هنا. كانا قد وصلا آخر منحنى. وانتهى الممر في أرض خربة. فقد شاهدا أمامهما منخفضا مليئًا بالنفايات والأشياء القديمة وبقايا الصحف وغيرها من الأشياء التي يستغني عنها الناس كل يوم. قال السيد "**ساترثويت**" بدهشة ممزوجة بالغضب:

– كومة قمامة؟

– أحيانًا تجد أشياء رائعة في كومة قمامة.

– أعرف هذا وهناك أغنية تقول شيئًا بهذا المعنى. أومأ السيد "**كوين**" في حين

كان "**ساترثويت**" يثبت نظره على أنقاض كوخ صغير عند حافة التل. وقال ملاحظًا:

– لا أظن أن هذ منظر جميل بالنسبة إلى أهل المنزل. لا أظن أن كوم القمامة كان موجودًا في تلك الأيام، وأعتقد أن عائلة "**دنمان**" كانت تعيش في ذلك الكوخ عندما تزوجا، لكنهما انتقلا فيما بعد إلى المنزل عندما مات من كانوا فيه من كبار السن. وقد هدم الكوخ وصار أنقاضًا كما ترى. قال "**ساترثويت**" وهما يبدآن رحلة العودة:

– أظن أن أزواجًا عديدين يتجولون هنا في هذا الممر في أمسيات الصيف الدافئ.. أقصد المحبين... لقد فعلت الكثير من أجل المحبين يا سيد "**كوين**". احنى السيد "**كوين**" رأسه دون أن يجيب. واستطرد السيد "**ساترثويت**":

– لقد أنقذتهم من الأسى والألم بل ومن الموت... ولقد كنت مدافعًا عن الموتى أنفسهم.

– إنك تتكلم عن نفسك، عمّا فعلته أنت، وليس أنا.

– إنه الشيء نفسه.. لقد تصرفت أنت من خلالي، فإنك لسبب أو لآخر لا تتصرف بنفسك مباشرة...

– لكنني أحيانًا أفعل هذا. وفي اللحظة التالية شاهدا فتاة آتية في الطريق، فتاة جميلة عرف فيها السيد "**ساترثويت**" أنها "**مولي ستانويل**" التي كان قد التقى بها من قبل، حيته وقالت:

– إن "**جون**" و"**آنا**" قد عادا فوراً – وقد ظنا أنك لابد أن تكون قد حضرت، غير أنهما اضطرا إلى حضور البروفة. سألها السيد "**ساترثويت**":

– بروفة ماذا؟

– الحفلة التنكرية.. أظن أنها ستكون كذلك، فهناك رقص وغناء. وسوف يقوم السيد "**مانلي**" بدور المهرج في تمثيلية صامتة وأنا بدور المهرجة، وسوف يأتي أيضًا راقصون ومحترفون، "**هارلي كوين**" و"**كولومبيين**"، لابد أنك تعرفهما. إن الليدي "**روشمير**" حريصة على تعليم فتيات القرية الغناء. إن الموسيقى رائعة فقد وضعها "**كلود ويكام**". ربما تعرفه. أومأ "**ساترثويت**" برأسه فقد كان يعرف

"**كلود ويكام**" الطموح العبقري، والليدي "**روشمير**" مشجعة الفنانين. وجدا "**كلود ويكام**" يتناول الشاي مع "**دنمان**" وزوجته، وقد امتلأ فمه بالطعام في حين كان "**جون دنمان**" ينصت إلى ما يقول في ملل ظاهر. وعند ظهور الاثنين وجه الموسيقي حديثه إلى "**ساترثويت**"، في حين جلست السيدة "**دنمان**" صامتة هادئة تعد الشاي كالعادة. اختلس "**ساترثويت**" النظر إليها، فوجدها كما اعتاد أن يراها دائمًا طويلة نحيلة ذات شعر أسود مفروق من الوسط، امرأة لا تستخدم مساحيق التجميل ومن ثم لا تفيض حياة وحيوية. وفكر "**ساترثويت**" في نفسه: "ما الذي تخفيه خلف هذا الوجه؟ لابد أن يكون هناك شيء ما، شيء ليس على ما يرام".
وجه إليها "**ويكام**" سؤالاً عن الباليه الروسي فأجابت:

– إنني لم أره مطلقًا. حدق إلى وجهها بدهشة، فاستطردت قائلة دون انفعال ما:

– قبل زواجي كنت راقصة ومن ثم فإنني... أعرف كل أسراره، وهو لا يثيرني. واستعاد "**كلود ويكام**" رباطة جاشه وصاح:

– ليس هناك من لا يعرف "**خارسانوفا**"، "**خارسانوفا**" الخالدة، هل رأيتها ترقص؟ أجاب "**ساترثويت**" قائلاً:

– ثلاث مرات: مرتين في "**باريس**" والثالثة في "**لندن**" ولن أنساها أبدًا... إن هناك تمثالاً لها في متحف "**برلين**"، إنه تمثال رائع، نموذج للرقة حتى أنك تظن أنها ستنكسر بلمسة إصبع. رأيتها تقوم بدور "**كولومبين**" في باليه البجعة... إنها عبقرية. قالت السيدة "**دنمان**":

– لقد درست الرقص مع "**خارسانوفا**"، وهي رائعة فعلاً. انصرف "**كلود ويكام**" وشعر الجميع بالارتياح في حين قال "**ساترثويت**":

– أعرف أنه كثير الكلام لكن موسيقاه رائعة، ولكنني لا أعتقد أنه سيدوم فقد جاءه النجاح مبكرًا. والنجاح المبكر خطر. ثم نظر إلى السيد "**كوين**" وسأله:

– ألا توافقني على ذلك؟ فأجاب السيد "**كوين**":

– إنك دائمًا على حق. قالت السيدة "**دنمان**":

– سنذهب إلى حجرتي، فهي أجمل. بالإضافة إلى أنني أريد أن أسألك عن

رأيك في "**بارفان**" حجرتي؟ كانت كلماتها تحمل بعض التحدي، فأجاب متلعثماً قليلاً:

– إنه جميل بل أكثر... إنه فريد في نوعه. قال "**دنمان**":

– إنك على حق ولقد اشتريناه في أوائل زواجنا بثمن بخس، لكن الثمن عندئذ جعلنا نقتصد عامًا كاملاً. لم يكن هناك باعث لشرائه فعلاً عندئذ، لكن المسألة الآن مختلفة. إن هناك حجرة كل قطعها صينية. لكن زوجتي لا توافق على ذلك ألبتة. قالت السيدة "**دنمان**" وعلى وجهها نظرة غريبة:

– إنني أحب هذه الحجرة على ما هي عليه. أحس "**ساترثويت**" مرة أخرى بالتحدي، وعندما وصلوا الحجرة وجدها على حالها توحي بالخشونة فيما عدا "**البارفان**" الصيني. قالت لـ "**ساترثويت**":

– سأقول لك السبب وسوف تفهمه. لقد اشترينا الحجرة بما هو أكثر من المال. بالحب.. والقطع التي يقول لك عنها سنشتريها بالمال فقط، هل تفهم ذلك؟

– ما الذي يمكن أن يفهمه أي إنسان. قليل جداً، بل أقل القليل.

– افرض أنني أخبرتك بشيء قد يجعلك تضحك. افرض أن شخصًا ما تظاهر باعتقاده بشيء ليس له وجود، أو تخيل شخصًا ما، لكنه في أحد الأيام تحقق الحلم وتحقق الخيال. تحقق وجود الشيء المستحيل وأصبح الحلم حقيقة، هل هذا جنون ياسيد "**ساترثويت**"؟ أم هل تعتقد ذلك أيضًا؟ شعر "**ساترثويت**" بغصة في حلقه ولم يعرف كيف يجيب، في حين انصرفت هي من الحجرة دون أن تنتظر رده، وتركته في حيرته من كلامها الغريب... وحول مائدة العشاء وجد "**ساترثويت**" ضيفًا آخر في منتصف العمر قدمته له "**آنا دنمان**" على أنه الأمير "**أورانوف**". تبادل الرجلان التحية. وأحس "**ساترثويت**" بأن حديثهما قد انقطع. تكلم الرجل في مواضيع محببة لـ "**ساترثويت**". وانضم "**جون دنمان**" إليهما في حين قال "**أورانوف**":

– إنني آسف تمامًا لتأخيري بسبب الحادث، فقد كانت غلطتي... إنني أحب قيادة السيارات بسرعة لكن القدر سيد كل شيء. قالت السيدة "**دنمان**":

– إنك تتكلم الآن كالروس يا "**سيرجيوس إيفا نوفتش**".

– وإنني أجد الصدى في شخصك يا "**آنا ميخائيلوفنا**". نقل السيد "**ساترثويت**" بصره من أحدهما إلى الآخر ثم إلى "**جون دنمان**" الذي كان يبدو غريبًا بالنسبة إليهما. نعم هذا هو شعوره الآن، بل لعل هذا هو سبب وجود السيد إن وجوده في أي مكان يعني وجود مأساة، فهل المأساة تكمن بين هؤلاء الثلاثة؟ قال "**دنمان**":

– لابد من تأجيل العرض يا "**آنا**". لقد سمعتك تتحدثين إلى الليدي "**روشمير**" بالتليفون.

– كلا لا حاجة بنا إلى تأجيله.

– لكن لا يمكن الاستغناء عن الباليه في الحفلة!

– إنني سأقوم بدور الراقصة "**كولومبين**" يا "**جون**". دهش زوجها وخيل إلى "**ساترثويت**" أنه اضطرب قليلاً في حين أردفت هي قائلة:

– لا تخف يا "**جون**" فلن أجلب لك العار، هل نسيت أن الرقص كان مهنتي يومًا ما؟

– حسنًا، لكن هذا لا يحل سوى نصف المشكلة فمن أين سنأتي بالراقص "**هارلي كوين**"؟ قالت وهي تشير نحو الباب المفتوح حيث كان السيد "**كوين**" واقفًا:

– لقد وجدته. ها هو.

– أيها السيد "**كوين**"، هل تعرف شيئًا عن هذه اللعبة؟ إنني لم أتخيل ذلك مطلقًا.

– إن السيد "**كوين**" خبير في الرقص. وسوف يشهد له السيد "**ساترثويت**" بذلك. أومأ "**ساترثويت**" موافقًا. فقال "**دنمان**" مغيراً مجرى الحديث:

– تعرفون أنه سيكون هناك عرض أزياء تنكرية بعد ذلك، إنه شيء مثير، سوف ترتدي شيئًا لهذا العرض يا سيد "**ساترثويت**"؟

– إن سني لا يسمح بذلك، لكنني أستطيع أن أقوم بدور (جرسون) عجوز قضى أيامًا سعيدة في الماضي.

– سوف أرتدي زي المهرج. وماذا عنك أيها الأمير "**أورانوف**"؟ تطلع الروسي

إلى وجه السيدة "**دنمان**" قبل أن يقول:

– سوف أرتدي زي "**هارلي كوين**" (المهرج). قال "**دنمان**" وهو يضحك:

– كان يمكن أن نكون ثلاثة في زي "**هارلي كوين**"، فلقد صنعت لي زوجتي زي "**هارلي كوين**" في أول زواجنا لكنها ليست على مقاسي اليوم. وتطلعت السيدة "**دنمان**" إلى ساعتها في اللحظة التي دخلت فيها "**مولي**" تحمل ثياب المهرجة ويبدو عليها الإثارة والحماس استعداداً للعرض وقالت:

– إنني مضطربة للغاية وأخشى أن أنسى الكلمات! قالت "**آنا دنمان**":

– إن صوتك ساحر ولن أقلق من شيء لو كنت مكانك. غني شيئًا الآن للسيد "**ساترثويت**" وسوف يعيد إليك ثقتك. غنت "**مولي**" أغنية أيرلندية قديمة بمصاحبة البيان، وأومأ السيد "**ساترثويت**" في نهايتها موافقًا بقوة، وقال "**جون دنمان**":

– إنك رائعة يا "**مولي**" ولا تخشي خشبة المسرح. هيا بنا إلى "**روشمير**" الآن. وتفرقت المجموعة ليرتدي كل شخص ملابسه. ثم ساروا إلى المنزل الذي لم يكن يبعد سوى بضع مئات من الأمتار. وجد "**ساترثويت**" نفسه إلى جوار صديقه السيد "**كوين**" وقال له:

– إن أغنية "**مولي**" مليئة بالغموض وحيث يكون الغموض فهناك أجدك.

– هل أنا غامض إلى هذا الحد؟

– نعم بالتأكيد فإنني حتى الليلة لم أكن لأعرف أنك راقص محترف، ما رأيك في الأمير "**أورانوف**" والسيدة "**دنمان**"؟ ألا تلاحظ فيها تغييراً الليلة؟ إنها تبدو وكأن شيئًا مضيئًا في ذاتها... شيئًا غريبًا.

– ربما كان ذلك صحيحاً.

– إنها نفس الدراما القديمة، هذان الشخصان ينتمي كل منهما إلى الآخر، فهما من نفس العالم ولهما نفس الأفكار والأحلام، ويمكن للمرء أن يرى إلى أي حال سارت الأمور، فمنذ عشرة أعوام كان "**دنمان**" شابًا وسيمًا جريئًا مليئًا بالرومانسية. ولقد أنقذ حياتها. ولكن من هو بعد كل شيء؟ شخص طيب ناجح أمين، مثله في ذلك مثل خشب الزان الإنجليزي الذي صنع منه أثاث حجرتها، إنجليزي عادي مثل

صوت تلك الفتاة الإنجليزية. إنك تبتسم يا سيد "**كوين**" لكنك لا تستطيع أن تنكر صحة ما أقول.

- إنك على حق دائمًا. لكن لم تتعلم بعد كل ما في الحياة. وترك "**ساترثويت**" في حيرته وانصرف. وحين بحث عن الآخرين وجدهم قد سبقوه فتوجه إلى الحديقة وسار في الممر الذي كان قد سار فيه بعد ظهر ذلك اليوم، وهناك وجد شخصين متعانقين، بعد لحظات تحقق منهما. كانا "**جون دنمان**" و"**مولي ستانويل**". ثم سمع صوت "**دنمان**" الخشن يقول بانفعال:

- إنني لا أستطيع الحياة دونك، ما الذي سنفعله؟ استدار "**ساترثويت**" لينصرف. لكن يدا أوقفته، يدا رأى صاحبها ما رآه هو. تطلع "**ساترثويت**" إلى "**آنا**"، وتحقق كيف أن أفكاره كانت خاطئة تمامًا. استبقته يدها، في حين اختفى "**جون دنمان**" و"**مولي**" عن الأعين. وحاول أن يتكلم إلا أنه لم يستطع، في حين قالت له "**آنا**":

- أرجوك. لا تتركني. ووجد نفسه يقول أي شيء يناسب هذا الموقف وهما في طريقهما إلى منزل "**روشمير**"، وبين الحين والآخر كانت تمسك بكتفه بعنف ثم قالت:

- الآن سأرقص. ولا تخش عليَّ شيئًا يا صديقي. تركته فجأة لليدي "**روشمير**" و"**كلود ويكام**" الذي قال:

- لقد تحطمت تمامًا، إن هذا يحدث لي دائمًا. هؤلاء الفتيات القرويات لا يعرفن الرقص مطلقًا ولم يستشرني أحد في ذلك. لكن "**ساترثويت**" أعجب بالرقص ولابد من أن "**ويكام**" لم يكن يعرف شيئًا سوى الموسيقى، ذلك لأن الليدي "**روشمير**" فعلت كل ما في وسعها ليصبح العرض ناجحًا، وسرعان ما كان "**هارلي كوين**" ينتقل بحركاته الرائعة في ضوء القمر، و"**كولومبين**" إلى جواره وكأنهما في حلم. وسرعان ما شعر "**ساترثويت**" بأنه لم يعد في صالون الليدي "**روشمير**"، بل في متحف "**برلين**" حيث تمثال "**خارسانوفا**" الخالدة. واستمر "**هارلي كوين**" و"**كولومبين**" في رقصتهما حتى انتهت. جلس "**ساترثويت**" ساكنًا بينما الآخرون يصفقون بحماس ثم نهض وشق طريقه إلى الخارج. التقى

بـ"**مولي ستانويل**" ، وتضرج وجهها بالحمرة وهي تتلقى التهنئة ثم شاهد "**جون دنمان**" وهو يشق طريقه نحوها وفي عينيه نظرة مشتعلة. تقدمت "**مولي**" نحوه ولكنه أزاحها جانبًا فلم تكن هي التي يقصدها. قال:

– أين زوجتي... أين زوجتي؟

– أظن أنها خرجت إلى الحديقة. كان "**ساترثويت**" هو الذي وجدها تجلس فوق مقعد حجري تحت شجرة اللبلاب وعندما اقترب منها فعل شيئًا غريبًا. ركع أمامها ورفع يدها وقبلها، قالت:

– هل تظن أنني رقصت جيداً؟

– لقد رقصت كما كنت ترقصين دائمًا يا سيدة "**خارسانوفا**". تنفست نفسًا عميقًا وقالت:

– إذن فقد خمنت من أكون.

– هناك "**خارسانوفا**" واحدة فقط، إن من يراك ترقصين مرة لا يستطيع أن ينساك أبداً فلماذا؟ لماذا؟

– وماذا كان يمكنني عمله غير ذلك؟ إنك تفهم ما أقصد. إن راقصة عظيمة تستطيع أن تحتفظ بعشاق، أما مسألة الزواج فهذا شيء مختلف. أما هو فلم يكن يريد "**خارسانوفا**" الراقصة. كان يريدني أن أنتمي إليه كما لم يكن ممكنًا أن تنتمي "**خارسانوفا**" إلى أحد.

– ومن ثم فقد هجرت الرقص، لابد أنك أحببته جدًّا..

– حتى أضحي مثل هذه التضحية؟ ربما. أما الآن؟ هل هذا أنت يا"**سيرجيوس إيفانوفتش**"؟ تقدم نحوهما الأمير "**أورانوف**" وأخذ يدها وقال وهو يبتسم لـ"**ساترثويت**" دون أن يحفل بوجوده:

– منذ عشرة أعوام بكيت نهاية "**آنا خارسانوفا**" ، لقد كانت بالنسبة إليَّ نفسي الأخرى. واليوم وجدتها مرة ثانية ولن ينفصل أحدنا عن الآخر. قالت "**آنا**" :

– انتظرني عند نهاية الممر في خلال عشر دقائق... لن أخذلك. أومأ

"**أورانوف**" برأسه وانصرف. في حين استدارت "**آنا**" لـ "**ساترثويت**" وقالت مبتسمة:

– حسنًا. إنك لست مقتنعًا يا صديقي.

– هل تعرفين أن زوجك يبحث عنك؟

– نعم قد يكون ذلك صحيحًا.

– لقد رأيت عينيه.

– نعم، ربما لمدة ساعة واحدة فقط، ساعة يقع فيها تحت سحر ذكريات ماضية. فيها موسيقى وضوء قمر، لكن هذا كل شيء.

– أليس هناك ما يمكن أن أقوله؟

– طوال عشر سنوات عشت مع الرجل الذي أحببت. لكنني الآن ذاهبة إلى الرجل الذي أحبني طوال عشر سنوات.. لم يقل "**ساترثويت**" شيئًا، فلم تكن لديه نصيحة أخرى، ثم إن ذلك بدا حلاً سهلا، لكنه لم يكن الحل الذي أراده. شعر بيدها فوق كتفه ثم قالت:

– أعرف يا صديقي، أعرف، ليس هناك طريق ثالث. إن المرء يبحث عن شيء واحد... الحبيب... الحبيب الخالد... إنها موسيقى "**هارلي كوين**" التي أسمعها. إن أي حبيب لن يقنعني، و"**هارلي كوين**" ليس إلا أسطورة، إلا إذا...

– إلا إذا؟

– إلا إذا كان اسمه.. الموت. ارتجف "**ساترثويت**". في حين ابتعدت هي عنه وابتلعتها الظلال. لم يعرف كم قضى من الوقت في مكانه، لكنه تنبه فجأة شاعراً بأنه ضيع وقتًا ثمينًا. هرع مبتعداً في اتجاه معين. وتقدم في الممر وهو يشعر وكأنه في عالم مسحور. في حين كان هناك شخصان قادمان في طريقه. ظن أول الأمر أنه "**أورانوف**" في ثياب "**هارلي كوين**"، لكنه حينما دقق النظر تحقق أنه السيد "**كوين**". تقدم إلى الممر ولكنه عندما استدار لينظر خلفه أصيب بصدمة؛ لأنه لم يكن وجه السيد "**كوين**" الذي رآه. لم يكن هذا هو الوجه الذي اعتاد أن يراه في السيد "**كوين**". كان وجه شخص غريب. كلا... لم يكن غريبًا تمامًا إنه وجه "**جون دنمان**" كما كان في شبابه في الأيام المزدهرة الأولى. وجه مغامر متحمس،

وجه عاشق. وسمع ضحكتها سعيدة واضحة مبتهجة... نظر خلفهما، ورأى على البعد أنوار الكوخ الصغير وأخذ يحدق خلفهما كرجل في حلم. أيقظته يد ضغطت على كتفه بعنف فاستدار ليرى "**أورانوف**" الذي بدا مضطربًا شاحب الوجه، قال:

– أين هي... أين هي؟ وعدتني لكنها لم تحضر.

– إن السيدة قد انطلقت في الممر بمفردها. لقد كنت واقفة هنا عندما مرت بي. لم يكن "**ساترثويت**" هو الذي قال هذه الكلمات ولكنها الخادمة التي كانت تقف الآن عند الباب وقد حملت ملابس مخدومتها. صاح فيها "**ساترثويت**" بعنف:

– بمفردها؟ هل قلت بمفردها؟ اتسعت عينا الخادمة دهشة وقالت:

– نعم يا سيدي، ألم ترها بنفسك؟ هز "**ساترثويت**" كتف "**أورانوف**" وغمغم قائلاً:

– بسرعة... بسرعة إنني خائف! وهرعا إلى نهاية الممر والروسي يقول بعبارة متقطعة:

– إنها مخلوقة رائعة، وقد كان رقصها رائعًا هذه الليلة. ثم صديقك هذا، من هو؟ لكنه رائع فريد من نوعه. في الأيام السابقة عندما رقصت في دور "**كولومبين**" على موسيقى "**رمسكي كورساكوف**"، لم تشعر بأنها وجدت التجسيد الكامل لـ "**هارلي كوين**". قالت لي ذلك بنفسها. قالت إنها كانت ترقص دائمًا مع "**هارلي كوين**" الحالي. وتحلم به رجلاً وإن لم يكن هناك، لكنه الليلة كان "**هارلي كوين**" نفسه، ولهذا رقصت "**كولومبين**" بتلك الروعة. أومأ "**ساترثويت**" برأسه، لكن فكرة واحدة كانت تسيطر عليه وقال:

– أسرع. لابد لنا من أن نصل في الوقت المناسب، لابد من أن نصل في الوقت المناسب. ووصلا إلى آخر منحنى حيث الأرض الخربة المنخفضة، وهناك شاهدا شيئًا راقدًا على الأرض لم يكن هناك من قبل. جسد امرأة أخذ وضعًا رائعًا، فذراعاها مفتوحتان ورأسها ملقى للخلف. كان الوجه الميت يبدو عليه الانتصار والجمال في ضوء القمر. وتذكر "**ساترثويت**" كلمات السيد "**كوين**": "أشياء رائعة في كومة

قمامة". ها هو قد فهم معنى الكلمات الآن! كان "**أورانوف**" يغمغم بشيء غير مفهوم والدموع تنساب على وجهه. قال:

– لقد أحببتها، أحببتها دائمًا. لقد كنا ننتمي إلى نفس العالم، ولنا نفس الأفكار، ونفس الأحلام...

– وكيف عرفت؟ إن هذا هو ما يفكر فيه كل المحبين، وما يقوله كل المحبين. ولكن هناك حبيبًا واحدًا... واستدار فجأة، وإذا هو يكاد يصطدم بالسيد "**كوين**" فأخذه من ذراعه وقال له:

– لقد كنت أنت... كنت أنت بصحبتها منذ لحظات فقط... صمت السيد "**كوين**" برهة قبل أن يقول برقة:

– تستطيع أن تقول ذلك لو أردت.

– لكن الخادمة لم ترك؟

– نعم لم ترني.

– لكنني رأيتك. فما السبب؟

– ربما لأنك دفعت الثمن، ومن ثم ترى أشياء لا يراها الآخرون. نظر إليه "**ساترثويت**" دون فهم لحظات، ثم بدأ يرتعد كورقة في مهب الريح، وهمس:

– ما هو هذا المكان؟ ما هو هذا المكان؟

– لقد أخبرتك مرة قبل الآن. إنه الممر الخاص بي.

– ممر المحبين، والناس يمرون به.

– معظمهم، إن عاجلاً أو آجلاً.

– لكن ماذا يجدون في نهايته؟ وابتسم السيد "**كوين**" وهو يشير نحو الكوخ المنهار قائلاً:

– بيت أحلامهم... أو كومة قمامة.. من يعرف؟ نظر إليه "**ساترثويت**" فجأة وانتابه لون من التمرد.. وشعر بأنه خدع وضلل. قال:

– لكن أنا... أنا لم أمر مطلقًا بممر كهذا.

– وهل أنت نادم على ذلك؟ وبدا السيد "**كوين**" كشيء هائل غامض، شيء يمثل الفرح والأسى واليأس، وكرر السيد "**كوين**" سؤاله وقد بدا فيه شيء مخيف:

– هل أنت نادم؟

– كلا.. كلا... وفجأة هتف "**ساترثويت**":

– لكنني أرى أشياء لا يراها غيري! ربما كنت مجرد إنسان يتفرج على الحياة... لكنني أرى أشياء لا يراها غيري من الناس... أنت نفسك قلت هذا ياسيد "**كوين**"! لكن السيد "**كوين**" كان قد اختفى..

تمت بعون الله